

2

توحید و اسماء و صفات

محمد بیابانی اسکویی

کتابخانه

التوحيد والأسماء والصفات الإلهية

محمد البياباني الأسكوتني

ترجمة: السيد سجّاد المدرسي

شبكة كتب الشيعة



shiabooks.net

رابطہ بدیل < mktba.net



اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى

عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ
وَصَلِّ عَلَى

الْمُرْتَضَى، الْإِمَامِ الْتَّيَّيْبِ الْقَيِّمِ

وَحُجَّتِكَ عَلَى مَنْ فَوْقَ الْأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ السَّمَاءِ

الْصَدِّيقِ الشَّهِيدِ صَلَاةً كَثِيرَةً تَامَةً مُرَاقِبَةً مُتَوَاصِلَةً مُتَوَاتِرَةً

مُسْرَدَةً كَأَفْضَلِ مَا صَلَّيْتَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَوْلِيَائِكَ

التوحيد والأسماء والصفات الإلهية

محمّد البياباني الأسكوئي

ترجمة: السيّد سجّاد المدرّسي

سرشناسه: بیابانی اسکوتی، محمد، ۱۳۴۱ -
 عنوان قراردادى: توحید و اسماء و صفات. عربی
 عنوان و نام پدیدآور: التوحید و الأسماء و الصفات الإلهية
 مشخصات نشر: مشهد: دارالولاية للنشر، ۱۳۹۴.
 مشخصات ظاهری: ۲۹۲ ص.
 شابک: 978-964-6172-82-1
 وضعیت فهرست نویسی: فیپای مختصر.
 یادداشت: عربی.
 یادداشت: کتابنامه به صورت زیرنویس.
 یادداشت: نمایه.
 شناسه افزوده: خبیری، حمید، ۱۳۶۶ -
 شناسه افزوده: مدرسی، سیدمجاد، ۱۳۶۲ -
 شناسه افزوده: رضوی، سیدفاضل
 شناسه افزوده: اعدادی خراسانی، مرتضی، ۱۳۶۰ -
 شناسه افزوده: مؤسسه عالم آل محمد ﷺ المعارفیه
 شماره کتابشناسی ملی: ۳۷۹۸۱۸۱



دار الولاية للنشر

اسم الكتاب: التوحید و الأسماء و الصفات الإلهية
 المؤلف: محمد البياباني الأسكوتي
 المترجم: السيد سجاد المدرسي
 التحقيق: مؤسسة عالم آل محمد ﷺ المعارفیه
 التصحيح: الشيخ حميد الخبيري النوفاني
 تهویم النص: السيد فاضل الرضوي
 تنضيد الحروف: جواد الجعفري
 الناشر: دار الولاية للنشر
 الطبعة الأولى: ۱۳۹۴ ش (۱۴۳۶ ق ۲۰۱۵ م)
 الكمية: ۱۵۰۰ نسخة

ISBN ۸-۸۳-۶۱۷۲-۹۶۴-۹۷۸
 ISBN ۱-۸۲-۶۱۷۲-۹۶۴-۹۷۸
 الدور في خمسة أجزاء
 المجلد الأول

مراكز التوزيع: ایران - مشهد - دارالولاية للنشر - هاتف: ۰۰۹۸۹۱۵۱۵۷۶۰۰۳
 ایران - قم - شارع الصفائیه - مجتمع الإمام المهدي ﷺ - الطابق الأرضي - رقم ۱۱۶ -
 هاتف: ۰۰۹۸۲۵۳۷۸۳۳۶۲۴
 عراق - النجف الاشرف - نهاية شارع الرسول - قرب مدرسة النضال - تقال:
 ۳۳۲۰۷۲ - أرضی: ۰۰۹۶۴۸۸۰۲۴۵۰۲۳۰

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾

يُعَدُّ العلم والمعرفة أفضل وأكبر النعم الإلهية المهداة لعباد الله الصالحين لأنه بالعلم يُعينهم الله على عبوديته وبه يخضعون له، وهو من أكبر النعم التي بها يفتخرون في حياتهم الدنيا.

والعلماء الربانيون والعرفاء الإلهيون هم من يستضيئون بهدى الأنبياء والأئمة عليهم السلام ولا يشعرون بالشعب أو الملل أبداً في سلوك هذا الطريق. طريق العلم والعمل، ويتجنبون الطرق الأخرى التي لا تنتهي بهم إلى نيل معارف الأئمة عليهم السلام. تهدف هذه المؤسسة - التي تأسست بدافع إحياء آثار هذه الثلة المخلصة التي تحملت على عاتقها مهمة الدفاع عن معارف الوحي والعلوم الإلهية الأصيلة - إلى نشر هذا الفكر عبر الوسائل العصرية المتاحة ومن الله التوفيق.



مؤسسة عالم المحقق - مجلس الشورى الإسلامي - إيران
www.alghadeer.com

الفهرس

١٥	المقدمة
١٧	مقدمة المترجم
٢١	الدرس الأول: أهميّة المعارف العقديّة ومعرفة الله تعالى
٢٣	١. المعرفة، عمل القلب
٢٤	٢. أهميّة معرفة الله تعالى
٢٥	٢-١. معرفة الله، هدف الخلق
٢٦	٢-٢. فضل معرفة الله على سائر المعارف
٢٦	٣. الفرق بين العلم والمعرفة
٢٧	٣-١. المعرفة في اللغة
٢٨	٣-٢. التمايز بين العلم والمعرفة عند العلماء
٣٠	٣-٣. تأملات في أقوال العلماء
٣٢	٤. ملخص الدرس
٣٢	٥. اختبار ذاتي
٣٥	الدرس الثاني: معرفة الله فطريّة: الآيات (١)
٣٧	١. الفطرة في اللغة
٣٧	١-١. آراء اللغويين وعلماء الألسنة
٣٩	١-٢. ملخص البحث
٤٠	٢. المعرفة الفطريّة في القرآن الكريم
٤٠	١-٢. آية الفطرة

٢٢	٢٢. آية ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾
٢٣	٢٣. آية ﴿أَفِي اللَّهِ شَيْءٌ﴾
٢٥	٢٤. آية ﴿حُتِّفَاءُ اللَّهِ﴾
٢٦	٣. ملخص الدرس
٢٦	٤. اختبار ذاتي
٢٧	الدرس الثالث: معرفة الله فطرية: الآيات (٢)
٢٩	١. آيات ﴿وَلَيْسَ مَسْأَلَتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ...﴾
٥١	٢. آية ﴿كَانَ الْكَاسِ...﴾
٥٢	٣. آية ﴿فَلَذِكْرُ إِنْ مَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ﴾
٥٥	٤. آيات البأساء والضراء
٥٨	٥. ظهور المعرفة الفطرية في الشكائد، والإيمان والكفر
٦٠	٦. ملخص الدرس
٦١	٧. اختبار ذاتي
٦٣	الدرس الرابع: معرفة الله فطرية (الروايات)
٦٥	١. أحاديث فطرية المعرفة
٧١	٢. أحاديث فطرة العقول على التوحيد
٧٣	٣. أحاديث فطرة البهائم على معرفة الله
٧٥	٤. ملخص الدرس
٧٦	٥. اختبار ذاتي
٧٧	الدرس الخامس: مواقف التعريف: عالم الأرواح (١)
٨٠	١. شواهد على وجود عوالم العهد
٨١	٢. هل عالم العهد واحد؟

٨٢	٣. خلقة الأرواح
٨٢	٤. تواتر نصوص خلقة الأرواح قبل الأبدان
٨٦	٥. ملخص الدرس
٨٧	٦. اختبار ذاتي
٨٩	الدرس السادس: مواقف التعريف: عالم الأرواح (٢)
٩١	١. شبهات حول عالم الأرواح
٩٢	٢. شبهة أخرى
٩٧	٣. الخلقة الدفعية للأرواح
٩٩	٤. ملخص الدرس
٩٩	٥. اختبار ذاتي
١٠١	الدرس السابع: مواقف التعريف: عالم الذر (١)
١٠٤	١. العلاقة بين عالم الذر والأرواح
١٠٣	٢. الحكمة من جعل الأرواح في الأبدان
١٠٥	٣. عالم الذر في القرآن
١٠٥	٣-١. آية الذر
١٠٨	٣-٢. آراء حول آية الذر
١١٢	٤. ملخص الدرس
١١٢	٥. اختبار ذاتي
١١٥	الدرس الثامن: مواقف التعريف: عالم الذر (٢)
١١٧	١. روايات عالم الذر
١١٧	١-١. الروايات المفسرة لآية الذر

- ٢-١. الروايات المفسرة لآية ﴿فطره الله﴾ ١١٨
- ٣-١. الروايات المفسرة لآية ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا...﴾ ١١٨
- ٤-١. الروايات المفسرة لآية ﴿هَذَا الَّذِي رَمَى الثُّدِيَّ الْأَوَّلَى﴾ ١١٨
- ٥-١. الروايات المفسرة لآية ﴿مُخْلَقٌ وَغَيْرُ مُخْلَقٍ﴾ ١١٩
- ٦-١. الروايات الواردة في استلام الحجر الأسود ١٢٠
- ٧-١. الروايات الواردة في تكوّن الولد في الرحم ١٢٠
- ٨-١. الروايات الواردة في العزل ١٢١
- ٩-١. الروايات الواردة في دية الجنين ١٢١
- ١٠-١. الروايات الواردة في غسل الميت عن جنابة ١٢٢
- ١١-١. الروايات الواردة في انتقال الإنسان في الأضلاب والأرحام ١٢٣
٢. قوائمه نصوص عالم الذر ١٢٣
٣. آراء بعض علماء الإسلام حول روايات عالم الذر ١٢٤
- ١-٣. الشيخ الحر العاملي ١٢٤
- ٢-٣. العلامة الأميني ١٢٤
- ٣-٣. الشيخ النمازي الشاهرودي ١٢٤
- ٢-٣. الشيخ الملكي الميانجي ١٢٥
- ٥-٣. آية الله الجهرمي الشريعتمداري ١٢٥
٣. شبهات حول عالم الذر ١٢٥
٥. ملخص الدرس ١٢٧
٦. اختبار ذاتي ١٢٨
- الدرس التاسع: معرفة الله بالله ١٣١
١. انحصار طريق معرفة الله، به تعالى ١٣٣

٢. بيان المعرفة بالصفات التنزيهية ١٣٤
٣. معرفة الله بالله عين المعرفة الفطرية ١٣٥
٢. تجلي الله عبر أسماءه ١٣٦
٥. امتناع معرفة الله بخلقه ١٣٧
٦. ملخص الدرس ١٣٩
٧. اختبار ذاتي ١٤٠
- الدرس العاشر: نفي الوسائط في معرفة الله ١٤٢
١. الضياع عن المعرفة ١٤٢
٢. معرفة الله، شرط استجابة الدعاء ١٤٦
٣. معرفة الله بالله في رواية سدير الصيرفي ١٤٧
٢. بيان العلامة الطباطبائي في ذيل رواية سدير الصيرفي ١٤٩
٥. محصلة نصوص معرفة الله بالله ١٥١
٦. ملخص الدرس ١٥٢
٧. اختبار ذاتي ١٥٤
- الدرس الحادي عشر: النصوص المتعارضة في الظاهر ١٥٦
١. نفي الألوهية عما يُعرف بنفسه ١٥٨
٢. ما عرفته بنفسه، فهو مصنوع ١٥٩
٣. قصور القوى المدركة عن معرفة الله ١٦١
٢. قصور الخلق عن معرفة الله ١٦٢
٥. ملخص الدرس ١٦٥
٦. اختبار ذاتي ١٦٦
- الدرس الثاني عشر: المعرفة صنع الله (١) ١٦٨

١٧١	١. آيات القرآن الكريم
١٧١	١-١. الهداية من قبل الله
١٧٣	٢-١. خروج معرفة الله عن قدرة الإنسان
١٧٤	٢. الروايات
١٧٨	٣. ملخص الدرس
١٧٨	٤. اختبار ذاتي
١٨٠	الدرس الثالث عشر: المعرفة صنع الله (٢)
١٨٢	١. تعلق الإيمان والكفر على إعطاء المعرفة
١٨٣	٢. المعرفة ليست اكتسابية
١٨٥	٣. عجز الخلاق على كسب المعرفة
١٨٧	٤. محصلة النصوص المذكورة
١٨٨	٥. الهداية والمعرفة الأولية والثانوية
١٩٠	٦. ملخص الدرس
١٩١	٧. اختبار ذاتي
١٩٢	الدرس الرابع عشر: المعرفة صنع الله (الروايات المتعارضة ظاهراً)
١٩٥	١. المعرفة رأس الدين
١٩٧	٢. رأس العبادة، المعرفة
١٩٨	٣. الأمر الإلهي بكسب العلم والمعرفة
١٩٩	٤. المعرفة، أفضل الأعمال وأوجب الفرائض
٢٠٢	٥. حل التعارض الظاهري بين فئتين من النصوص، ووجه الجمع
٢٠٥	٦. ملخص الدرس
٢٠٦	٧. اختبار ذاتي

٢٠٨	الدرس الخامس عشر: انسداد طريق معرفة الله عند العباد
٢١١	١. النهي عن التفكر في الله
٢١١	٢. عجز القوى البشرية عن معرفة الله
٢١٣	٣. دور العقل في معرفة الله سبحانه
٢١٦	٤. بذاهة معرفة الله
٢١٦	٥. دور الأنبياء والأوصياء في معرفة الله
٢١٨	٦. ملخص الدرس
٢١٨	٧. اختبار ذاتي
٢٢٠	الدرس السادس عشر: التوحيد
٢٢٢	١. التوحيد هو المعرفة القطرية
٢٢٢	٢. أنواع التوحيد
٢٢٢	٢-١. التوحيد الذاتي
٢٢٦	٢-٢. التوحيد الصفاتي
٢٢٨	٢-٣. التوحيد الأفعالي
٢٣٠	٢-٤. التوحيد العبادي
٢٣١	٣. ملخص الدرس
٢٣٢	٤. اختبار ذاتي
٢٣٢	الدرس السابع عشر: الأسماء والصفات (١)
٢٣٦	١. المعنى اللغوي للاسم والصفة
٢٣٧	٢. معنى الاسم والصفة في روايات أهل البيت عليهم السلام
٢٣٨	٣. أصناف الروايات حول الأسماء والصفات
٢٣٩	٣-١. تنزيه الله من توصيف العباد

٢٤٠.....	٢.٢. توصيف الله بما وصف به نفسه
٢٤١.....	٣-٣. نفي الصفات عن الله سبحانه
٢٤٣.....	٤. مرجع الصفات إلى التنزيه
٢٤٤.....	٥. ملخص الدرس
٢٤٥.....	٦. اختبار ذاتي
٢٤٧.....	الدرس الثامن عشر: الأسماء والصفات (٢)
٢٥٠.....	١. الاشتراك اللفظي في الأسماء والصفات
٢٥٣.....	٢. الأسماء والصفات مخلوقة وهي غير الله
٢٥٤.....	٣. صفات الذات وصفات الفعل
٢٦٠.....	٤. ملخص الدرس
٢٦٠.....	٥. اختبار ذاتي
٢٦٣.....	الفهارس
٢٥٠.....	١. فهرس الآيات الكريمة
٢٥٠.....	٢. فهرس الروايات الشريفة
٢٥٠.....	٣. فهرس مصادر التحقيق
٢٩٠.....	ملخص الفارسي والإنجليزي
٢٩١.....	بيان المؤتسمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبده المصطفى محمد وآله الطاهرين المعصومين سيما الكهف الحصين وغيث المضطر المستكين، الإمام المنتظر والحجة الثاني عشر، بقية الله الأعظم عليه السلام.

لأن قيمة العلم وفضيلته أمر بديهي وواضح، ومن الاهداف الأصلية لخلق الإنسان عبادة الله وبالتالي تكون معرفة الله وطريق عبادته أفضل القيم المعرفية. إن الله سبحانه وتعالى يبين طريق معرفته في قالب الدين عن طريق حججه، والدين الالهي مجموعة العقائد والأحكام والأخلاق.

اساس الدين مبني على العقائد، وعليه فإن الاعتقاد الصحيح هو الشرط اللازم للتدين والاستقرار في طريق عبودية الله.

يمكن الوصول إلى الطريق الصحيح بالأخذ عن تعاليم أهل البيت عليهم السلام فحسب، وكلما خرج من غير هذا البيت باطل ولا يمكن انتسابه إلى الدين. مع ذلك فإن بعض المتفكرين حصروا العلم في الأمور المادية والتجريبية. والفكر من منظر الفلاسفة هو طريق الوصول إلى الحقائق، ويرى العرفاء إن طريق المعرفة منحصر في السير والسلوك والرياضة والكشف والشهود.

إن أفكار الفرق الثلاثة هي الغالبة في المجتمع العلمي مع كمال الأسف، وفي المقابل لا يعتنى بتعاليم الوحي ومعارف أهل البيت (عليه السلام).

إن مؤسسة عالم آل محمد (عليه السلام) المعارفية تسعى لطباعة ونشر الكتب التي ألقت على غرار الآيات والروايات، تقوية لمعارف الوحي.

المجموعة الحاضرة المؤلفة من خمسة أجزاء تعدّ دورة للأصول العقائدية في التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد بمنهج قرآني وروائي، كتبها المفكر الفاضل الأستاذ المعظم محمد البياباني الأمسكوي لتدريس طلبة الحوزات والجامعات - وقد طبعها للمرة الأولى باللغة الفارسية منشورات نبأ في طهران - . نرجوا أن يكون هذا الأثر مفيداً للوصول إلى المعارف الصحيحة.

مرتضى الأعدادي الخراساني

يوم الجمعة المصادف لولادة سيّدة نساء العالمين (عليها السلام) سنة ١٤٣٦ ق

مشهد المقدّسة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد، ولا تراه النواظر، الذي علا بكل مكرمة، تجلّى بكل فضيلة، وارتفع عن شبه المخلوقة، وقام بالقسط في خلقه، وعدل فيهم بحكمه، وأحسن إليهم في قسمه، ولا إله إلا هو الواحد القهار، والصلاة والسلام على خير الأنام وخاتم الأنبياء محمد المصطفى، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين المعصومين سادات المؤمنين عليهم صلاة الله وملائكته أجمعين.

ويعد...

فلا يبلغ ابن آدم إلا ويبلغ على تساؤلات مختلفة تدور في خلجه، تؤرقه ليلاً وتضمر هواجره، ومن هذه الأسئلة: من أين جئت؟ وإلى أين المصير؟ وكيف يكون المسير؟ من الذي جاء بي إلى هنا؟ ولماذا؟ وكيف؟ ما هي حقيقة هذا العالم من حولي؟ أين كنا قبل أن نأتي إلى هنا؟ وأين سنذهب بعد الموت؟... وعشرات الأسئلة المشابهة، التي لا تدع لضمير الإنسان ساعة راحة، إلا بعد إيجاد الإجابات عليها.

وهكذا كانت مواضيع المبدأ والمعاد، والخالق، من أكثر المواضيع بحثاً وسجالاً... أخذاً وعطاءً، في تاريخ البشر، كل ذلك لإراحة الضمير من وخزات الأسئلة المتراكمة، وحيث كان الإنسان يحب التخلص من هذا العبء بسرعة، راح يبحث عن إجابات جاهزة، أو بعيدة عن الموضوعية، أو إجابات تتناسب مع أهواءه وشهوته، فممنهم من أنكر الخالق رأساً، وممنهم من قال بأن الناس كالشمع يشتعلون فيذيبون فينتهون، وممنهم... وممنهم... وبذلك اختلفت المذاهب

واضطربت الإجابات وتباينت المسالك.

ولم يترك الله سبحانه عبادَه في متاهات الضلالة وحيرة الجهالة، رحمةً بهم ورأفة، إذ كانت الرحمة الإلهية هدفاً للخلقة حيث قال سبحانه:

﴿إِلَّا مَنْ رَجَعْ رُكَّ وَلَدَيْكَ خَلَقَهُمْ﴾^١

فواتر إليهم الأنبياء والرسل، لينيروا للبشرية في هذا المجال سبيلها، ويبينوا لهم ما احتاروا في غوامضه، فراح الأنبياء يهدون الناس إلى سواء السبيل والصرط المستقيم. حتى أن من الرب سبحانه على البشرية بخاتم الأنبياء ﷺ، الذي أرسله رحمةً للعالمين، ومعه الهدى والفرقان والذكر، فلم يدع الله سبحانه لذي رأي مقالاً في هذه المباحث، إذ يتن الباري في القرآن كل شيء، وأوضح النبي وأهل بيته ﷺ كل غامض، فبينوا للمرء مبدأه ومعاده، وذكروه بالخالق الرازق، حتى قال أمير المؤمنين ﷺ:

رَجَمَ اللَّهُ أَمْرَةً أَعَدَّ لِنَفْسِهِ وَاسْتَعَدَّ لِرَّسْمِهِ وَعَلِمَ مِنْ أَيْنَ وَفِي أَيْنَ وَإِلَى أَيْنَ.^٢

ولم يغفل علماء المذهب الساترين بسيرة النبي وأهل بيته ﷺ، عن المباحث المرتبطة بهذا الشأن والتي تشكل أركان الإيمان وأساس العقيدة، ومنطلق الدين، التي لولاها لم يكن للدين دعامة ولا قاعدة، حيث قال أمير المؤمنين ﷺ:

أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ.^٣

فقاموا بتصنيف المصنفات في هذا الشأن، وقد بينوا فيها مسائل المعتقد ببيان الروحي وأدلة العقل، متجاوزين فيها أوهام بعضي وراديين شبهات آخرين. وقد قام سماحة الأستاذ محمد البياباني الأسكوئي، بتأليف سلسلة من الكتب

١- هود (١١)، آية ١١٩.

٢- المواقف، ج ١، ص ١١٦، ح ٢٦.

٣- نهج البلاغة، الخطبة الأولى، ص ٣٩.

العقدية، متبعاً سيرة أسلافه من العلماء الأعلام، وامتاز كتابه هذا، بجزالة البيان، ومخاطبة العقل والوجدان، معتقداً على هدى الوحي ونوره، وبصيرة العقل وبرهانه. كما أن الكتاب قد هيء على شكل دروس مرتبة، تبدأ بالغاية من الدرس، وتنتهي بعد الشرح بملخصات له وأسئلة عن الموضوع، كل ذلك ليكون مهيئاً لدراسة الدارسين.

وفي الختام اشكر كل من ساهم في تنظيم وإخراج وتصحيح هذا الكتاب من القائمين بالعمل في مؤسسة عالم آل محمد ﷺ المعارفية وإسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل مني هذا القليل بأحسن القبول.

السيد سجاد المدرسي

كربلاء المقدسة - ١٤٣٥ق



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١ الدرس الأول

أهمية المعارف العقديّة ومعرفة الله تعالى، ومعنى (المعرفة) و (العلم)

- المعرفة عمل القلب
- أهمية معرفة الله تعالى
- الفرق بين العلم والمعرفة





مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تلميح

بعد الانتهاء من الدرس، يتوقع من الطالب أن يتعرف على مكانة البحوث العقائدية، ويجد أهمية وقيمة معرفة الباري عز وجل، وأن يتعرف على معنى مصطلح «المعرفة» والفرق بينه وبين مصطلح «العلم» بصورة إجمالية،^١ ويتعرف على آراء العلماء في هذين المصطلحين.

١. المعرفة، عمل القلب

يطلق الدين على مجموع التعاليم العقائدية والعملية التي يعبر عنها بـ: «العقائد، والأحكام، والأخلاق». الأحكام والأخلاق بدورها ناظرة إلى أعمال الإنسان وأفعاله، أما العقائد فالهدف الأساس منها هو المعرفة والاعتقاد الداخلي للفرد. ولا يخفى أن الفعل المذكور، يراد منه خصوص أفعال جوارح الإنسان، ولا يقصد منه المعنى العام الذي يشمل أفعال وأعمال القلب أيضاً، بمعنى عمل الجوارح والجوانح، وعلى ذلك يمكننا أن نعدّ المعرفة والعقيدة من أفعال قلب الإنسان. وقد ورد التأكيد على هذا الأمر، في حديث عن الإمام الصادق (عليه السلام)، حيث عدّ

١- هذا في اللغة لا في مورد الاستعمال، فإنه يراد من العلم النفس بالله في الاستعمال. (المترجم)

الإمام عمل القلب - أي روح البشر - من الأفعال الاختيارية، وقد يتن فيه الإمام بوضوح الفرق بين أفعال القلب وأفعال سائر الجوارح، وجعل ﷺ الإيمان الحقيقي هو الجامع لكل هذه الأعمال، فقد قال ﷺ:

فِيهَا قَلْبُهُ الَّذِي بِهِ يَعْقِلُ وَيَفْقَهُ وَيَنْفَعُهُ وَهُوَ أَمِيرُ بَدَنِهِ الَّذِي لَا تَرُدُّ الْجَوَارِحُ وَلَا تُصَدِّرُ إِلَّا عَنْ رَأْيِهِ وَأَمْرِهِ.... فَأَمَّا مَا قَرَضَ عَلَى الْقَلْبِ مِنَ الْإِيمَانِ، فَأَلْهَازُ وَالْمَعْرِفَةُ وَالْعَقْدُ وَالرِّضَا وَالسَّلَامُ بِأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.... فَذَلِكَ مَا قَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْقَلْبِ مِنَ الْإِهْزَارِ وَالْمَعْرِفَةِ وَهُوَ عَمَلُهُ وَهُوَ رَأْسُ الْإِيمَانِ^١.

ومن خلال هذا النص النضج لنا كيف أن الإمام ﷺ، جعل المعرفة والعقيدة أفعالاً للقلب، وصار القلب قائداً للجسم.

ومن هنا نعرف أن أفعال القلب أعلى منزلة من أفعال سائر الجوارح، حيث أن القلب أعطي سِمَةَ الرئاسة والقيادة للجسد.

٢. أَهْمِيَّةُ مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى

لا يخفى أن أهمية معرفة أي شيء، تتوقف على أهميته ومنزله، فكلما كان الشيء أعلى منزلة كانت معرفته أشرف وأكثر أهمية، وحيث إن الله تعالى لا يمكن أن يقاس بأي موجود آخر، فإن معرفته تعالى هي الأخرى لا يمكن أن تقاس بأيّة معرفة أخرى.

وحيث كان الدين مجموع الأمور المرتبطة بالله عز وجل بصورة مباشرة، فإن رأس جميع المعارف الدينية، هي معرفة البايع عز وجل، بل ولا قيمة لأية معرفة من دون المعرفة الأساسية، أي معرفة الله تعالى، قال أمير المؤمنين ﷺ:

أَوَّلُ الدِّينِ، مَعْرِفَةُ^٢.

١. الكافي، ج ٢، ص ٣٢-٣٥، ح (١١ بحار الأنوار) ج ٦٦، ص ٢٢، ح (١٦ الباب ٣٠ من أبواب الإيمان والإسلام... من كتاب الإيمان والكفر).

٢. نهج البلاغة، الخطبة العاشرة، ص ٣٩.

وقال أيضاً:

مَعْرِفَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَعْلَى الْمَعَارِفِ.^١

١-٢. معرفة الله، هدف الخلق

من الأهداف الهامة وراء خلقه الإنسان، إنما هي معرفة الله، حيث قال عز من قائل:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.^٢

وليس ثمة شك بأن العبادة لا تتحقق من دون المعرفة، ومن هنا قال إمامنا

الرضا عليه السلام:

أَوَّلُ عِبَادَةِ اللَّهِ، مَعْرِفَتُهُ.^٣

إن أعلى منازل الكمال لأي عبد، هو أن يؤدي حق العبودية بصورة كاملة قبل مولاه، ويكون عبداً مطيعاً لربه، وهذه العبودية لا تتحقق بالشكل المطلوب إلا في وقت يكون الإنسان مسلماً لله عز وجل في كل أموره ويكون مطيعاً له.

ويديهي أن التسليم والطاعة غير ممكنة من دون معرفة، فكم من إنسان عبد غير الله عز وجل، أو عبد نفسه وهواها، وهو يحسب أنه يعبد الله عز وجل، أو يصل إلى مرحلة يرتكب أعمالاً لا تليق بمقام الربوبية، بل تكون موهنة له سبحانه، بدل أن يستشعر درجات الخضوع والخشوع والعبودية لله عز وجل، يقول الإمام الحسين عليه السلام:

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ذِكْرُهُ مَا خَلَقَ الْعِبَادَةَ إِلَّا لِيَعْرِفُوهُ. فَإِذَا عَرَفُوهُ عَبَدُوهُ
فَإِذَا عَبَدُوهُ اسْتَغْنَوْا بِعِبَادَتِهِ عَنِ عِبَادَةِ مَنْ سِوَاهُ.^٤

١- تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٨١، ح ١٣٧٠.

٢- اللذريات (٥١)، الآية ٥٦.

٣- التوحيد، ص ٣٢، ح ٢؛ بحار الأنوار ج ٢، ص ٢٢٨، ح ٣ (الباب الرابع من أبواب أسمائه تعالى و... من كتاب التوحيد).

٤- حاشية الشرائع، ج ١، ص ٩، ح ١ (الباب التاسع) بحار الأنوار ج ٢٣، ص ٩٣، ح ٢٠ (الباب الرابع من أبواب جمل أحوال الأئمة عليهم السلام من كتاب الإمامة).

٢-٢. فضل معرفة الله على سائر المعارف

إنَّ المعارف بالله عزَّ وجلَّ والذي يأنس بمناجات ربه وعبادته، يعلم أنَّ قيمة كلِّ شيء ومنزلته، إنما هي بقربه إلى الله عزَّ وجلَّ، وأيُّ شيء يُبعد العبد عن الله ويكون وسيلة لغفلة الإنسان عنه، لا قيمة له بتأبُّتاً.

إنَّ الله عزَّ وجلَّ هو صاحب كلِّ النعم وجميع الكمالات ومن الواضح أنَّ من يرتبط بمالك النعم والكمالات ويعرفه ويتقرب إليه، يستغني عن كلِّ شيء آخر، وتسقط من عينه كلُّ زخارف الدنيا ولا تؤثر عليه مغرياتها.

من يعرف ربه ويجده قريباً منه، يأنس به ويألفه، فلا يخشى شيئاً ولا يخاف أحداً أبداً. إنَّ معرفة الله تعالى تبدل الظلمة نوراً، والعجز قوةً،^١ والوحشة أنساً، كيف لا؛ وإنَّ الإرتباط مع الله عزَّ وجلَّ، إرتباط بالحقيقة التي يكون منها النور والقوة... .

يقول الإمام الصادق عليه السلام عن منزلة معرفة الله عزَّ وجلَّ وفضلها على جميع المعارف:

لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي فَضْلِ مَعْرِفَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا مَدُّوا أَعْيُنَهُمْ إِلَى مَا مَنَعَ اللَّهُ بِهِ الْأَعْدَاءَ مِنْ زَهْرَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَاثَرِ دُنْيَاهُمْ أَقْلٌ عِنْدَهُمْ مِمَّا يَظُنُّونَهُ بِأَرْجُلِهِمْ، وَلَتَعْمُوا بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ وَتَلَدُّوا بِهَا تَلَدُّ مَنْ لَمْ يَزَلْ فِي رَوْضَاتِ الْحَيَاتَيْنِ مَعَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ؛ إِنَّ مَعْرِفَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ آتِيسٌ مِنْ كُلِّ وَحْشَةٍ وَصَاحِبٌ مِنْ كُلِّ وَحْدَةٍ وَنُورٌ مِنْ كُلِّ ظُلْمَةٍ وَقُوَّةٌ مِنْ كُلِّ ضَعْفٍ وَشِفَاءٌ مِنْ كُلِّ سَقَمٍ.^٢

٣. الفرق بين العلم والمعرفة

يظهر من خلال التأمل في حديث المذكور عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّ معرفة الله

١. لا تعني بهذا القول إله لا يصاب بالضعف الجسدي أو المرض الظاهري، أو حتى الفقري المال، بل تقصد بذلك أنَّ روح الإنسان لا تصاب بالضعف في مجال العبودية لله عزَّ وجلَّ وإن أصيبت بكلِّ هذه الأسقام والإبتلاءات. (المؤلف)

تعالى تعطي المرء طمأنينة في قلبه، وأنساً من كل وحشة، ويبقى علينا أن نعرف معنى المعرفة بشكل دقيق وما تتميز المعرفة به عن العلم.

٣-١. المعرفة في اللغة

قد فترت المعرفة في كتب اللغة بالعلم والفهم، يقول الفيومي:

عرّفته عِرْفَةً وعِرْفَانًا، عَلِمْتُهُ بِحَاشِيَةٍ مِنَ الْحَوَاشِيِ الْخَمْسِ. والمعرفة اسم منه.^١

وقال ابن المنظور:

العرفان: العلم ... وعرفه الأمر: أعلمه إياه. وعرفه بيته: أعلمه بمكانه، وعرفه

به: وسمه.^٢

وقد ذكر أحمد بن فارس معنيين أصليتين للفظ «عَرَفَ» إحداهما: الأمور التي تأتي تبعاً وتكون متصلة ببعضها البعض، والمعنى الثاني: السكون والطمأنينة، ويميل إلى المعنى الثاني، فيقول:

العين والراء والفاء، أصلان صحيحان، يدل أحدهما على تتابع الشيء،

متصلاً ببعضه ببعض والآخر على السكون والطمأنينة ...

والأصل الآخر المعرفة والعرفان: تقول: عَرَفَ فلان فلاناً عرفاناً ومعرفة، وهذا

أمر معروف، وهذا يدل على ما قلناه من سكونه إليه، لأن من أنكر شيئاً توحش

منه ونبأ عنه.^٣

ومن العبارة الأخيرة لابن فارس نكتشف أن المعرفة نوع خاص من العلم يستتبع

سكوناً وطمأنينة، وقوله: «من أنكر شيئاً توحش منه ونبأ عنه» دليل على أن السكينة

تحصل للمرء حين يصل الإنسان إلى شيء يعرفه؛ ويتعبير آخر يكون له علماً كاملاً

وتفصيلياً بالشيء وبخصوصياته وآثاره، فيكون محيطاً به ومشرفاً عليه، وليس أن

يكون العلم إجمالياً ومبهماً.

١. المصباح المنير، ص ٢٠٢.

٢. لسان العرب، ج ٩، ص ٢٣٦.

٣. مقاييس اللغة، ج ٢، ص ٢٨١.

ومن هنا فإنَّ الفرق بين المعرفة والعرَّفان وبين العلم، هو في أنَّ المعرفة في اللغة العربيَّة، محصورةٌ في تلك الإدراكات التي تخرج الإنسان من حالة الإنكار والتوخُّش، وقد تنأى هذه الحالة أيضاً للمرء من حيث الإحاطة العلميَّة بالمكشوف.

ومن الواضح أنَّ هذه السكينة والطمأنينة التي تحصل للإنسان بإدراك خاص تكون ذا مراتب ودرجات مع ملاحظة متعلِّق الإدراك، فقد يتعرَّف الإنسان على حقيقة فتشغله تلك المعرفة بحيث لا يحيد لشيء أهميَّة في هذه الوجود.

وعلى ما قلنا، فإنَّ المعرفة هي نوعٌ خاص من الإدراك^١، أمَّا العلم فهو إدراك عام يشمل المعرفة أيضاً، من دون ملاحظة السكون والطمأنينة، ولَمَّا كانت المعرفة نوع خاص من الإدراك يمتاز عن العلم بالسكون والطمأنينة، فلإمكاننا أن نستعمل هذه اللفظة مكان لفظة العلم أو الإدراك.

وفيما يلي نتعرَّض لبعض آراء العلماء في التمايز بين العلم والمعرفة:

٣-٢. التمايز بين العلم والمعرفة عند العلماء

١. يقول أبو هلال العسكري:

إنَّ المعرفة أخص من العلم؛ لأنَّها علم بعين الشيء منفصلاً عما سواه والعلم يكون مجملاً ومفصلاً.^٢

ويستمرُّ قائلاً:

قيل: المعرفة إدراك البسائط والجزئيات؛ والعلم إدراك المركِّبات والكلِّيات ومن ثمَّ يقال: عرفت الله، ولا يقال: علمته.

وقيل: هي عبارة عن الإدراك التصوُّري والعلم هو الإدراك التصديقي....

١. من البديهي أنَّ الله تعالى ليس عارفاً بهذا المعنى، إذ إله عزَّ وجلَّ لا يمتريه اضطراب ووحشة حتَّى يحصل الطمأنينة بالمعرفة. على ما ذكر، وعليه فلوجاءت لفظة العارف بالنسبة إليه عزَّ وجلَّ فالمراد منها العلم والإدراك العام لا المخصوص. (المؤلف)

٢. معجم الفرق اللغويَّة، ص ٥٠٠.

وقيل: المعرفة إدراك الشيء ثانياً بعد توسط نسيانه، لذلك يسمى الحق تعالى بالعالم دون العارف، وهو أشهر الأقوال في تعريف المعرفة.

وقيل: المعرفة قد تقال فيما تدرك آثاره وإن لم يدرك ذاته والعلم لا يكاد يقال إلا فيما أدرك ذاته، ولذا يقال: فلان يعرف الله ولا يقال: يعلم الله.^١

٢. يقول الشيخ البهائي عليه السلام:

قال بعض الأعلام: أكثر ما تطلق المعرفة على الأخير من الإدراكين للشيء الواحد إذا تخلل بينهما عدم، بأن أدركه أولاً ثم ذهل عنه ثم أدركه ثانياً فظهر له أنه هو الذي كان قد أدركه أولاً، ومن هاهنا سمي أهل الحقيقة بأصحاب العرفان، لأن خلق الأرواح قبل خلق الأبدان - كما ورد في الحديث - وهي كانت مقلعة على بعض الإشرافات الشهودية مقرة لمبدعها بالربوبية كما قال سبحانه: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ لكنّها لألفها بالأبدان الظلمانية وانضمّارها في الغواشيء الهيولانية ذهلت عن مولاها ومبدعها فإذا تخلّصت بالرياضة من أسر دار الغرور وترقّت بالمجاهدة عن الالتفات إلى عالم الزور، تجدد عهدها القديم الذي كاد أن يندرس بتمادي الأعصار والدهور وحصل لها الإدراك مرّة ثانية وهي المعرفة التي هي نور على نور.^٢

٣. يقول آية الله صافي الكلبايكاني رحمته الله:

المعرفة والعرفان، إدراك للشيء عبر التدبّر والتفكّر في آثاره وآياته، وهي أخص من العلم، إذ أن العلم هو مطلق الإدراك، ويحصل بالتفكّر في ذات الشيء، وبعبارة أخرى فإن المعرفة أخص من العلم.

وبعد أن يعرض الكلبايكاني لوجوه في شرح الحديث المشهور «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ» يقول:

١. معجم الفروق اللغوية، ص ٥٠١، ٥٠٢.

٢. الأريمن حديقاً، ص ١٧٨ وراجع أيضاً منهاج البرuce، ج ١، ص ١٣١٨ مجمع البحرين، ج ٢، ص ١١٩٨ بحار الأنوار، ج ٦٦، ص ٢٩٠، ذيل ج ٢٣ (الباب ٣٧ من أبواب الإيمان والإسلام... من كتاب الإيمان والكفر).

أما معرفة الرب فهي تحصل عبر التدبر في آياته، ولهذا فيقال: فلان عرف الله ولا يقال فلان علم الله، لأن معرفة البشر لله عز وجل إنما تكون بالتأمل في آثاره ودلائله لا بالتفكر في ذاته.^١

٣-٢. تأملات في أقوال العلماء

١. كما مر في تعريف «المعرفة» في الكتب اللغوية، لم نجد أحداً قد فسر المعرفة بأنها «إدراك الشيء» عبر آياته، بل جاء في *الفروق اللغوية* عكس ذلك صريحاً، وأن الروايات الواردة عن العترة عليهم السلام لا شاهد على ذلك، أضف إليه القول بأن معرفة الله عبر آياته لا عبر ذاته، تصح فيما لو كانت المعرفة تحصل به تعالى، أي إن ذات الله نفسه تكون محل الإدراك وتكون الآثار طريقاً إلى ذلك.

وقد يقال: إن هناك فرق بين المعرفة عن طريق الآيات، وبين المعرفة الناطقة إلى الذات من دون الالتفات إلى الآثار، إذ أن الإدراك عن طريق الآيات إدراك مجمل ومبهم، ولكن الإدراك عن طريق الالتفات إلى الشيء ذاته يكون إدراكاً إحاطياً.

وفي الجواب عن ذلك نقول: إن المعرفة المجملة والمبهمة لا تصدق بالنسبة إلى الله تعالى؛ فأي حقيقة أظهر من حقيقته جل وعلا فكيف يمكن أن يكون الله مبهماً ومجملًا؟

إن معرفة الله تعالى - لو تمت عن طريقه عز وجل - لا يمكن أن يعتريها إجمال، أما إن لم تكن المعرفة عن طريقه عز وجل، فليست بمعرفة له أصلاً.^٢

أضف إلى ذلك، أن هذا القول يتعارض المعنى اللغوي القائل بأن المعرفة إدراك عين الشيء، وكذا يتنافى بوضوح مع الآثار التي ذكرت للمعرفة في روايات الأئمة عليهم السلام، لأن آثار المعرفة ونتائجها تكون الأئس بالله جل جلاله والسكون إليه والطمأنينة عند العارف، وهذه الآثار لا يمكنها أن تكون آثاراً لمعرفة غير الله، نعم يمكن أن تحصل هذه الآثار عند معرفة بعض آيات الله أيضاً، لكن لو كان هذا الأثر

١- معرفت حجت خدا، ص ٢٩-٣٠.

٢- سوف نقض القول في هذا الأمر في الدروس اللاحقة.

من جهة المعرفة الاستقلالية للآية فلا يمكن أن تربط بمعرفة الله وإن كانت بنحو الآلية فإنها تكون بالتالي معرفة لله عز وجل وأثراً لمعرفته تعالى.

٢. إن عدم استعمال «علمت الله» واستعمال «عرفت الله» من دون وجود قرائن لا يمكن أن يكون دليلاً على أن المعرفة هي إدراك الشيء بآياته والعلم إدراك الشيء بذاته، أضف إليه أننا نجد «العلم بالله» قد ورد في لسان بعض الأحاديث الواردة عن العترة الطاهرة عليهم السلام، إذ أن معرفة الله ليست دائماً ملازمة للأنس والسكون والطمأنينة، كما لو وقع الإنسان في الشدائد والابتلاءات فإنه ينقطع أمله عما سوى الله عز وجل فيكون مدركاً لله، ولكن هذا الإدراك لا يلازمه اللذة والأنس.

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

ثَلَاثٌ مِنْ عَلَامَاتِ الْمُتَوَكِّلِينَ، عِلْمُهُ بِاللَّهِ وَمَنْ يُحِبُّ وَمَنْ يُفِضُ.^١

وقال عليه السلام أيضاً:

أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ الْعِلْمُ بِاللَّهِ.^٢

٣. إن معرفة الله عز وجل ليست منحصرة بمعرفته عبر آياته والآثار الدالة على وجوده؛ بل إن الأصل في المعرفة تحصل حين يُعرَف الله نفسه لعباده بشكل مباشر وبلا واسطة. والآثار والآيات تذكر الناس بذلك المعروف سابقاً، أي إن معرفة الله عبر الآثار، في الواقع هي معرفة الله بتعريفه لذاته.^٣

وكذا لو حصرننا طريق معرفة الله بآثاره، فيأتي السؤال عن معرفة الأنبياء والأئمة عليهم السلام، هل هي أيضاً عن هذا الطريق؟ فإن كانت الإجابة بالنفي، أي وجود طريق آخر عندهم

١. المحاسن، ج ١، ص ٢٦٣، ح ٣٣٢، الكافي، ج ٢، ص ١٢٦، ح ٤٩، بحار الأنوار، ج ١، ص ٢١٥، ح ٢٠ (الباب السادس من أبواب العلم وآدابه... من كتاب العقل والعلم).

٢. مستدرک الوسائل، ج ١١، ص ٣٠٠، ح ١٥ [١٣٠٩٠] (الباب ٢٨ من أبواب جهاد النفس... من كتاب الجهاد) المحاسن، ج ١، ص ٢٩١، ح ٤٣٩، بحار الأنوار، ج ١، ص ٢١٥، ح ٢١ (الباب السادس من أبواب العلم وآدابه... من كتاب العقل والعلم).

٣. سنتعرض لهذا البحث في المستقبل.

لمعرفته تعالى، فإن من الممكن حصولها لباقي الناس من نفس الطريق.

٤. ملخص الدرس

- الدين من جهة، يعني مجموع التعاليم العقائدية والعملية.
- العقائد في الواقع هي عمل القلب، وباعتبار أن للقلب سمته القيادة لسائر الأعضاء فإن عمل القلب يكون أكثر أهمية وأعلى منزلة من أعمال سائر الجوارح.
- معرفة الله عز وجل أهم عنوان في الدين وأعلى المعارف.
- معرفة الله عز وجل من الأهداف الهامة وراء خلقه الإنسان.
- إن معرفة الله تعالى مقدمة للعبودية له، بعبودية الله عز وجل يسغني الإنسان من عبادة غيره.
- معرفة الله سبحانه أنس الإنسان في كل وحشة، ونوره في كل ظلمة، وصحته وقوته في كل مرض وعجز.
- المعرفة، علم يرافقه السكون والطمأنينة.
- للعلم والإدراك معنى عام يشمل المعرفة أيضاً، ولكن لا يلاحظ فيهما السكون والطمأنينة.
- تفسير المعرفة بـ «إدراك الشيء» عبر آياته لا يتناسب معناه اللغوي وكذا لا يتوافق مع النصوص الشرعية.
- بالإضافة إلى «معرفة الله» استعمل «العلم بالله» في روايات الأئمة (عليه السلام).
- لا تنحصر معرفة الله في معرفته عبر الآيات، بل إن الأصل في المعرفة تحصل بتعريفه تعالى لذاته بشكل مباشر، حيث عرّف نفسه لعباده.

٥. اختبار ذاتي

١. ماذا تفوقت المعارف العقائدية على سائر المعارف كالأخلاق والأحكام؟
٢. بين أهمية معرفة الله تعالى.

٣. «معرفة الله عزّ وجلّ من الأهداف الهامّة للمخلقة» اشرح هذا الأمر انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

٤. بيّن أهميّة معرفة الله تعالى من خلال دراستك لحديث الإمام الصادق عليه السلام.

٥. «العلم أعمّ من المعرفة» وضح ذلك.

٦. هل يمكن تحصيل المعرفة من خلال الآثار والآيات؟

٧. هل يصحّ قول «علمت الله»؟ وما هو الفرق بين هذه العبارة وعبارة «عرفت الله»؟



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

٢ الدرس الثاني

معرفة الله فطرية: الآيات (١)

- الفطرة في اللغة
- المعرفة الفطرية في القرآن الكريم





مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تلميح

بعد الانتهاء من الدرس، يتوقع من الطالب أن يكون عارفاً
بالمعنى اللغوي للفطرة، ويفهم المقصود من المعرفة
الفطرية لله تعالى، وكذا لفظ «صبغة الله» ويفهم المراد من
«كون الإسلام حنيفاً»، وكذلك يطلع على الآيات التي
تنفي أدنى شك في وجود الله عز وجل.

قد تبين لك في الدرس الماضي أن المعرفة تعني إدراك عين الشيء، ولا يتنافى هذا
المعنى مع إدراك الشيء عبر آياته وآثاره، وفي هذا الدرس سنتعرض للمعنى اللغوي
للفطرة ثم نبين بعض الآيات الكريمة الدالة على أن معرفة الله تعالى، هي معرفة فطرية.

١. الفطرة في اللغة

١-١. آراء اللغويين وعلماء الألسنة

يقول أحمد بن فارس في مقاييس اللغة:

(فطر) الفاء والطاء والراء، أصل صحيح يدل على فتح شيء وإبرازه، من ذلك:
الفطر من الصوم... ومنه القطر بفتح الفاء وهو مصدر فطرت الشاة فطراً إذا
حلبتها... والفطرة: الخلقة.^١

١. معجم مقاييس اللغة، ج ٢، ص ٥١٠.

ويقول صاحب القاموس:

الْفَطْر: الشَّقُّ، وبِالضَّمِّ وبِضْمَتَيْنِ: ضَرْبٌ مِنَ الْكَمَاءِ قَتَالٌ... وبِالْكَسْرِ: الْعَنْبُ إِذَا بَدَتْ رُؤُوسُهُ... وَفَطَرَ الْعَجِينَ: اخْتَبَرَهُ مِنْ سَاعَتِهِ وَلَمْ يَخْمَرْهُ... وَنَابَ الْبَعِيرُ فَطَرًا وَفَطُورًا: طَلَعَ، وَفَطَرَ اللَّهُ الْخَلْقَ: خَلَقَهُمْ وَبَرَأَهُمْ، وَفَطَرَ الْأَمْرَ: ابْتَدَأَهُ وَأَنْشَأَهُ، وَفَطَرَ الصَّائِمَ: أَكَلَ وَشَرَبَ... وَفَطَرَ الْفَطِيرَ: كُلُّ مَا أَعْجَلَ عَنْ إِدْرَاكِهِ...^١

وقد ورد في أساس البلاغة:

سيف فطار: عمل حديثاً لم تعتق... ومن المجاز: لا خير في الرأي الفطير.^٢

وقد ورد الـ (فطر) في لسان العرب بمعنى الشَّقِّ، فقد جاء فيه:

وأصل الفطر: الشَّقُّ... ومنه أخذ فطر الصائم لأنه يفتح فاه... وسيف فطار: فيه صدوع وشقوق... وفطر ناب البعير يفطر فطراً: شَقَّ وطلع....
وانفطر الثوب إذا انشق وكذلك تنفطر. وتنفطرت الأرض بالنبات إذا تصدعت.
والفطر ما تنفطر من النبات، والفطر أيضاً جنس من الكمأ أبيض عظام، لأن الأرض تنفطر عنه... والفطر: العنب إذا بدت رؤوسه لأن القصبان تنفطر....
وفطر الله الخلق يفطرهم: خلقهم وبدأهم. والفطرة: الابتداء والاختراع.^٣

وقال الزمخشري في شرحه لحديث «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ»:

بناء الفطرة تدل على النوع من الفطر كالجلسة والركبة، وفي اللام إشارة إلى أنها معهودة.

وقد ذهب إلى أن المراد من الفطرة المعهودة هي الواردة في قوله تعالى: «فَطَرَتْ

اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا»، ويضيف قائلاً:

والفطر: الابتداء والاختراع. ومنه حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: ما كنت لأدري ما فاطر السماوات والأرض حتى احتكم إلى أعرايئان في

١. القاموس المحيط، ج ٢، ص ١٩٣.

٢. أساس البلاغة، ج ٢، ص ٢٨.

٣. لسان العرب، ج ١٠، ص ٢٨٥-٢٨٦.

بر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي: ابتدأت حفرها.

والمعنى أنه يولد على نوع من الجبلة وهو فطرة الله...^١

وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتاب العين:

الْفَطْر: ضرب من الكماء... والْفَطْر: شيء قليل من اللبن يحلب من ساعتين.

فطر ناب البعير: طلع، وفطرت العجين والطين: أي عجنته واختبرته من

ساعته. وفطر الله الخلق أي: خلقهم وابتدأ صنعة الأشياء... والفطرة التي

طبعت عليها الخليفة من الدين، فطرهم الله على معرفته بربوبيته... وانفطر

الثوب وتفطر: أي انشق.^٢

٢-١. ملخص البحث

من خلال التأمل في آراء اللغويين يمكننا تلخيص المعاني الموضوعية لمفردة

«فطر» إلى ما يلي:

١. السيف الجديد الذي خرج لساعته من عند الحداد ولم يستخدم بعد

«سيف فطار».

٢. العجينة التي لم تُخمر وليست جاهزة للخبز «فطير».

٣. الرأي الساذج الذي يدليه صاحبه باستعجال ودون تأمل «فطير».

٤. الخلقة، بمعنى الإيجاد والصنع «الفطرة».

٥. الكماء الأبيض الخارج من الأرض «فطر».

٦. الأسنان الخارجة لتوها من بين اللثة «فطر».

٧. حبات العنب النابتة على الشجرة «فطر».

٨. حفر البئر الجديدة، بشق الأرض «أنا فطرتها؛ أي أنا الذي أوجدتها أولاً».

ومن خلال ملاحظة الاستعمالات الواردة لهذه المفردة وكذلك الالتفات إلى

١. الفائق في غريب الحديث، ص ١٢٧.

٢. كتاب العين، ص ٧٢٧.

مشتقاتها في اللغة العربية، وكذا من خلال التأمل في البحث عن جذور اللفظة في كتابي معجم مقاييس اللغة ولسان العرب، يمكننا أن نستنتج أن لفظة «فطر» تعني الابتداء وإيجاد الشيء، تبين الأمر، ويلزم هذه المعاني الفتح وإحداث الشق في الشيء.

٢. المعرفة الفطرية في القرآن الكريم

٢-١. آية الفطرة

﴿فَأَفْهَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^١

إشارات:

أ. في بداية الآية يأمر الله تعالى عباده بأن يقيموا وجوههم نحو الدين، من دون أي انحراف عنه.^٢

ب. في الآية إشارة إلى فطرة الله عز وجل التي فطر الناس عليها، وقد رغب الله عز وجل فيها عباده على ملازمتها، وأمرهم أن يستقيموا على هذه الفطرة.

ومن بعد ذلك صرح بأن هذه الفطرة منسوبة إليه، وقد كانت خلقة الإنسان مجذوبة بها، ومن هنا قلن تجد لهذه الفطرة تغييراً أو تحويلاً.

وحيث أن الفطرة معجونة في خلقه البشر قد أودعها الله تعالى برحمته فيهم، فإن تغييرها أمر مستحيل، ومن هنا نجد التأكيد في الكثير من الآيات على أن الناس جميعاً لو سئلوا عن خالقهم لأجابوا بأنه الله عز وجل، نعم قد يغفل الإنسان وجود هذه الفطرة عنده ويحجب نفسه عنها، فوجودها وعدم تغييرها أمر

١- الروم (٣٠)، الآية ٣٠.

٢. الدين يعني طريقة العبودية لله. وقد شرح الباري عز وجل مجموعة من الأوامر المرتبطة بالعبودية له في الأركان والأماكن المختلفة، وقد بلغها عباده، ففي هذه الآية الشريفة أمر الباري عباده أن يسجدوا بالطريقة التي اختارها كي يسلموا من الانحراف في طريق العبودية. (المؤلف)

والاحتجاب عنها أمر آخر.

ج. وفي نهاية الآية نبيان بأن الدين الثابت والقيم، والذي لا يقبل التبديل والتغيير، هودين جميع الأنبياء والمرسلين في جميع الأعصار والأمصار، وهو الدين المطابق لفطرة الإنسان. وقد سُمي ربنا هذا الدين بالإسلام: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ...﴾^١.

وقال أيضاً:

﴿أَفَقَمِرَ دِينَ اللَّهِ يَبْقُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً
وَأَلَيْهِ يُرْجَعُونَ • قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا
تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ • وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ
يُغْنِيَ عَنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^٢.

وقال عز من قائل:

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾^٣.

د. إن الدين الفطري هودين الإسلام، وهودين جميع الأنبياء، ولا اختلاف فيه عند سائر الأديان الإلهية. المعنى الدقيق للإسلام هو العبودية والتسليم والطاعة لله عز وجل. من هنا فإن الفطرة الواردة في الكثير من الروايات قد عرفت بأنها الإسلام والتوحيد لله عز وجل.

قال أبو عبد الله الصادق (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ قال: فطرهم جميعاً على التوحيد.^٤

١. آل عمران (٣)، الآية ١٩.

٢. آل عمران (٣)، الآية ٨٣-٨٥.

٣. آل عمران (٣)، الآية ٦٧.

٤. الكافي، ج ٢، ص ١٢، ح ١٣ التوحيد، ص ٣٢٩، ح ١٥ بحث في التوحيد، ج ٣، ص ٢٧٨، ح ٨ (الباب ١١ من كتاب التوحيد).

وقال ﷺ أيضاً:

هي الإسلام، فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد.^١

هـ: ورد التصريح في بعض النصوص الشريفة بأن الناس قد فُطروا على المعرفة،

فقد ورد عن الإمام الباقر ﷺ في ذيل الآية التي نحن بصدددها، أنه قال لزواره:

فطرهم على التوحيد عند الميثاق على معرفته الله ربهم، فلكم وخاطبوه؟

قال: قطعاً وأسه، ثم قال: لولا ذلك لم يعلموا من ربهم ولأمن رازقهم.^٢

والحاصل أن الفطرة تعني البدء بالشيء، ومن هنا فإن فطرة التوحيد والإسلام

وكذا معرفة الله تعالى قد خلقت مع الإنسان، وامتزجت مع حقيقته، ولم تزل معه

ولا يفقدها أبداً.

والروايات الواردة في تفسيرية الفطرة تؤكد هذا المعنى المذكور أيضاً.

٢-٢. آية ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى فَنَهَيْنَا عَنْ ذَلِكَ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ خَنيفاً وَمَا كَانَ

مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ

وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن

رَبِّهِمْ لَا نَفَرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * فَإِنِ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ

فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ

الْعَلِيمُ * صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾.^٣

إشارات:

أ. يعلم الله عباده المؤمنين بأن يخاطبوا اليهود والنصارى - المعتقدين بأن

الهداية في أديانهم فقط - يقولوا لهم: إن الهداية وحدها تكون لمن آمن بالله عز وجل

١. التكملي، ج ٢، ص ١٢، ح ١٢٢، التوحيد، ص ٣٢٩، ح ١٢، بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٧٨ (الباب ١١ من كتاب التوحيد).

٢. التوحيد، ص ٣٣٠، ح ٨، ص ١٣٣٠ بحار الأنوار، ج ٣، ص ٢٧٨، ح ١٠ (الباب ١١ من كتاب التوحيد).

٣. البقرة (٢)، الآيات ١٣٥-١٣٨.

ويكل ما جاء به الأنبياء ﷺ من عنده، ولا يفرقون بينهم؛ وبعبارة أخرى، فإن الهداية محصورة في الطاعة لله تعالى والتسليم له والعبودية الخالصة له عز وجل، ومن جعل لله عز وجل شريكاً في مقام الطاعة، فإنه قد جعل إلهاً آخر في قبال الله، وفي عرضه عز وجل وهذا الشخص يخرج نفسه من زمرة المخلصين لله، ويبعد نفسه عن الصبغة الإلهية التي صبغ عباده الخالصين بها، وهي أفضل صبغة وعلامة لأي عبد، هي علامة المالك والمولى له، حيث يتوهم بها العبد في كل حال.

ب. إن مضمون هذه الآية، مقارب لمضمون الآية: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ طَرَفَاتٍ وَأُولَئِكَ أَصْنَانٌ﴾، بأن جميع الناس عباد لله عز وجل، وأن كل إنسان يحمل معه آيات الله عز وجل وقد جعلت فيه تكوينياً منذ خلقته.

ج. أحاديث الـ«صبغة» الواردة في ذيل هذه الآية المباركة، تبين - كما في الروايات الواردة في آية الفطرة - أن الصبغة هي الإسلام ومعرفة ولاية أمير المؤمنين ﷺ في الميثاق؛

فالإمام الصادق ﷺ يفسر «صبغة الله» بأنها «الإسلام»^١.

وفي حديث آخر يبين الإمام الصادق ﷺ بأن الصبغة المذكورة هي ولاية أمير المؤمنين ﷺ حين الميثاق.^٢

ولا يخفى أن معرفة ولاية أمير المؤمنين ﷺ لا تكون ممكنة إلا بمعرفة الله عز وجل، فبالعلازمة يمكننا أن نستفيد من معنى الصبغة - المراد منها ولاية أمير المؤمنين ﷺ - يمكننا أن نستفيد معرفة الله تعالى أيضاً.

٢-٣. آية ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾:

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَكُوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا

١. الكافي، ج ٢، ص ١٢، ح ١٤٦٨؛ تهذيب، ج ٢، ص ٢٨١، ح ١٥ (الباب ١١ من كتاب التوحيد) التفسير المجمع، ج ١، ص ٦٢.

٢. راجع: التفسير المجمع، ج ١، ص ٦٢، ح ١٤٦٨؛ تهذيب، ج ٢، ص ٢٨١، ح ٢٠ (الباب ١١ من كتاب التوحيد).

كَفَرْنَا بِمَا أَرْسَلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ • قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَتُؤَخَّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى...﴿١﴾

إشارات:

أ. إن هذه الآيات المباركة تنفي وجود أي نوع من الشك والتردد في الله عز وجل. وينشأ ذلك من كون معرفة الله عز وجل معرفة فطرية، المصريح بها في الآيتين السابقتين، إذ تبين لك من خلالهما أن الناس يعرفون ربهم بتعريفه جلّ وعلا من بدء خلقهم.

ب. من خلال مراجعة الروايات المعتبرة، يتبين لنا أن الباري عز وجل قد أنسى الناس تلك المعرفة الفطرية في الدنيا عمداً وألقى عليهم حجاب الغفلة، لتكون مسؤولية الأنبياء والرسل ﷺ إزاحة ستار الغفلة والجهل عن الناس في معرفة الله عز وجل كي يظهر للعباد بواسطة تذكير الأنبياء والرسل.

ج. ينقسم الناس من جهة معرفة الله عز وجل إلى اثنين، فإما أن يكونوا غافلين أو متذكرين ومتوجهين. فمن كان غافلاً فلا يصح إطلاق الشاك والمتردد عليه، ولا يمكن تسميته بالمنكر والجاحد للربوبية. أما من كان ملتفتاً وقد عرف الله بالله (أي بتعريفه تعالى نفسه له، فالمعرفة فعله عز وجل)، فلا وجه لأن يدع الشك والترديد يدخل قلبه في معرفته تعالى. نعم بإمكانه أن يعقد قلبه على تلك المعرفة، فيعتقد بها وتكون أمام عينه في كل سلوكياته، كما يمكنه أن يعاند ويجهد بالمعرفة ويكشع بوجهه عنها، ولا يعتني بها في سلوكياته وأفعاله، وأن لا يخضع لها. ومن هنا يتضح عدم إمكانية الشك والترديد لأي أحد، في الله عز وجل المعروف بتعريفه، إلا أن الناس بالخيار بين الإنكار والتسليم، والإيمان والكفر بالنسبة إلى معرفته جلّ اسمه.

د. سيوضح لك لاحقاً بأن المعرفة فعل الله. وكونها أمراً فطرياً يؤكد على أن الله

تعالى قد أودع المعرفة في الناس منذ أن خلقهم. والآية المباركة صريحة في أن الناس ليس لهم أن يشككوا تجاه الله عز وجل. ومن هذه النقاط يتبين بوضوح أن معرفة الله عز وجل ليست نظرية واكتسابية ليكلف الناس بتحصيلها عن طريق الاستدلالات والبراهين، لتكون النتيجة إمكانية دخول الشك فيها.

ومن هنا فإن هذه الآية - كآيات السابقة - تدل على أن معرفة الباري عز وجل فعله، وإذا لا يمكن لأحد أن يشكك فيها، فهي فطرية عند الجميع.

٢-٤. آية ﴿خُتِفَاءَ إِلَهٍ﴾

﴿...فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ • خُتِفَاءَ إِلَهٍ غَيْرِ مُشْرِكِينَ بِهِ...﴾^١

إشارات:

أ. إن اجتناب الشرك وعبادة الأصنام عمل حنيف ومستقيم ولا ميلان فيه ولا انحراف، أما الشرك فهو عمل باطل ومنحرف. وقد أودع كل إنسان معرفة الله وتوحيده والتسليم له في أصل خلقته، وقد أصيبت شخصيته بصبغة العبودية لله تعالى. ومن هنا فمن يسير في مسير التوحيد والطاعة والعبودية لله عز وجل ويتبع عن الشرك والباطل فإنه يوافق فطرته ولم يمل عنها، أما من يشرك بالله تعالى ويتبع الباطل فإنه قد مال عن فطرته وانحرف عنها.

ب. فترت الروايات المباركة هذه الآية بالتوحيد، وهذا التفسير قد اتفق مع تفسير آية الفطرة.

قال الإمام الباقر (عليه السلام) في ذيل هذه الآية:

الْحَنِيفِيَّةُ مِنَ الْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيْهَا لِتَجِدُوا لَهَا خَلْقَ اللَّهِ. قَالَ: فَطَرَهُمْ عَلَى الْمَعْرِفَةِ بِهِ.^٢

١. سورة الحج (٢٢)، الآية ٣٠-٣١.

٢. الكافي، ج ٢، ص ١٧، ح ١٩؛ بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ١٣٥، ح ٧ (الباب الرابع من أبواب الإيمان... من كتاب الإيمان والكفر).

وقد جاء في تفسير الفطرة في الآية:

فَطَرَهُمْ عَلَى التَّوْحِيدِ.^١

٣. ملخص الدرس

- بناءً على هدى آيات القرآن الكريم، يتبين أن معرفة الله سبحانه أمر فطري.
- الفطرة في الأصل، تعني البدء والإيجاد، أو الظهور والخلقة.
- يعنى بالفطرة، معرفة الله سبحانه والتسليم في قبال أو امره؛ الأمر الذي فطر عليه البشر منذ بدء خلقهم.
- الإسلام بمعنى التسليم، هو فطرة البشرية ودين جميع الأنبياء ﷺ.
- إن الله سبحانه بتعريفه نفسه لعباده، صبغهم بصبغة التوحيد ووسمهم بوسام العبودية له.
- حيث كان الناس قد عرفوا ربهم بتعريفه نفسه، فإنهم سيذكرون الرب بعد تكبير الأنبياء لهم، وحينئذ فلا مجال للشك والتردد في الله.
- معرفة الله والتسليم في قباله أمر متوافق مع فطرة البشر، بعكس العناد فإن ذلك يُعدّ انحرافاً عن الفطرة الإلهية.

٤. اختبار ذاتي

١. ما المقصود بالفطرة؟
٢. ماذا تعني «المعرفة الفطرية»؟
٣. اشرح العبارة «الدين الذي فطر عليه الناس جميعاً هو الإسلام».
٤. لماذا عُرِّفَت الفطرة في بعض الروايات بالتوحيد؟
٥. ماذا تعني صبغة الله؟
٦. ما هي العلاقة بين «صبغة الله» و«الفطرة»؟
٧. لم لا يوجد مجال للشك والتردد في الله جلّ وعلى؟
٨. يبين معنى الجملة «الحقيقة معناها اجتناب الشك والشرك».

١. للكافي، ج ٢، ص ١٣، ح ١٥؛ بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٧٧، ح ٦ (الياب ١١ من كتاب التوحيد).

٣

الدرس الثالث

معرفة الله فطرية: الآيات (٢)

- آيات ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾
- آية ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً...﴾
- آية ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾
- آيات البأساء والضراء
- ظهور المعرفة الفطرية في الشدائد، والإيمان والكفر





مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تلميح

بعد الانتهاء من الدرس يتوقع من الطالب أن يكون عارفاً باتفاق الناس جميعاً على التوحيد ومعرفة الله، ويطلع على المعنى المراد من (الأمة الواحدة) التي كان الناس عليها قبل بعثة الأنبياء والرسل، كما يتوقع منه أن يكون قادراً على تبيين العلاقة بين مذكرات الأنبياء وفطرية المعرفة، كما يكون قادراً على معرفة الحكمة من وراء وقوع الناس في حالة البأساء والضراء.

تبيّن لك في الدرس الثاني بأن معرفة الله تعالى هي فطرية للبشر. كما تبيّن أن الفطرة في اللغة، تعني البدء بالشيء، وحيث إن الناس عجنوا بمعرفة الله منذ خلقهم، سميت معرفتهم هذه بالمعرفة الفطرية. وقد ذكرنا في الدرس السابق بعض الآيات الدالة على هذا الأمر، وفي هذا الدرس، سنذكر بعض الآيات الأخرى الدالة على كون المعرفة أمراً فطرياً.

١. آيات: ﴿وَلَيْتَن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ...﴾

قال تعالى: ﴿وَلَيْتَن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ • اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ

اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ • وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَلْهَمْنَا بِهِ الْأَرْضَ
مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ^١!

وقال عز من قائل:

﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ • سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ • قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ • سَيَقُولُونَ
لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ • قُلْ مَنْ يَدْعُو مَلَكَوْتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ
إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ • سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ^٢﴾.

إشارات:

أ. تدل هذه الآيات بصراحة، على أن جميع الناس يعرفون ربهم، فلو ذكروا به أقروا
بوجوده، واعترفوا بخالقته وربوبيته ورازقته وألوهيته. فالناس ومن خلال تذكير
الأنبياء، والمعرفة الكامنة في داخلهم، يعترفون بأن خالقهم هو الله، وهو المدبر
لأمورهم، وأرزاقهم بيده وحده، ومع ذلك كله يعرفون أنهم غير قادرين على إدراكه
تعالى بالحواس وأن المعرفة ليست أمراً اختيارياً عندهم ليتمكنوا من معرفته
وإدراكه متى ما أرادوا. ومن هنا كان اسمه جل وعلى «الله»، أي إنا رغم معرفتنا به
عاجزون عن إدراكه بحواسنا فنتأله فيه ونحتار.

ب. قد صرح الإمام أبو جعفر الباقر (ع) في الحديث المروي عنه أن الآيات تبين

المعرفة الفطرية:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، يَعْنِي الْمَعْرِفَةَ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ
وَجَلَّ خَالِقُهُ كَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ^٣﴾.

١. المنكوت (٢٩)، الآيات ٦١-٦٣.

٢. المؤمنون (٢٣)، الآيات ٨٢-٨٩.

٣. الكافي ج ٢، ص ١٢، ح ٢٢؛ التوحيد، ص ٣٣، ح ٩؛ بحار الأنوار ج ٣، ص ٢٧٩، ح ١١ (الباب ١١ من كتاب التوحيد).

ج. وفي حديث آخر، روي عن أبي هاشم الجعفري عن إمامنا الجواد عليه السلام حين سئل: مَا مَعْنَى الْوَاحِدِ؟ قَالَ: الَّذِي اجْتَمَعَ الْأَلْسُنُ عَلَيْهِ بِالتَّوْحِيدِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^١.

وفي حديث نظير له ورد عن الإمام الجواد عليه السلام في معنى الواحد: الْمَجْتَمَعُ عَلَيْهِ بِجَمِيعِ الْأَلْسُنِ بِالتَّوْحِيدِ^٢.

د. هذه الروايات الواردة في تفسير الآيات الشريفة، تصرّح بكون المعرفة أمراً فطرياً، وتثبت اتفاق الناس عليها. وهذا الاتفاق من قبل الناس يصح في حالة واحدة فقط، وهي أن تكون معرفة الله وتوحيده وربوبيته وخالقيته وألوهيته من الأمور الثابتة في فطرة الإنسان، وإلا لما اجتمع الناس عليها، إذ لو كانت المعرفة - كما يزعم البعض - أمراً اكتسابياً ونظرياً، لاستحال اجتماع الخلق كلهم عليها.

٢. آية ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً...﴾

قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^٣.

إشارات:

أ. إن الآية المباركة تشير إلى أن بعثة الأنبياء أمر متفرّع على اجتماع الناس على أمر واحد وعدم اختلافهم، وبعبارة أخرى إن الله أرسل الأنبياء لأن الناس كانوا مثقفين مثقلين، ليخرجوهم من هذه الوحدة.

١. التوحيد، ٨٣، ح ١٢ بحار الأنوار ج ٣، ص ٢٠٨، ح ٢ (الباب السادس من كتاب التوحيد).

٢. التوحيد، ٨٢، ح ١١ بحار الأنوار ج ٣، ص ٢٠٨، ح ٢ (الباب السادس من كتاب التوحيد).

٣. البقرة (٢)، الآية ٢١٣.

ومن المسلم أن الله لم يبعث الأنبياء ليقعوا الخلاف والتفرقة بين أبناء المجتمع؛ إن عدم الالتفات إلى هذه الملاحظة اودت بأكثر المفسرين إلى تفسير الآية بشكل مقلوب، حيث قدروا اختلافاً بين الناس بعد اتحادهم، وفرضوا البعثة على الاختلاف.

قال الزمخشري:

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ متفقين على دين الإسلام ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾ يريد: فاختلّفوا فبعث الله. وإنما حذف لدلالة قوله: ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ عليه.^١

وقال الفخر الرازي:

إنّ الناس كانوا أمةً واحدةً قائمة على الحق، ثمّ اختلفوا. وما كان اختلافهم إلا بسبب البغي والتحاسد والتنازع في طلب الدنيا.^٢

وقد كثر الكلام في كتب التفسير بأن البعثة كانت بسبب الاختلاف والتفرقة، لا الاجتماع والوحدة.^٣ وهذا المعنى وإن كان صحيحاً من المنظار الاجتماعي للبشر؛ ولكن السؤال هو هل أن مراد الله تبارك وتعالى من هذه الآية هو ما ذهب إليه المفسرون أيضاً أم هو أمر آخر؟

ومن المسلم أن المعنى الذي ذهب إليه المفسرون هو خلاف ظهور الآية، بل خلاف صريح الآية المباركة، لأن الآية تدلّ وبوضوح على أن سبب البعثة هو اجتماع الأمة واتحادهم.

ب. المرحوم آية الله الملّكي الميانجي رحمته الله، قد فسر هذه الآية - انطلاقاً من الروايات الشريفة - بشكل آخر، ويقول:

إنّ الموجب والسبب لبعث الأنبياء والرسول ليس هو اختلاف الناس، بل بعث

١. الكشاف، ج ١، ص ٢٥٥.

٢. التفسير الكبير، ج ٦، ص ٣٧٢.

٣. الميزان، ج ٢، ص ١١٣ التفسير لموله، ج ٢، ص ٩٢-٩٥.

الأنبياء إتما هو لوضع التكليف والعبادات وسوقهم إلى المعاد وتربيتهم وتزكيتهم وإيصالهم وهدابهم إلى أعلى مدارج الكمال وأن يستأهلهم لقرب الحق تعالى، وليحكموا بينهم لو اختلفوا في الحقائق وليضعوا قوانين عامة، كي يرجعوا إليها عند التخاصم والتنازع.^١

ج. صريح الآية الكريمة أن سبب البعثة كان اتحاد الناس واجتماعهم، لا اختلافهم، ومن هنا فعلينا أن نبحث عن المراد من اتحاد الناس واجتماعهم. ومن خلال الرجوع إلى روايات أهل البيت عليهم السلام، يتبين هذا الأمر، حيث بينت الروايات بأن الناس كانوا متحدين - قبل بعثة الرسل - من جهة الكفر والإيمان، فلم يكونوا مؤمنين ولا كافرين ولا مشركين. فقد مثل الإمام الصادق عليه السلام عن معنى الأئمة الواحدة في الآية المباركة، فقال:

فَقَالَ: كَأَنَّ ذَلِكَ قَبْلَ نُوحٍ.

قِيلَ: فَعَلَى هَذَى كَانُوا؟

قَالَ: بَلْ كَانُوا ضَلَالًا... لَمْ يَكُونُوا عَلَى هَذَى - كَانُوا عَلَى فِطْرَةِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَهُمْ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ، وَلَمْ يَكُونُوا لِيَهْتَدُوا حَتَّى يَهْدِيَهُمُ اللَّهُ - أَمَّا تَسْمَعُ يَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: «لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ»^٢ أَيْ: نَاسِيًا لِلْمِيتَةِ.^٣

وفي حديث آخر، يقول الإمام الصادق عليه السلام:

كَانُوا ضَلَالًا، كَانُوا لَا مُؤْمِنِينَ وَلَا كَافِرِينَ وَلَا مُشْرِكِينَ.^٢

ويقول عليه السلام أيضاً:

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ النَّاسَ عَلَى الْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهَا لَا يَعْرِفُونَ

١. منهاج البهتان، الجزء الثاني، ص ١٨٢.

٢. تفسير العتاشي، ج ١، ص ١٠٥-١٠٦، ح ١٣٠٩ تفسير نور الثقلين، ج ١، ص ٢٠٨، ح ٧٨٢.

٣. تفسير العتاشي، ج ١، ص ١٠٦، ح ١٣٠٦ تفسير نور الثقلين، ج ١، ص ٢٠٨، ح ٧٨٢.

إِيمَانًا بِشَرِيعَةٍ وَلَا كُفْرًا بِجُحُودٍ ثُمَّ ابْتَعَثَ اللَّهُ الرَّسُلَ إِلَيْهِمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى
الْإِيمَانِ بِاللَّهِ حُجَّةً لِلَّهِ عَلَيْهِمْ فَيَنْهَى عَنْ هَذِهِ اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَهْدِهِ^١.

د. لا تعني المعرفة الفعّرية، إنّ الناس مع وجدانهم لها يكونون مؤمنين بالله عزّ وجلّ، بل تعني أنّ الإنسان يولد وهو يحمل معه أصل المعرفة، ولكنّ الله تعالى يلقي عليها (أي المعرفة) حجاب الغفلة والنسيان، فيغفل الإنسان عن تلك المعرفة^٢. فالناسي والغافل عن الله عزّ وجلّ لا يتحقّق بالنسبة إليه إيمان ولا كفر، كما هو واضح، بل يكون في هذه المرحلة: ضالّاً، كما عبّرت عنه الروايات الشريفة، فلا يعرف الضالّ شيئاً عن الله تعالى في تلك المرحلة، ولكن وبعد بعثة الأنبياء يرتفع حجاب الغفلة وستار النسيان عن عقولهم، وعلى أثر هذا الانتباه يتّضح لهم وجوب الإيمان بالله عزّ وجلّ والتسليم له والالتزام بأوامره والإلتزام عن نواهيه، كما يتّضح حرمة التكبر والإتكار والشرك بالله عزّ وجلّ.

وبعد هذا الانتباه - ومن خلال حرية الاختيار لدى البشر - يختلف الناس في إيمانهم بالله عزّ وجلّ أو كفرهم به، أي إنّ الناس يخرجون من وحدة الغفلة إلى الاختلاف في الإيمان والكفر بسبب بعثة الأنبياء ﷺ.

ولا يخفى أنّ الخروج من الغفلة والتذكّر هو من فعل الله تعالى أيضاً، إلّا أنّه يتحقّق بتذكير الأنبياء، ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ تذكير الأنبياء ليس مولداً للمعرفة، بل جرت السلسلة على حصول المعرفة بواسطة تذكير الأنبياء.

٣. آية ﴿فَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَثْمَارَ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

قال تعالى: ﴿فَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْرَةِ كَيْفَ خُلِقَتْ • وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ • وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ • وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ • فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ • لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾^٣.

١. حاشي الشرح، ج ١، ص ١٢١، ج ٥٥ بحوال التفسير، ج ١١، ص ٢٠، ج ٣٩ (الباب الأول من أبواب النبوة العامة من كتاب النبوة).

٢. سنهري إلى هذا الأمر في الدرس القادم إن شاء الله.

٣. الفاشية (٨٨)، الآيات ١٧-٢٢.

وقال أيضاً:

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّل لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾^١.

إشارات:

أ. الذكر في اللغة خلاف النسيان، والنسيان يكون بعد المعرفة، والتذكّر ذكر بعد نسيان، جاء في لسان العرب:

الذكر: الحفظ للشيء... والذكر والذكرى بالكسر نقيض النسيان... والتذكّر: تذكّر ما أنسيته.^٢

ومن موارد استعمال لفظة «التذكّر» هو حينما يكون الإنسان عالماً بشيء في البدء، ثم يعرض عليه النسيان والغفلة، ومن ثم يلتفت إلى المعرفة السابقة مرة أخرى. وحينها يكون أيّ أمر ينبّهك بما كنت غافلاً عنه، يكون «مذكّراً».

ب. ذكرنا في الفقرة (د) من الآية ﴿كَانَ النَّاسُ...﴾ بأن المراد من التذكّر هو تذكير الناس بالمعرفة الفطرية التي كانت لديهم. وقلنا إنّ الناس عرفوا الله سبحانه بتعريفه فحملوا المعرفة الفطرية لكن حين جاءوا إلى هذه الدنيا نسوا معرفتهم بالفطرة وغفلوا عنه فبعث الله عز وجل الأنبياء ليذكّروهم بتلك المعرفة.

أيّ تذكير يقصده الرب؟ في الوهلة الأولى قد يتصور الإنسان معنى عاماً وواسعاً للتذكير، وإخراج الناس من الغفلة والنسيان، ولكن من خلال القرائن الموجودة في الآيات المباركة والروايات الواردة في باب معرفة الله، يتضح أن المراد من «مذكّرية الأنبياء والرسول» وكذلك «مذكّرية القرآن الكريم»، إنما هو التذكير بالله عز وجل؛ لا إيجاد معرفة جديدة لا سابقة لها عند البشر.

٤. آيات البأساء والضراء

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ

١. غافر (٢٠)، الآية ١٣.

٢. لسان العرب، ج ٥، ص ٢٨-٢٩.

الْأَرْضِ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ»^١.

وقال أيضاً:

«قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنَا كُفِّرْتُ غَلَبَ اللَّهُ أَوْ أَتَنَكَّرُ السَّاعَةَ أَغَيَّرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ إِلَٰهَةُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ»^٢.

إشارات:

أ. تدل هذه الآيات المباركة على أن المعرفة أمر في فطرة جميع الناس، ومن هنا فإنهم يلجأون إلى يارنهم وخالقهم حين المشاكل والابتلاءات الصعبة، إذ ينقطع الأمل عن المخلوق، حينما يلتجئ الجميع إلى الله ويأملون النجاة منه.

يقول الإمام الحسن العسكري عليه السلام في تفسير الآية «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»: «اللَّهُ» هُوَ الَّذِي يَتَأَلَّهُ إِلَيْهِ عِنْدَ الْحَوَائِجِ وَالشَّدَائِدِ كُلُّ مَخْلُوقٍ [وَأَمَّا عِنْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَاءِ مِنْ كُلِّ مَنْ دُونَهُ وَتَقَطُّعِ الْأَسْبَابِ مِنْ جَمِيعِ مَنْ سِوَاهُ فَيَقُولُ: بِسْمِ اللَّهِ [الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ] أَيْ أَسْتَعِينُ عَلَى أُمُورِي كُلِّهَا بِاللَّهِ الَّذِي لَا يَحِلُّ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ، الْمُتَعِينُ إِذَا اسْتَعْيَيْتَ، وَالْمُجِيبُ إِذَا دُعِيَ»^٣.

وقد جاء نفس هذا المعنى في الحديث المروي عن الإمام الصادق عليه السلام حين سأله الرجل:

يا ابن رسول الله دلني على الله ما هو؟ فقد أكثر المجادلون علي وحيروني فقال الإمام عليه السلام:

يَا عَبْدَ اللَّهِ هَلْ رَكِبْتَ سَفِينَةً قَطُّ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَهَلْ كُسِرَ بِكَ حَيْثُ لَا سَفِينَةٌ تُنَجِّيكَ وَلَا سَبَاحَةٌ تُغْنِيكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَهَلْ تَعَلَّقَ قَلْبُكَ هُنَاكَ

١. التمل (٢٧)، الآية ٦٢.

٢. التمام (٦)، الآيات ٢٠-٢١.

٣. تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص ١٢٨ التوحيد، ص ٢٣١، ح ١٥ بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ٢٣٢، ح ١٢ (الباب ٢٩ من أبواب فضائل سور القرآن... من كتاب القرآن).

أَنْ شَيْئاً مِنَ الْأَشْيَاءِ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ وَرْطِكَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ. قَالَ
الصَّادِقُ (ع): قَدْ لِكَ الشَّيْءُ هُوَ اللَّهُ الْقَادِرُ عَلَى الْإِحْجَاءِ حَيْثُ لَا مُنْجِي
وَعَلَى الْإِغَاثَةِ حَيْثُ لَا مُغِيثٌ....

قَالَ: وَقَامَ رَجُلٌ إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ (ع) فَقَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ مَعْنَى بِسْمِ
اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. فَقَالَ: عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (ع): حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَخِيهِ
الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (ع) أَنَّ رَجُلًا قَامَ إِلَيْهِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
أَخْبِرْنِي عَنْ مَا مَعْنَاهُ؟ فَقَالَ: إِنَّ قَوْلَكَ اللَّهُ أَعْظَمُ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ وَهُوَ الْإِسْمُ الَّذِي لَا يَنْتَبِهُ أَنْ يُسَمَّى بِهِ غَيْرُ اللَّهِ، وَلَمْ يَتَسَمَّ بِهِ مَخْلُوقٌ.
فَقَالَ الرَّجُلُ: فَمَا تَفْسِيرُ قَوْلِهِ «اللَّهُ»؟

قَالَ (ع): هُوَ الَّذِي يَتَأَلَّهُ إِلَيْهِ عِنْدَ الْحَوَائِجِ وَالسُّدَائِدِ كُلُّ مَخْلُوقٍ عِنْدَ
إِقْطَاعِ الرَّجَاءِ مِنْ جَمِيعِ مَنْ هُوَ دُونَهُ، وَتَقْطَعُ الْأَسْبَابُ مِنْ كُلِّ مَنْ سِوَاهُ
وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ مُتَرَكِّبٍ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَمُتَعَطِّلٍ فِيهَا وَإِنْ عَظُمَ غِنَاؤُهُ
وَطَغْيَانُهُ وَكَثُرَتْ حَوَائِجُ مَنْ دُونَهُ إِلَيْهِ، فَلِأَنَّهُمْ سَيَحْتَاجُونَ حَوَائِجَ لَا يَقْدِرُ
عَلَيْهَا هَذَا الْمُتَعَطِّلُ وَكَذَلِكَ هَذَا الْمُتَعَطِّلُ يَحْتَاجُ حَوَائِجَ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا،
فَيَنْقَطِعُ إِلَى اللَّهِ عِنْدَ ضَرُورَتِهِ وَقَاضِيَتِهِ حَتَّى إِذَا كَفَى هَمَّهُ عَادَ إِلَى شِرْكِهِ. أَمَّا
تَسْمَعُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنتُمْ كُنتُمْ
السَّاعَةِ أَعَبَّرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ • بَلْ إِلَهُاءُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا
تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾^١.

ب. من خلال الآيات والروايات الشريفة، يتبين أَنَّ الإنسان يُقبل بقلبه على ربه
المعروف بالفطرة حين الشدة والمشقة، فحين الابتلاء يخرج الإنسان من خفلة
ونسيانه. والقرآن الكريم يصريح بهذا الأمر:

١. الأنعام (٦)، الآية ٢٠-٢١.

٢. التوحيد، ص ٢٢٣-٢٢٤، ح ١٥: بهار الأنوار ج ٨٩، ص ٢٣٢، ٢٣٣، ح ١٢ (الباب ٢٩ من أبواب فضائل سور القرآن من
كتاب القرآن).

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ قَوْفَافاً حِسَابُهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^١.

تشير الآية الكريمة، إلى أن الإنسان يجد ربه حين العطش والسعي الحثيث باحثاً عن الماء، واليأس من الحصول عليه.

ويديهني أن وجدان الرب تعالى في هذه الحالة إنما هو وجدان حقيقي واقعي، لا إثبات بالعقل والذهن، وهذه الحقيقة هي نفسها التي تبته عليها الإمام عليه السلام بأن الناس يلجئون إلى الله تعالى حين القنوط من المخلوقين، ويدعونه بالوحدانية، ويطلبون منه العون.

٥. ظهور المعرفة الفطرية في الشدائد، والإيمان والكفر

أ. في الحديث عن الآية ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ قلنا بأن الناس جميعاً يعرفون الله بفطرتهم منذ الولادة: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْمَعْرِفَةِ» وبالرغم من ذلك، فإن الجميع محجوبون عن ربهم بحجاب الغفلة والنسيان. لأنه تعالى قد ألقى عليهم حجاب الغفلة متعمداً.

وعلى هذا فإن الناس من دون الاستفادة من تعاليم الأنبياء والرسل لا يقدرّون على الوصول إلى معرفة الله، وبالنتيجة لا يتصفون - من دون الأنبياء وتعاليمهم - بالكفر والشرك والإيمان أيضاً، ومن هنا فإن الحجّة تكتمل بوجود الأنبياء وتعاليمهم فقد ورد في الحديث:

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ النَّاسَ عَلَى الْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهَا لَا يَعْرِفُونَ إِيمَاناً بِشَرِيعَةٍ وَلَا كُفْراً بِمُخَوِّدٍ، ثُمَّ ابْتَعَثَ اللَّهُ الرُّسُلَ إِلَيْهِمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ حُجَّةً لِلَّهِ عَلَيْهِمْ^٢.

ب. إن كان الإيمان والكفر إنما يحصلان من خلال دعوة الأنبياء والرسل، فكيف

١- النور (٢٢)، الآية ٣٩.

٢- حاشي الشريعة، ج ١، ص ١٢١ بحاشي المجلد ج ١١، ص ٢٠، ح ٢٩ (الباب الأول من أبواب النبوة العاقبة من كتاب النبوة).

يمكن فهم الآيات المصترحة بأن الناس بعد إيمانهم في السراء والضراء يعودون مشركين بعد أن تحل مشاكلهم؟

﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾^١

﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضُوا وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾^٢

والإجابة على هذا التعارض البدوي يكمن في أن ظهور المعرفة في المشاكل والابتلاءات ليس خاصاً بالمؤمنين؛ بل يشمل الكافر والمشرک والضال أيضاً، حيث إنهم يتوجهون إلى الله تعالى، وهؤلاء إما كانوا قبل الابتلاء مؤمنين أو كفاراً، وإما كانوا ضالاً. فإما المؤمن والكافر والمشرک، فهؤلاء قد وصلتهم دعوة الأنبياء قبل أن يبتلوا بالسراء والضراء، لذلك اتصفوا بالإيمان أو الكفر أو الشرك قبل ذلك.

ووقع المؤمنين في الابتلاءات، من ألطاف الله على عباده، ليزدادوا تمسكاً بإيمانهم، ترتفع درجاتهم عند الله؛ ولكئنها بالنسبة إلى الكفار والمشرکين، فهي إتمام للحجة عليهم ثانية ليجازون على أعمالهم.

أما الـ«ضلال» -الذين لم تصلهم دعوة نبي ولا رسالة رسول- بالرغم من التفاتهم إلى خالفهم في المصائب، ولكن لا تكون نتيجة هذا الالتفات إيماناً أو كفراً أو شركاً. ويمكن الالتفات إلى هذا الأمر من خلال التوجه إلى الآية: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ والروايات الواردة في تفسيرها، وكذا الآية: ﴿مَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^٣

ومن هنا فإن الكفر والشرك المستتبع للتخلص من الابتلاء، ليس كفراً أو شركاً ابتدائياً - كما يتصور - بل هو رجوع إلى الشرك السابق.

ج. الرسالة الأخيرة في آية: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ...﴾ تشير إلى نفس الأمر. فالمثل المذكور في الآية يرتبط بالكفار والمشرکين. فمن كان في

١. المذكيوت (٢٩)، الآية ٦٥.

٢. الإسراء (١٧)، الآية ٦٨.

٣. الإسراء (١٧)، الآية ١٥.

صحراء قاحلة جرداء، وابتلى بعطش شديد، فإنه سوف يسمي من هنا وهناك راکضاً وراء سراب، وحين يصل إليه، لا يجد شيئاً، حينها ينقطع عنه الأمل، فيتوجه من صميم قلبه إلى خالقه الحيّ المقتدر، والربّ تعالى يجازيه بسوء أعماله بشكل كامل.

ففي هذه الآية يضرب الله تعالى لنا مَثَلاً بعبادة الكفار والمشركين للدنيا، فهم قد عقدوا آمالهم ووجهوا قلوبهم إليها، ويسعون ورائها سعياً حثيثاً بهحرص وطمع للحصول على زينتها، ولكنّ الدنيا لا تنفعهم شيئاً بل هي سراب يحسبه الضمآن ماءً فيركض ورائها، ولا ينتبه من سباته حتى ينتبه الأجل، وحينها يجد نفسه خالي اليدين من الأعمال الصالحة، ويجد الله عند ذلك فيحاسبه الربّ حساباً عسيراً.

٦. ملخص الدرس

- كلّ الناس يعرفون الله، ولو ذكروا به لأقروا بخالقيته وربوبيته ورازقته وألوهيته.
- جميع البشر كانوا متعدين من حيث الإيمان والكفر، قبل أن يبعث الله إليهم الأنبياء، أي إنهم كانوا ضالّين، لا مؤمنين ولا كافرين أو مشركين.
- بالرغم من أنّ المعرفة فطرية، ويولد الإنسان ويحمل معه أصل تلك المعرفة، إلّا أنّ الله تبارك وتعالى يلقي عليه حجاب النسيان، فلولم يُذكّر نبيّ بالله، يبقى ضالّاً.
- التذكّر يعني الذكر بعد النسيان والمراد من تذكير الأنبياء، تذكيرهم بالمعرفة المنسية.
- حيث كانت المعرفة فطرية، فإنّ الغافل و«الضالّ» سيرتفع حجاب الغفلة عن قلبه حين الابتلاء بالمشاكل.
- الصعوبة والابتلاء، لطف ورحمة للمؤمن وسبب في ارتفاع درجاته، وإتمام حجة بالنسبة إلى الكافر.
- إذا التفت (الضالّ) إلى ربّه في الابتلاء، فإنّ هذا الالتفات لا يؤدي به إلى الإيمان أو الشرك أو الكفر.

٧. اختبار ذاتي

١. هل الإقرار بالله عز وجل بعد تذكير الأنبياء أمر جمعي؟ لماذا؟
٢. في الآية ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً...﴾ ما هو المراد من وحدة الأمة؟
٣. بعثة الأنبياء متفردة على وحدة الأمة أم على اختلافها؟ ما هو ظهور الآية؟ وهل هناك دليل لرفع اليد من ظهورها؟
٤. هل الأنبياء سبب الاختلاف في الأمة الواحدة؟ ما هو منشأ الاختلاف؟
٥. ما معنى «الضال»؟ وهل كون البعض من البشر ضالاً يتنافى وكون المعرفة فطرية؟
٦. «دور الأنبياء في هداية الخلق هو التذكير فقط، إشرح هذه الجملة.
٧. إشرح (المعرفة الفطرية) انطلاقاً من آيات البأساء والضراء.
٨. كيف يكون حال المؤمن، والكافر، والمشرک، والضال، بعد النجاة من البأساء والضراء؟



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

٤ الدرس الرابع

معرفة الله فطرية (الروايات)

- أحاديث فطرية المعرفة
- أحاديث فطرة العقول على التوحيد
- أحاديث فطرة البهائم على معرفة الله





مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تلميح

بعد الانتهاء من الدرس يتوقع من الطالب أن يكون عارفاً بدور الأنبياء والرسل في إيمان الناس وكفرهم، ويتعرف على المراد من حجّة الفطرة، وحجّة العقل، ويكون قادراً على الإجابة على التساؤلات التالية «لماذا نعتقد أن الأنبياء وأهل البيت عليهم السلام وشيعتهم فقط على الفطرة التي بعث بها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله؟» وما معنى مفطورة العقول على معرفة الله تعالى؟.

في سياق الحديث عن المعرفة الفطرية، وبعد أن ذكرنا مجموعة من الآيات القرآنية الدالة على كون معرفة الله أمراً فطرياً، سنذكر في هذا الدرس بعض الروايات الواردة في هذا المجال. وقد مرّ ذكر بعض الأحاديث الشريفة في تفسير آيات الفطرة، في الدروس السابقة، وسنورد في هذا الدرس أحاديث معتبرة أخرى غير التي ذكرت فيما سبق.

١. أحاديث فطرية المعرفة

الحديث الأول: قال أمير المؤمنين عليه السلام:

وَاصْطَلَى شُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ، أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ وَعَلَى تَبْلِيغِ

الرِّسَالَةِ أَمَاتَتْهُمْ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرَ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا خَلْقَهُ وَاتَّخَذُوا
الْأَكْدَادَ مَعَهُ وَاجْتَالَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ وَاقْتَضَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ.
فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيََاءَهُ، لِيَسْتَأْذِنُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ وَيَذَكِّرُوهُمْ
مَنْبِيَّ نِعْمَتِهِ وَيَحْشُبُوا عَلَيْهِمْ بِالسَّلِيلِ.^١

قلنا في الدرس السابق في الحديث عن الآية: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ إن السبب
في بعثة الأنبياء هو اتحاد الناس واجتماعهم على الغفلة والضلال، فبعث الله عز وجل
أنبياءه ليدعوهم إلى الله تعالى ويخرجوهم من ظلمات الغفلة والنسيان.

وفي هذه الخطبة الشريفة، يذكّرنا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بحكمة بعثة الأنبياء،
إذ إن الناس حين يطول عليهم الأمد من دون نبي مرسل، أو معلّم مرشد، فإنهم
يبتعدون شيئاً فشيئاً عن تعاليم الله تعالى، وينحرفون عن الجادة المستقيمة
فيغفلون عن ربهم بالكلية، ولو أراد الله أن يعدّ بهم بأفعالهم، فمن اللازم أن يرسل
إليهم من يزيل عنهم سحب الغفلة والنسيان ويبين لهم فرائض العبودية.^٢

ولكن قد ينحرف الإنسان بعد انجلاء الحقيقة واستيقاض الفطرة، بسبب
وساوس الشياطين، فيحوّلونه -أي الشياطين- دون عبادة الله تعالى، وبالتالي يكون
سائراً في طريق الكفر والشرك. وفي هذه الحالة أيضاً يواتر الرب عليهم الرسل
والأنبياء فيحدّثونهم لئلا ينسوا الميثاق بينهم وبين بارئهم،^٣ ويطلبوا منهم
الاستقامة على العهد. ويذكّروهم نعمة المعرفة التي أنعمها الله عليهم - حيث
نساها الناس - ليذكروا الله عز وجل ويعبدوه ويخضعوا له.^٤

١. نهج البلاغة، الخطبة الأولى، ص ٢٢.

٢. الآية ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ تشير إلى هذا المعنى.

٣. الميثاق على أن يعبدوه تعالى وحده ولا يشركوا به شيئاً وسلموا له تسليماً ﴿أَلَمْ أَقْعَدْ بَيْنَهُمُ الْبَيْتَ﴾ (المائدة: ١٠٠-١٠١).
﴿وَلَمْ أَقْعُدْ بَيْنَهُمُ الْمِيثَاقَ﴾ (يس: ٢٣)، الآية ٦٠-٦١. (المؤلف)

٤. خطبة الإمام عليه السلام تشير إلى هذا المعنى.

ومن هنا فإن خطبة الإمام عليه السلام تبين أن ما يريد الأنبياء والرسل من الناس ليس إلا ما فطرهم الله عليه؛ وذلك ليس إلا التوحيد والمعرفة والتسليم والعبودية لله الواحد تعالى.

الحديث الثاني: قال الإمام الصادق عليه السلام:

مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ إِلَّا عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ اللَّذَانِ يَهُودِيَّاهُ وَيُنَصْرَانِيَّاهُ وَيُمَجْسَانِيَّاهُ.^١

وفي حديث آخر، يروي الإمام الباقر عليه السلام هذا الحديث من جده النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ثم يوضح المعنى المراد من الحديث، حيث قال:

كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ يَعْنِي الْمَعْرِفَةَ، بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَالِقُهُ، كَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَيْنَ مَسْأَلَتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^٢.

ويدل هذا الحديث بوضوح على وجود معرفة عند كل إنسان يولد معها، وليس كما يتصوره البعض أن الناس يولدون من دون وجود أية معرفة لديهم. وقد ذكرنا في الدرس السابق أن وجود هذه المعرفة في الإنسان، لا يعني أنه قادر على أن يعرف الله تعالى من دون تعاليم حججه، بل لابدّ عليه أن يرجع إلى الأنبياء والرسل ليذكروه بتلك المعرفة فيلتفت إليها.

أما لو كان المعلم والمرشد غير النبي أو الوصي، فستكون النتيجة عكسية، إذ أن المعلم المنحرف لا يذكره بالفطرة، بل يحرف له الحقائق فيدعوه إلى آلهة اليهود والنصارى والمجوس - أي الآلهة التي صنعوها بأوهامهم - وبالتالي سوف لا يعرف

١. كتاب من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٢٩، ح ١٦٦٨ وسائل الفقيه، ج ١٥، ص ١٢٥، ح ٣ [٢٠١٣] (الباب ٢٨ من أبواب جهاد العدو... من كتاب الجهاد).

٢. لقمان (٣١)، الآية ٢٥.

٣. الكافي، ج ٢، ص ١٣٠، ح ٤٢ بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ١٣٥، ح ٧ (الباب الرابع من الأبواب الإيمان والإسلام... من كتاب الإيمان والكفر).

قال المرحوم ملا صالح المازندراني في شرح هذه الرواية:

من أصحاب الملل الباطلة كالملاحدة والدهرية وعبداء الأوثان وأضرابهم فإن كلهم يعرفونه عند نزول الشدائد والضراء، وتوارد المصائب والبلاء، ولا يلوذون حينئذ بما سواه ولا يدعون إلا إياه.^١

فإن الحديث هذا، يدل على أن جميع المنكرين والملاحدة يعرفون الله ولكنهم يكفرون به عناداً، وهكذا يقول تعالى:

﴿لَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ • وَجَعَلُوا بِهَا أَسَاقِيقَتَهَا أَنْفُسَهُمْ ظُلُمًا وَعُتُوًّا﴾.^٢

الحديث الخامس: قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ، الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَمَا جَاءَتْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ، فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ الْإِسْلَامِ وَكَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ.^٣

ما يشير إليه هذا الحديث يتفق مع بعض النصوص التي مر ذكرها في تفسير الآية: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي...﴾ حيث فسرت ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ﴾ بالتوحيد.

وفي هذا الحديث أيضاً كلمة الإخلاص - وهي كلمة التوحيد - عدت من الفطرة.

وسيتبين لك لاحقاً أن توحيد الله تعالى أمر لا ينفك عن المعرفة؛ لأن المعرفة الحقيقية الحاصلة بتعريفه عز وجل ليست منفكة عن توحيدِهِ، وليس الأمر - كما قد يتوهم - بأن الناس يشعرون وجوده تعالى بعقولهم ومن ثم يقومون بإثبات توحيدِهِ.

الحديث السادس: قال سيّد الشهداء الحسين بن علي (عليه السلام):

١. فسر أصول الكافي، ج ٣، ص ١٨٤.

٢. النمل (٢٧)، الآية ٢٠٥.

٣. علل الشرائع، ج ١، ص ٢٤٧، ح ١٦٩؛ كشف العقول، ص ١٤٩؛ كتاب من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٢٠٥، ح ٢٦١٢؛ بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٢٨٩-٢٩٠، ح ٢ (الباب ١٤ من أبواب المواعظ والحكم... من كتاب الروضة).

نَحْنُ وَشِيعَتُنَا عَلَى الْفِطْرَةِ الَّتِي بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهَا مُحَمَّدًا ﷺ.^١

كما مرّ سابقاً، الهدف وراء بعثة الأنبياء هو تذكير الناس بخالق الكون، وليست أدوهم ميثاق الفطرة.

ومن الواضح أنّ من بين أمة النبي الأكرم ﷺ، لم يستقم على العهد والميثاق سوى أئمة أهل البيت ﷺ، وشيعتهم، أمّا من سواهم من الفرق وأهل المذاهب فإنهم لم يبنوا عقائدهم وأعمالهم على أساس الفطرة، بل انحرفوا عنها.

لأنّ مسير التوحيد والمعرفة الفطرية قد حدّدت الولاية لله تعالى وحده، أي لا ولاية لغير الله تعالى على الناس، وحيث كانت ولاية أئمة الشيعة ﷺ من عند الله عزّ وجلّ، فإنّ الشيعة وحدهم بقوا على ميثاق التوحيد واستقروا عليه.

الحديث السابع: قال الإمام الباقر ﷺ:

كَانَتْ شَرِيعَةُ نُوْحٍ ﷺ أَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ بِالتَّوْحِيدِ وَالْإِخْلَاصِ وَخَلَعَ الْأَكْدَادَ، وَهِيَ الْفِطْرَةُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا، وَأَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَهُ عَلَى نُوْحٍ ﷺ وَعَلَى النَّبِيِّينَ ﷺ أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وَلَا يَشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً.^٢

يؤكد هذا الحديث - أيضاً - على أنّ التوحيد ونفي الشرك وإخلاص العبودية لله تعالى، هي أمور قد فطر عليها الخلق، وقد أخذ الله عزّ وجلّ ميثاق الأنبياء عليها.

الحديث الثامن: قال الإمام الصادق ﷺ:

كَانَ إِبْرَاهِيمُ ﷺ فِي شَبَابِهِ عَلَى الْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْخَلْقَ عَلَيْهَا، حَتَّى هَدَاهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى دِينِهِ وَاجْتِبَاءً.^٣

قد مرّ عليك في تفسير الآية: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ رواية مفادها إنّ الناس

١. رجال الكليني، ص ١١٤، ح ١٨٢.

٢. الكليني، ج ٨، ص ٢٨٢، ح ١٤٢٤ بحار الأنوار، ج ١١، ص ٣٣٦، ح ٥٣ (الباب الثالث من أبواب قصص نوح... من كتاب النبوة).

٣. الكليني، ج ٨، ص ١٣٧ بحار الأنوار، ج ١٢، ص ٤٥، ح ٣٨ (الباب الثاني من أبواب قصص إبراهيم... من كتاب النبوة).

كانوا قبل النبي ﷺ ضالّاءً، بمعنى أنهم لم يكونوا على هداية، بل كانوا على الفطرة التي فطرهم الله عليها.^١

ولو جمعنا الحديث في تفسير الآية وأحاديث مشابهة في مضمونها، مع الحديث الذي نحن بصدد بيانه، تكون النتيجة أنّ النبي إبراهيم ﷺ كان في شبابه على الفطرة الإلهية؛ أي كان في حالة نسيان الميثاق، حتّى هداه الله عزّ وجلّ إلى دينه واختاره للنبوّة؛ إلّا أنّ هذا المعنى لا يتناسب مع مقام النبي إبراهيم ﷺ. فلا بدّ من القول أنّ المراد بالفطرة في هذا الحديث يختلف عن المراد منه في الأحاديث الأخرى.

والجمع بين الروايات يوصلنا إلى أنّ للفطرة والهداية درجات ومراتب متفاوتة، وقبل أن يصل الإنسان إلى مرتبة من مراتب الهداية يكون غافلاً عنها، أي أنّه حتّى وإن كان واجداً للمراتب العالية في نفسه إلّا أنّه لغفلة عنها يكون على الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

ومع الأخذ بعين الاعتبار أنّ الهداية الواردة عن النبي إبراهيم ﷺ قرنت بالاصطفاء للنبوّة، يتضح أنّ المراد من الهداية في هذا الحديث المراتب العليا منه.^٢

الحديث التاسع: قال الإمام الرضا ﷺ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَلِيحِ عِبَادَهُ حَمْدَهُ، وَقَاطِرِهِمْ عَلَى مَعْرِفَةِ رَبُّوبِيَّتِهِ.^٣

٢. أحاديث فطرة العقول على التوحيد

الحديث الأوّل: قال الإمام الصادق ﷺ وهو يذعور به:

١- تفسير العتاشي، ج ١، ص ١٠٤، ح ٣٠٧.

٢- كدخول خشية من الله في قلب الإمام الجواد ﷺ عند وفاة أبيه الرضا ﷺ لم تكن من قبل، فعرف بذلك استشهاده عليه السلام.

٣- الكافي، ج ١، ص ١٣٩، ح ٤٥ بحواله كنز الدواعي، ج ٥٤، ص ١٦٦، ح ١٠٥ (الباب الأوّل من أبواب كليّات أحوال العالم... من كتاب السماء والعالم).

أَسْأَلُكَ بِتَوْحِيدِكَ الَّذِي فَطَرْتَ عَلَيْهِ الْعُقُولَ.^١

الحديث الثاني: في دعاء مروي عن الإمام أمير المؤمنين والإمام الباقر والإمام الصادق عليهم السلام:

اللَّهُمَّ خَلَقْتَ الْقُلُوبَ عَلَى إِزَادَتِكَ، وَقَطَرْتَ الْعُقُولَ عَلَى مَعْرِفَتِكَ.^٢

الحديث الثالث: ورد في الدعاء بعد نوافل صبح الجمعة:

يَا مَنْ فَتَحَ الْعُقُولَ بِمَعْرِفَتِهِ وَأَطْلَقَ الْأَلْسُنَ بِحَمْدِهِ.^٣

تؤكد الأحاديث الثلاثة على فطرة العقول على معرفة الله وتوحيده. ولكن لا يبدو أن هناك اختلافاً بينها وبين سائر الأحاديث التي مر ذكرها، بل يمكن استفادة نفس المعنى من الجمع الوارد في لفظة «العقول»، بتقريب أن حقيقة نور العقل، أمر واحد لا تكثر وتعدد فيه، وإنما التعدد من جهة استفادة الموجودات منه.

مع هذا البيان يتبين بأن معنى العقول في الروايات هم العقلاء، أي إن الله تعالى وهب العقول للمخلوقات حين خلقهم، ومع وجود العقل فطرهم على معرفته.^٤

الحديث الرابع: قال الإمام الصادق عليه السلام: قال موسى بن عمران عليه السلام:

يَا رَبِّ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ عِنْدَكَ؟ قَالَ: حُبُّ الْأَطْقَالِ؛ فَإِنِّي فَطَرْتُهُمْ عَلَى تَوْحِيدِي، فَإِنْ أَمَّنُّهُمْ أَدَخَلْتُهُمْ بِرَحْمَتِي جَنَّتِي.^٥

١. مفاتيح الفلاح، ص ١٠٦، بحار النور، ج ٩١، ص ٢٧٥ (الباب ٤٤ من أبواب أحوال النبي... من كتاب الذكر والدعاء).

٢. البلد الأمين والدرع الحصين، ص ١٣٧، بحار النور، ج ٩٢، ص ٤٠٣، ح ٣٠٤ (الباب ١٢٩ من أبواب أحوال النبي والأئمة... من كتاب الذكر والدعاء).

٣. مستدرک الوسائل، ج ١٣، ص ٤٢، ح ١٠ (الباب ١٢ من أبواب مفرداتها من كتاب التجارة) بحار النور، ج ٨٦، ص ٣٠٧، ح ١١ (الباب الثالث من أبواب فضل يوم الجمعة من كتاب الصلاة).

٤. هناك آيات وروايات تدل على أن جميع الكائنات من الإنسان والحيوان والجماد يستبحون الله في السماء والأرض وفي بعض الآيات والروايات إن الولاية عرضت عليهم ومن الواضح أن تسبيح الكائنات دليل على شعورها بالولاية إنما عرضت عليهم بعد تنقذ بنور العقل. راجع الكافي، ج ٣، ص ٢٢٨ و ٢٢٩، المصالح، ص ٢٨٣، ح ٣١. (المؤلف).

٥. المحاسن، ج ١، ص ٢٩٣، ح ١٣٥٣ بحار النور، ج ١٠١، ص ٩٧، ح ٥٧ (الباب الثاني من أبواب الأولاد وأحكامهم من كتاب العقود والإقاعات).

يطابق هذا الحديث مضمون الأحاديث السابقة تماماً، وخصوصاً مع حديث «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ» وهناك إشارة في هذه الرواية بأن الله عز وجل يدخل كل الأطفال الذين ماتوا على صغر سنهم، يدخلهم الجنة؛ ولكن هناك روايات أخرى تصرّح بأن الله عز وجل يختبر الأطفال وكذا المستضعفين الذين لم تصلهم رسالة رسول أو حتى المجانين وضعفاء العقول، يمتحن هؤلاء جميعاً عبر إشعال نار وأمرهم الدخول فيها، فمن أطاعه ودخلها كانت عليه برداً وأدخل الجنة، ومن عصى وأبى الدخول يكون من أهل النار^١

٣. أحاديث فطرة البهائم على معرفة الله

الحديث الأول: قال الإمام زين العابدين (عليه السلام):

مَا يَهْتَمُّ الْبَهَائِمُ، فَلَمْ تُبَيِّنْ عَنْ أَرْبَعَةٍ: مَعْرِفَتِهَا بِالرَّبِّ وَمَعْرِفَتِهَا بِالنَّبِيِّ وَمَعْرِفَتِهَا بِالْأَنْبِيَاءِ مِنَ الذِّكْرِ وَمَعْرِفَتِهَا بِالْمَرْغَى عَنِ الْخَيْصَبِ.^٢

الحديث الثاني: قال الإمام الصادق (عليه السلام):

مَهْمَا أُبَيِّنَ عَلَى الْبَهَائِمِ مِنْ شَيْءٍ، فَلَا يُبَيِّنُ عَلَيْهَا أَرْبَعَةً خِصَالٍ: مَعْرِفَةُ أَنَّهَا خَالِقًا وَمَعْرِفَةُ ظَلَمِ الرِّزْقِ وَمَعْرِفَةُ الذِّكْرِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَمَخَافَةُ الْمَوْتِ.^٣

الحديث الثالث: ورد في الخبر عن الإمام الكاظم (عليه السلام):

إِنَّ النَّاسَ أَصَابَهُمْ قَحْطٌ شَدِيدٌ عَلَى عَهْدِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ (عليه السلام). فَشَكُّوا ذَلِكَ إِلَيْهِ وَظَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَسْتَسْقِيَهُمْ. قَالَ: فَقَالَ لَهُمْ: إِذَا صَلَّيْتُ الْقَدَاةَ مَضَيْتُمْ. فَلَمَّا صَلَّى الْقَدَاةَ مَضَى وَمَضَوْا، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ إِذَا هُوَ بِمَلَكَةٍ رَافِعَةٍ يَدَهَا

١- ولمزيد من الإطلاع راجع: الكافي، ج ٣، ص ٢٣٩ - ٢٢٨ (باب الأطفال).

٢- الكافي، ج ٦، ص ٥٩٣، ح ٩٩ بحار الأنوار، ج ١٦، ص ٥٠، ح ٢٧ (الباب الأول من أبواب الحيوان وأصنافها... من كتاب السماء والعالم).

٣- الكافي، ج ٦، ص ٥٣٩، ح ١١١ بحار الأنوار، ج ١٦، ص ٥١، ح ٢٩ (الباب الأول من أبواب الحيوان وأصنافهم... من كتاب السماء والعالم).

إِلَى السَّمَاءِ وَاضِعَةً قَتَمَيْهَا إِلَى الْأَرْضِ، وَهِيَ تَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّا خَلَقْنَا مِنْ خَلْقِكَ وَلَا
غِنَى بِنَا عَنْ رِزْقِكَ فَلَا لَهْلَهَ لَنَا بِثُوبِ بَنِي آدَمَ. قَالَ: فَقَالَ سَلِيمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ارْجِعُوا
فَقَدْ سَقِيتُمْ بِمَیْرِكُمْ. قَالَ: فَسَقُوا فِي ذَلِكَ الْعَامِ مَا لَمْ يُسَقُوا مِثْلَهُ قَطُّ.^١

تدل هذه الأحاديث الشريفة على أن البهائم والحيوانات - كما البشر - تعرف
ربها، وتلجأ إلى بارئها في الشدائد والهمم.

ومن البديهي أن هذه المعرفة من فعل الله، وحيث لا كيف لفعل الله فلا يمكن أن
يعقله الإنسان، فإن حقيقة المعرفة غير قابلة للتحليل العقلي، ولا فرق في ذلك بين
معرفة الإنسان والحيوان. وبعبارة أخرى، كما أن الإنسان لا يتمكّن من تحليل معرفته لله عزّ
وجلّ، كذلك لا يمكنه تحليل المعرفة عند الحيوانات والبهائم، بل الأمر بالنسبة إليهم
أصعب، إذ لا يمكن للإنسان عادة أن يحاورهم ليصل إلى المشتركات بينهم.

وهذا الأمر أدى بمن يريد تحليل كل شيء يحاول إدراك نوع المعرفة بالعقل، إلى
الوقوع في إشكاليات كبيرة، أثناء محاولتهم فهم معرفة الحيوانات ونوعها ومعنى
تسبيحهم وكونهم مكلفين مختارين، الأمر الذي جعلهم يأولون الروايات حسب
فهمهم وتحريفها عن معناها الحقيقي الصحيح.

والحال أن القرآن الكريم يصريح القول بعدم إمكان إدراك تسبيح الحيوانات
والبهائم، فيقول تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.^٢

فلا مناص في مثل هذه الموارد من الرجوع إلى العالم (أي الإمام) وتقليده لكن
لا يعني ذلك عدم وجود طريق لفهم معرفة الكائنات وتسبيحهم إلا أنه لا بد لمن
لم يصل إلى وجدان هذه الحقيقة ودركها من التسليم والقبول، وإنكارها سيكون
إنكاراً لم يطلع عليه ولا يمكنه نيله بقواه الإدراكية.

١. الكافي، ج ٨، ص ٢٤٦، ح ٣٤٤، بحار الأنوار، ج ٦١، ص ٢٦٠، ح ٩ (الباب العاشر من أبواب الحيوان وأصنافهم... من

كتاب السماء والعالم).

٢. الإسراء (١٧)، الآية ٢٢.

٤. ملخص الدرس

• إن الهدف من بعثة الأنبياء والرسل هو تذكير الناس بربهم المعروف عندهم بالفطرة وإخراجهم من الغفلة والنسيان. وتكون الغفلة تارة بسبب تطاول الزمان وعدم الوصول إلى الحجج الإلهية، وتارة تكون بسبب وساوس إبليس، فيعودون إلى سبات الغفلة بعد التذكير.

- جميع الناس يولدون على معرفه الله وإن لم يلتفتوا إلى ذلك.
- تتم الحجة الإلهية على البشر بالفطرة، وعقد القلب على معرفه الله يكون بالعقل.
- لا يملك الإنسان - عبر نور العقل - طريقاً إلى معرفه الله، ولكن مع وجود المعرفة الفطرية، فإن العقل يفرض على الإنسان التسليم والخضوع لله تعالى.
- كل الناس - مؤمنين كانوا أم ملحدين - في الحقيقة يعرفون الله عز وجل، والإنكار الظاهر من المنكرين إنما هو من جهة العناد والمخالفة.
- معرفه الله ليست أمراً منفصلاً عن توحيده، ولذلك يعبر عن أفاض «الإخلاص» أو «التوحيد» بأنها «فطرة الله».

• حيث كانت ولاية الأئمة (عليهم السلام) ولاية ربانية (أي: أنها من عند الله) فإن قبول هذه الولاية يعني السير في مسير التوحيد والفطرة، ومن هنا فإن الأئمة (عليهم السلام) وشيعتهم على الفطرة فقط، دون من سواهم من الناس.

• قد أخذ الله تبارك وتعالى الميثاق من الأنبياء على الفطرة التي تعني التوحيد ونفي الشركاء والأنداد.

• لأن الإنسان يملك في داخله كل مراتب الهداية، فحينها إذا كان في أية مرحلة سيكون بالنسبة إلى الهداية التي لم يبلغها يكون حينئذ على الفطرة.

• ما ورد في الحديث من مفطورة العقول على معرفه الله تعالى يعني إن الله حين عزف نفسه للناس كانوا منورين بنور العقل وذلك لورود لفظة «العقول» على صيغة الجمع.

• إِنَّ كَوْنَ الْأَطْفَالِ مَفْطُورِينَ عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ يَطَابِقُ الْحَدِيثَ الْقَائِلَ «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ».

• إِنَّ جَمِيعَ الْمَوْجُودَاتِ مَفْطُورُونَ عَلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ، فَهُمْ يَعْرِفُونَ خَالِقَهُمْ.

٥. اخْتِبَارُ ذَاتِي

١. بَعْدَ كَوْنِ مَعْرِفَةِ اللَّهِ أَمْرًا فِطْرِيًّا، مَا هُوَ دَوْرُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ ﷺ فِي إِيْمَانِ النَّاسِ أَوْ كُفْرِهِمْ؟

٢. إِذَا كَانَتْ مَعْرِفَةُ اللَّهِ أَمْرًا فِطْرِيًّا فَلِمَاذَا نَجِدُ أَكْثَرَ النَّاسِ يَنْكُرُونَ وَجُودَ اللَّهِ؟

٣. يَبَيِّنُ حُجِّيَّةَ الْفِطْرَةِ وَحُجِّيَّةَ الْعَقْلِ.

٤. كَيْفَ تَفْشِّرُ «كَلِمَةَ الْإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ».

٥. هَلْ هُنَاكَ حَاجَةٌ إِلَى إِثْبَاتِ التَّوْحِيدِ بَعْدَ تَعْرِيفِ اللَّهِ النَّاسَ نَفْسَهُ؟ لِمَاذَا؟

٦. مَا هُوَ السَّبَبُ فِي كَوْنِ أَهْلِ الْبَيْتِ ﷺ وَشِيعَتِهِمْ عَلَى الْفِطْرَةِ الَّتِي بَعَثَ عَلَيْهَا

النَّبِيِّ ﷺ، دُونَ مَنْ سِوَاهُمْ؟

٧. مَاذَا يَعْنِي «فِطْرُ الْعَقُولِ عَلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ»؟

٨. لِمَاذَا لَا تَخْتَصُّ مَعْرِفَةُ اللَّهِ بِالنَّاسِ؟



الدرس الخامس

مواقف التعريف: عالم الأرواح (١)

- شواهد على وجود عوالم العهد
- هل عالم العهد واحد؟
- خلقه الأرواح
- تواتر نصوص خلقه الأرواح قبل الأبدان





مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تلميح

بعد الانتهاء من الدرس، يتوقع من الطالب أن يقدر على إثارة شواهد من الروايات على عالم العهد، ويتعرف - بشكل إجمالي - على العوالم السابقة على عالم الدنيا، ويطلع على خلقة الأرواح قبل الأبدان وتمايزهما عن بعضهما البعض وكذلك يطلع على تواتر النصوص في هذا المجال.

نبين لك سابقاً، من خلال الاستدلال بالآيات والروايات، أن الله تبارك وتعالى عزف نفسه لعباده، وهكذا استقرت معرفة الله تعالى في جميع الموجودات، وأنهم فطروا جميعاً عليها، في هذا الدرس والدروس التالية، سنتحدث عن مواقف هذا التعريف إن شاء الله تعالى.

تؤكد الكثير من النصوص الشريفة الواردة من أهل البيت عليهم السلام، على أن الناس قبل أن يكونوا في هذه الدنيا في أصلاب وأرحام الآباء والأمهات، ويولدوا عن طريق التزاوج، قد مروا في عوالم سابقة. في تلك العوالم، أعطاهم الله نور العلم والعقل، وحينها عزفهم الباري تعالى نفسه، وقد أخذ عليهم الميثاق والإقرار على ربييته بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾. فالرب عز وجل قد أخذ الميثاق من البشر بعد تعريفه نفسه

لهم وإقرارهم بذلك، وقد أشهد الملائكة على هذا العهد والميثاق.

وحيث ألقى البارئ تعالى حجاب الغفلة والنسيان على الناس تجاه الموقف المعروف، فلا طريق لإثبات الموقف عند الناس إلا من خلال إخبار الله عز وجل وأنبياءه وأوصيائه، فالطريق الوحيد لإثبات ذلك هو الرجوع إلى نصوص الوحي «القرآن وأحاديث المعصومين (عليه السلام)».

١. شواهد على وجود عوالم العهد

من الشواهد الجلية على وجود العوالم السابقة هو كون الخلائق جميعاً على فطرة معرفة الله تعالى.^١ وقد دلت الكثير من الروايات الشريفة على هذا الأمر، حيث جاء في حديث النبي ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْمَعْرِفَةِ». فلا يولد طفل إلا وهو يعرف الله بفطرته، وهذا الأمر يدل على وجود عالم أو عوالم سابقة عرف فيه الإنسان ربه، وفي هذه الحياة يتنبه إلى تلك المعرفة.

ومن الشواهد أيضاً، حالة الحب والبغض البدوية، حيث يحدث كثيراً لأي شخص، أن يلتقي بأخٍ لأول مرة، فيقع في قلبه حبا له أو بغضاً تجاهه دون أن يكون هناك أي موقف مسبق. وحسب أحاديث الأئمة الأطهار (عليهم السلام) أن حالتي الحب والبغض في هذه الدنيا ترجع إلى حالتي الصداقة والعداوة في العوالم السابقة.^٢

والشاهد الثالث على وجود العوالم السابقة، هو عروض الحزن والهم على المرء دون وجود داع أو مسبب ظاهري، قال جابر الأنصاري أنه سأل الإمام الباقر (عليه السلام):

جُعِلَتْ فِدَاكَ رَبَّنَا حَزْنٌ مِنْ غَيْرِ مُصِيبَةٍ تُصِيبُنِي أَوْ أَمْرٍ يَنْزِلُ بِي، حَتَّى يَعْرِفَ ذَلِكَ أَهْلِي فِي وَجْهِهِ وَصَدِيقِي؟ فَقَالَ: نَعَمْ يَا جَابِرُ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ طِينَةِ الْحَبْتَيْنِ أَحْمَرَى فِيهِمْ مِنْ رِيحِ رُوحِهِ، فَلِذَلِكَ الْمُؤْمِنُ أَهْوَى الْمُؤْمِنَ لِأَخِيهِ وَأُمِّهِ، فَإِذَا أَصَابَ رُوحاً مِنْ تِلْكَ الْأَرْوَاحِ فِي بَلَدٍ

١. وقد مر تفصيل هذا الدليل في الدروس السابقة.

٢. ستتحدث عن هذا الأمر في مبحث خلقه الأرواح.

مِنَ الْبُلْدَانِ حُزْنٌ، حَزَنَتْ هَذِهِ لِأَكْثَرِهَا مَتَهَا.^١

وقد ذكرني حديثين آخرين عن الإمامين الباقرين عليهما السلام أنهما قالَا لشيعتهما:

لَمْ تَتَوَاصَحُوا عَلَى هَذَا الْأَمْرِ وَإِنَّمَا تَعَارَفْتُمْ عَلَيْهِ.^٢

يقول الملا صالح المازندراني في توضيح هذا الحديث:

لعل المراد أن المواخاة على هذا الأمر والأخوة في الدين كانت ثابتة بينكم في

عالم الأرواح ولم تقع في هذا اليوم وهذه الدار؛ وإنما الواقع في هذه الدار هو

التعارف على هذا الأمر الكاشف عن الأخوة في ذلك العالم.^٣

ومن ثم يشرح في بيان الروايات الواردة في باب خلقه الأرواح كشواهد ومؤيدات

على هذا المطلوب.

وسنذكر في مبحث خلقه الأرواح، بعض النصوص الواردة في هذا المعنى،

وسنذكر بأن الله تعالى قد خلق الناس قبل أبدانهم بألفي عام. وقد اختلف المؤمن

مع المؤمن هناك واختلف وعادى الكفار والمشركون.

٢. هل عالم العهد واحد؟

ورد في الروايات الشريفة، أن الإنسان مرّ - على الأقل - في عالمين متميزين قبل

مجيئه إلى الدنيا، أحد هذه العوالم، هو عالم الأرواح الذي خلق الله فيه أرواح

الناس فقط وأسكنهم في الهواء والملكوت.

أما العالم الآخر، فهو عالم الذرّ، الذي هو غير عالم الأرواح يقيناً، وفيه خلق الله

جميع أبناء آدم عليه السلام على هيئة الذرّ وجعل أرواحهم في تلك الأبدان الخاصة بهم؛

وحينها أخذ عليهم الميثاق على معرفته؛ كما فعل في عالم الأرواح.

١. الكافي، ج ٢، ص ١٦٦، ح ٢٢ بحار الأنوار، ج ٥٨، ص ١٤٧، ح ٢٤ (الباب ٤٣ من أبواب الإنسان والروح من كتاب السماء والعالم).

٢. الكافي، ج ٢، ص ١٦٨، ح ١١ بحار الأنوار، ج ٦٥، ص ٢٠٥، ح ١٠ (الباب ٣٢ من أبواب الإيمان والإسلام من كتاب الإيمان والكفر).

٣. فشرح أصول الكافي، ج ٩، ص ٣٦.

في هذا الدرس والذي يليه، سيكون الحديث منصباً عن عالم الأرواح (الأشباح) وسنذكر مجموعة من الروايات الواردة من أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام، وبعد ذلك سنتحدث عن عالم الدُّرَّان شاء الله تعالى.

٣. خلقه الأرواح

قد صرّحت الكثير من الروايات الشريفة أن الله خلق الأرواح قبل الأبدان بالفي عام، وأسكنهم في الهواء، وقد اختلفت الأرواح في ذلك العالم أو اختلفت. في عالم الأرواح (الأشباح) كان الإيمان والولاية، كما كان الإنكار والكفر بين الناس، قال النبي الأكرم ﷺ:

خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْوَاحَ قَبْلَ الْأَجْسَادِ بِأَلْفِي عَامٍ، ثُمَّ أَسْكَنَهَا الْهَوَاءَ فَتَا تَعَارَفَ مِنْهَا
ثُمَّ ائْتَلَفَ هَاهُنَا.^١

وفي حديث آخر يبين الإمام أمير المؤمنين ﷺ أن الحب والبغض البدويّ دون سبب مسبق، يعود إلى وجودهما في عالم الأرواح، حيث قال ﷺ:

يَا بَنِيَّ، إِنَّ الْقُلُوبَ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، تَتَلَاخِظُ بِالمَوَدَّةِ، وَتَتَنَاجَى بِهَا، وَكَذَلِكَ
هِيَ فِي الْبَغْضِ، فَإِذَا أَحْبَبْتُمُ الرَّجُلَ مِنْ غَيْرِ خَيْرٍ سَبَقَ مِنْهُ إِلَيْكُمْ فَارْجُوهُ،
وَإِذَا أَبْغَضْتُمُ الرَّجُلَ مِنْ غَيْرِ شَرٍّ سَبَقَ مِنْهُ إِلَيْكُمْ فَاحْذَرُوهُ.^٢

وفي أحاديث أخرى تصرّح على أن محبي الأئمة ﷺ عرضوا عليهم ﷺ في ذلك العالم، والأئمة قد شاهدوا جميع المحبين وعرفوهم هناك، كما أنهم يعرفوهم في هذه الدنيا، قال الإمام الصادق ﷺ:

أَنْ رَجُلًا جَاءَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ وَهُوَ مَعَ أَصْحَابِهِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ:
أَنَا وَاللَّهِ أَحِبُّكَ وَأَكُونُ لَكَ فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ: كَذَبْتَ، قَالَ: بَلَى وَاللَّهِ

١. رجال الكشي، ص ٣٩٦، ح ٧٤١؛ بحار الأنوار، ج ٥٨، ص ١٣٢، ح ٣ (الباب ٤٣ من أبواب الإنسان والروح... من كتاب السماء والعالم).

٢. الكافي (المطوسي)، ص ٥٩٥، ح ٦ [١٣٣٧]؛ بحار الأنوار، ج ٧١، ص ١٦٣، ح ٢٦ (الباب العاشر من أبواب آداب العشرة... من كتاب العشرة).

إِلَيَّ أَحْبَبْتُكَ وَأَتَوَلَّيْتُكَ فَكَّرَزْتُ لَكَ قَلْبًا لَمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ: كَذَبْتُ مَا أَنْتَ
كَمَا قُلْتَ؛ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْأَرْوَاحَ قَبْلَ الْأَبْدَانِ بِالْفِي عَامٍ ثُمَّ عَرَضَ عَلَيْنَا
الْمَحَبَّةَ لَنَا، فَوَ اللَّهِ مَا رَأَيْتُ رُوحَكَ فِيمَنْ عَرَضَ، فَأَيْنَ كُنْتَ فَسَكَتَ
الرَّجُلُ عِنْدَ ذَلِكَ وَلَمْ يُرَاجِعْهُ.^١

ونستفيد من هذه النصوص أموراً:

١. الأرواح - وإن خَلِيت من الأجساد - متميزة عن بعضها البعض، ويمكن
تشخيصها، وهذا الأمر غير منحصر في الأنبياء والأوصياء؛ بل إن جميع الأرواح في عالم
الأرواح كانت تحتك ببعضها البعض، فكان بينها هناك الصداقة أو العداوة.
٢. محل الأرواح قبل خلق الأجساد كان الهواء.
٣. كانت الأرواح في ذلك العالم تمتلك الشعور والإدراك بصورة كاملة.
٤. الأرواح كانت تنصف بالإيمان والكفر، إذ أن الصداقة والعداوة إنما تكون
بسبب الإيمان بالآئمة والولاية لهم فتكون الولاية ولاية الله، أو العداوة معهم تكون
عداوة مع الله.
٥. الحب والبغض البدوي بين الناس في هذه الدنيا دليل على الحب
والبغض في العوالم السابقة.
٦. الأصدقاء في هذه الدنيا كانوا أصدقاء في عالم الأشباح، وهكذا كان الأعداء أعداء.
٧. خلقه الأرواح تسبق الأبدان بالفي عام.
٨. حسب الظاهر كانت الأرواح تتكلم فيما بينها أيضاً.
٩. يبدو أن خلقه الأرواح لم يكن أمراً تدريجياً، بل إن الله تعالى خلق الأرواح
دفعاً واحدة، وتشير بعض روايات الطينة المبينة لكيفية خلق الأرواح من طينة
أعلى عليّين وطينة العليّين أو سجين، إلى هذا المطلب.

١. الكافي، ج ١، ص ٤٣٨، ح ١١؛ بصائر الدرجات، ج ١، ص ٨٧، ح ١١؛ بحار الأنوار، ج ٥٨، ص ١٣٨، ح ١٥ (الباب ٤٣ من
أبواب الإنسان والروح... من كتاب السماء والعالم).

٤. تواتر نصوص خلقه الأرواح قبل الأبدان

ليس هناك شك في وجود التواتر المعنوي بشأن روايات خلقه الأرواح قبل الأبدان، بل ادّعي التواتر اللفظي في بعض الموارد أيضاً، وبالرغم من ذلك فإن الشيخ المفيد رحمته قد عدّ روايات هذا الباب من الأحاد^١ وفي المقابل يرى صدر الدين الشيرازي أن روايات هذا الباب أكثر مما تعدّ، وقد عدّ هذا الأمر (أي: خلقه الأرواح قبل الأبدان) من ضروريات المذهب^٢.

أما العلامة المجلسي رحمته فقد عدّ الأحاديث في هذا الباب قريبة من التواتر، وقد صرح بأن ما أقيم من الأدلة على حدوث الأرواح مقارنة لخلق الأبدان جميعها، مخدوشة، ولا يمكن ردّ أحاديث الباب بتلك الأدلة^٣.

السيد نعمه الله الجزائري رحمته هو الآخر عدّ الروايات في الباب مستفيضة بل يراها متواترة^٤.

وقد قسم آية الله الشيخ عبد النبي العراقي رحمته روايات عالم الميثاق، قسمها إلى تسعة أقسام، حيث جعل بعضاً منها مرتبطاً بخلق الأرواح قبل الأبدان، ويقول رحمته في عنوان الطائفة الأولى:

الطائفة الأولى بعنوان «خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي عام»، وهذه الطائفة متواترة لفظاً بين الأخبار^٥.

ويقول عن الطائفة الثانية:

الطائفة الثانية بعنوان أن الأرواح كانت في الملاء الأعلى قبل مجيئها إلى هذا

١. المسائل السروية، ص ٥٢ (مصفحات الشيخ ج ١٧) تصحيح الاعتماد، ص ٨٠ و ٨١ (مصفحات الشيخ ج ٥) وراجع: تعليقه الأستاذ مصباح على بحار الأنوار ج ٦١، ص ١٤١ وسلسلة مقالات مؤتمر الشيخ المفيد، رقم ٧٤، مقالة «خلق الأرواح قبل الأبدان بقلم زين العابدين قرباني»، ص ١٠.

٢. المعرفة، ص ٢٢.

٣. راجع: بحار الأنوار ج ٥٨، ص ١٤١ (الباب ٤٣ من أبواب الإنسان والروح من كتاب السماء والعالم).

٤. الأنوار النعمانية، ج ١، ص ٢٦٨.

٥. روح الإيمان، ص ١٨٦.

العالم... كانت فرقة فرقة و زرافة زرافة... فمن اختلف هناك وأحب أحداً وعرفه، سيألفه هنا أيضاً وبجته؛ ومن لم يعرفه هناك، لا يوادده هنا؛ وهذه الطائفة متواترة لفظاً أيضاً.^١

ويقول عن الطائفة السادسة:

الطائفة السادسة في بيان خلقه روح خاتم النبيين ﷺ أو مع الأنثة ﷺ أو أرواح الأنبياء، أو أرواح الشيعة، أو أرواح مطلق الناس قبل أجسادهم الدنيوية، هذه الطائفة أيضاً بالنسبة إلى المعصومين الأربعة عشر ﷺ تمتك التواتر المعنوي.^٢

ويقول عن الطائفة السابعة:

الطائفة السابعة بعنوان أن الحق - عز اسمه العالي - خلق جميع الأرواح والنفوس قبل الأجساد الدنيوية، وكلّفها جميعاً، وأهبطها إلى الدنيا بعد التكليف. ويسمى عالم التكليف بعالم الميثاق والذرّ والعهد وألست والأرواح والأشباح، والظّل والنور والملكوت والأمانة، إلى غيرها من الأسماء. ولكنّ الغالب في لسان الروايات هو عالم الميثاق. وهذه الطائفة أكثر من جميع الطوائف وهي متواترة، لأنّ رواياتها تقارب السبعمئة رواية في الكتب الحديثية المختلفة في موارد متعددة.^٣

وقد كتب آية الله الجهرمي الشريعتمداري^٤ ما نصّه:

الحاصل أنّ النصوص بتقدّم خلق الأرواح على الأجساد كثيرة جداً، وعقد المجلسي - رحمه الله تعالى - في بحار الأنوار باباً خاصاً بذلك وذكر فيه أنّها قريبة من التواتر وهو كذلك قطعاً. فقد أورد في هذا الباب خمسة عشر حديثاً...

١. روح الإيمان، ص ١٩٧.

٢. روح الإيمان، ص ٢٢٢.

٣. روح الإيمان، ص ٢٣٣. ولا يخفى أنّه يذهب إلى وحدة عالم الأرواح وعالم الذرّ. وأكثر روايات الطائفة السابعة -

ويقول أنّه ورد سبعمئة حديث في هذا الباب - ترتبط بعالم الذرّ (المؤلف)

٤. حينما طبع الكتاب لأوّل مرّة باللغة الفارسيّة كان على قيد الحياة ولقد وافقه المتنيّة في عمر ٨٢، عام ١٣٣٢ ق.

وأسانيد جملة منها قوية... بعضها صحيح أو حسن كالصحيح^١.

إذاً فلا شك أو شبهة في وجود عالم الأرواح من ناحية النصوص الشرعية؛ وبالرغم من ذلك فإن بعض كبار علمائنا لوجود بعض الشبهات أو لعدم الفحص التام، أنكروا وجود هذا العالم الذي به صرّحت الروايات، ولذا أولوا معناه الذي عليه النصوص. ومنستعرض في الدرس القادم إلى بعض الشبهات الواردة ونجيب عليها بما يناسبها إن شاء الله تعالى.

٥. ملخص الدرس

- من خلال الروايات يتبين أن الناس قد مزوا بعوالم قبل وصولهم إلى هذا العالم.
- في العوالم السابقة، أعطي الخلق نور العلم، وحينئذ عرفهم الله نفسه.
- قبل عالم الدنيا وبعد أن عرف الله نفسه للخلق، كلف عباده على الإقرار بالعبودية؛ ومن ثم أخذ عليهم الميثاق على ذلك.
- المعرفة الفطرية، والحب والبغض البدوي، وعروض الحزن الطارئ بغير سبب، كلها شواهد على وجود عوالم سابقة.
- كان الناس قبل هذا العالم، في عالمين مختلفين - على الأقل - : أحدهما عالم الأرواح (الأشباح) والآخر عالم الذر.
- أرواح الناس تخلق قبل أبدانهم بألفي عام.
- أرواح الناس في عالم الأرواح، أقامت بين بعضها البعض صداقات ومحبة أو عداوات وكره، والكفر والإيمان والولاية والإنكار كانت كلها موجودة في ذلك العالم.
- الأرواح - وإن خلّيت من الأجساد - متميزة عن بعضها البعض، ويمكن تشخيصها، وقد أسكنها الله تعالى - قبل خلق الأبدان وتركيبها بها - في الهواء.
- الروايات الواردة عن عالم الأرواح قد تواترت معنوياً، ولا شك في المتون الروائية في وجود عالم الأرواح.

٦. اختبار ذاتي

١. ما هو المراد من عالم الأرواح؟
٢. هل يمكن وجود الروح بلا بدن؟ وهل تتمايز الأرواح بلا أبدان عن بعضها البعض؟
٣. هل كانت الأرواح في عالمها الخاص وأجدة للشعور والإدراك؟
٤. ما هي الشواهد على وجود عالم الأرواح أو عوالم قبل الحياة الدنيا؟
٥. ما هو طريق إثبات العوالم السابقة على عالم الدنيا؟
٦. هل الروايات الواردة في باب عالم الأرواح تصل إلى درجة يطمئن الإنسان إلى وجود هكذا عالم سابق؟ وما هي العلة في إنكار البعض عالم الأرواح وتأويلهم الأحاديث الواردة حولها؟



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الدرس السادس ٦

مواقف التعريف: عالم الأرواح (٢)

- شبهات حول عالم الأرواح
- الخلقة الدفعية للأرواح





مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تلميح

بعد الانتهاء من الدرس، يتوقع من الطالب أن يكون قد
تعرف على الشبهات المثارة حول عالم الأرواح ويكون
قادراً على الإجابة عليها، ويعرف المراد من تقدم الأرواح
على الأبدان.

قد ذكرنا في الدرس السابق الشواهد على وجود عوالم سابقة على هذا العالم وقد
بيننا الأدلة الواردة عنها. وبالرغم من كثرة الأدلة والنصوص القائمة على وجود عوالم
سابقة إلا أن البعض شكك في تلك العوالم، ونستعرض في هذا الدرس للشبهات
المثارة ونجيب عليها، كما سنلحق بالدرس بعض البحوث التكميلية.

١. شبهات حول عالم الأرواح

للشيخ المفيد رحمته الله إشكالان حول عالم الأرواح، فبعد أن ادعى الشيخ أن روايات
عالم الأرواح هي أحاديث آحاد، قال:

ولولا أن ذلك كذلك لكانت الأرواح تقوم بأنفسها ولا تحتاج إلى آلات تحملها
ولكننا نعرف ما سلف لنا من الأحوال قبل خلق الأجساد كما تعلم أحوالنا بعد
خلق الأجساد وهذا محال لا خفاء بفساده.^١

١. المسائل الضرورية، ص ١٥٣ سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد، ج ٢٦، ص ٧.

وفي كتابه تصحيح الاعتقاد بعد بيان الإشكاليين الواردين على الشيخ الصدوق يضيف إشكالاً ثالثاً ويرى أن الاعتقاد بعالم الأرواح قبل الأبدان هو قول من ذهب إلى التناسخ.^١

إذا فني كلام الشيخ المفيد أربعة إشكالات عن عالم الأرواح هي:

١. روايات خلقه الأرواح قبل الأبدان هي آحاد.
 ٢. القول بقبليّة خلق الأرواح يلزم وجودها بشكل مستقل.
 ٣. لو كان ذلك العالم موجوداً حقّاً لعلمنا به، والحال على العكس.
 ٤. القول بخلق الأرواح قبل الأبدان هو ما ذهب إليه القائلون بالتناسخ.
- وقد مرّ عليك - في الدرس السابق - البحث عن تواتر الروايات الواردة تواتراً معنوياً، بل لفظياً، وذكرنا كلام بعض العلماء في هذا المجال، وعليه فلا مورد للإشكال الأول كما عرفت سابقاً.

وبالنسبة إلى الإشكال الثاني فلا بدّ من القول بأنّ إنكار الوجود الاستقلالي للروح أمر يحتاج إلى دليل، وقد قام الدليل على العكس منه، فتصريح الروايات بأنّ الأرواح - دون الأجساد - كانت متمايزة عن بعضها، وقابلة للتفريق، وقد أسكنها الله في الهواء، وكلّ ذلك دليل على استقلالية الأرواح عن الأبدان.

أمّا الجواب على الإشكال الثالث، فواضح؛ فإنّ عدم الاطلاع عن السابق لا يكون دليلاً لإثكاره، فمن المسلم به أنّ الناس قد قضوا برهة من الزمن في أرحام الأمّهات قبل أن يولدوا في دار الدنيا،^٢ ومع ذلك فلا يوجد من له اطلاع عن تلك المرحلة. هذا فضلاً عن تصريح الروايات الشريفة بأنّ الله تعالى أثبت أصل المعرفة وأنسى الناس الموقف، فالنسيان إنّما هو بإرادة ربّانية.

وعلى هذا، فلا مناص من الرجوع لنصوص الوحي في إثبات تلك العوالم، وقد قلنا

١. تصحيح اعتقادات الإمامية، ص ١٨٧، سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد، ج ٦، ص ٥.

٢. وقد كانوا ذاكرين لميثاق حتّى زجرتهم الملائكة فخرجوا من الأرحام إلى عالم الدنيا، كما ورد ذلك في الأحاديث، (المعرج).

سابقاً أنّ الروايات الواردة صريحة في وجود عوالم سابقة وذكرنا شواهداً على هذا الأمر.

وقد أجاب آية الله الشيخ الجهرمي على الإشكالات الثلاث السالفة وقال:

ما ذكره الشيخ المفيد من كون روايات تقدّم الأرواح على الأبدان روايات آحاد أمر غير صحيح كما مرّ إجمالاً....

وفي الثاني: لا يوجد دليل عقلي على استحالة تقوّم الأرواح بدون الحاجة إلى الأبدان - كتقوّمها في الهواء - كما صرّحت الروايات بذلك، لأنّ حقيقة الروح مجهولة عندنا ومعرفة حقيقتها وصفتها أمر خارج عن قدرة البشر....

وعدم علمنا عن عالم الأرواح السابق علينا، هو من جهة حكمة الله تعالى حيث جرت على أن يكون التذكير والتنبية عبر الطرق الظاهرية والطبيعية. وبهذا السبب فإنّ الكثير من الناس ينسون فترة صباهم أو شبابهم، بالرغم من تذكّره بتلك المواقف والفترات في القيامة.

فتكون المحصلة النهائية هو وجود عالم الأرواح قبل الأبدان الذي ثبت إجمالاً من روايات أهل البيت (عليه السلام)، مع بقاء حقيقته وكنهه والأفعال الحاصلة فيه وبقائها جميعاً مبهمّة ومجهولة.

ويعتبر عن هذا العالم بعالم «الأشباح» أيضاً^١.

وفي الإجابة على السؤال الرابع، فنكتفي بنقل كلام آية الله الصافي الكلبايكاني حيث قال في مقالة له كتبها في التحكيم بين الشيخين الصدوق والمفيد «رحمهما الله»: حيث كانت حقيقة الروح والعقل وجزء من باطن وجود الإنسان ككثير من الحقائق الأخرى بقيت مجهولة، فإنّ الأحاديث الشريفة قد صرّحت بخلقه الأرواح قبل الأجساد، وحيث لم يقدر الشيخ الصدوق على ردّ الأحاديث اعتقد بظاهرها، ولا علاقة بهذا المعتقد بمقالة تناسخ الأرواح. لأنّ التناسخ عبارة عن تعلق الروح بأجسام عنصرية متعدّدة في هذه الدنيا حيث تنتقل من جسم إلى غيره بعد انتهاء عمر الأوّل فتظهر الحقيقة الواحدة في صور مختلفة

وتجازى في كل ظهور على الأفعال في الظهور السابق.

والحال فيما نحن فيه فإن الروح تتعلّق بجسم عنصرى واحد، لا امتزاج بينه وبين سائر الأرواح والأجسام.

وهذا المعنى ممكن في حدّ نفسه ولا يحتاج إلى إثبات - وإن كان ثابتاً عند كبار العلماء من أمثال الشيخ الصدوق - فلا يصحّ قياس الموضوع بمسألة التناسخ.^١

٢. شبهة أخرى

يعتقد البعض أن القول بتقدّم خلقه الأرواح على الأبدان يستلزم القول بقدمها.^٢ هذه الشبهة وإن بدت في الظاهر أنّها للقائلين بروحانية الحدوث للأرواح إلا أنّها موجودة عند القائلين بالحدوث الجسماني للأرواح أيضاً. إذ إنّ كما ذكر فإن صدر الدين الشيرازي القائل بأن الروايات الواردة في باب خلقه الأرواح قبل الأبدان أكثر من أن تحصى وبالرغم من ذلك فإنّه يعتقد أنّ الأرواح هي جسمانية من حيث الخلقة، وبالتالي فإنّه لا يعتقد بخلقة الأرواح قبل الأبدان بحيث يكون للروح وجوداً متميّزاً عن غيره - كما صرّحت به الروايات الشريفة - وغير معنى الروايات عن ظاهرها، فجعل لها معنى آخر، حيث قال:

إلى أنّ الأرواح قديمة، وجماعة لما تفطنوا أنّ نفوسهم غير جسميّة توهموا أنّها الباري، وقد ضلّوا ضلالاً بعيداً، فإنّ النفوس كثيرة فالبارئ جلّ كبريائه واحد أحديّ، وأما بطلان كونها قديمة: فالبرهان طويل ومقدماته كثيرة، لكن إنّ الروح البشريّة حدثت عند تمام استعداد النطفة للقبول، وحدوثها من الله عند تمام الاستعداد المعبر عنه بالتسوية، كما حدثت الصورة في المرأة، عند حصول الصقالة و التصفية في المرأة من ذي الصورة، وإن كان ذو الصورة سابق الوجود على الصقالة وهما متحدان.

١. سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد، ج ٥٣، ص ٣٧.

٢. الأصول الفقهية، ج ١، ص ٢٦٨، الحادية.

ويجاز هذا البرهان: إن الأرواح البشرية لو كانت موجودة قبل الأبدان لكانت إما كثيرة وإما واحدة، وكلا الشقين باطل، فوجودها قبل البدن باطل، أمّا بطلان وحدتها:

فإنها بعد التعلق بالأبدان إما أن بقيت على وحدتها أو صارت متكثرة، وكلاهما محال، فوجودها مع البدن محال.

ثمّ يقيم برهاناً على عدم إمكانية التمايز بين الأرواح قبل دخولها في الأجساد وفي النهاية يقول في توجيه روايات سابقة خلقة الأرواح على الأبدان:

... فلا يوجب شيء منها أن يكون للأرواح وجود قبل الأبدان هذا النحو من الوجود، بل المراد هاهنا وجودها في عالم التقدير أو وجود أصولها ومعادنها ومنابعها.^١

ويقول في مكان آخر:

بل المراد أنّ لها كينونة أخرى لمبادي وجودها في عالم علم الله من الصور المغارقة العقلية، هي المثل الإلهية التي أُنبتها أفلاطون ومن قبله.^٢

بالرغم من أن صدر الدين الشيرازي لا يصرح في كلامه هنا بقدّم الأرواح، إلّا أن ظاهر كلامه يدلّ على ذلك، لأنّه يذكر هذه الأمور في مقام الدفاع عن قول أفلاطون، الذي يعتقد بقدّم الأرواح. ومع ذلك فإنّ تلميذه يصرح بذلك في تعليقه على الشواهد الربوبية حيث ذكر أقوالاً في حدوث الروح أو عدم حدوثها وقال:

القول الرابع: للروح وحدة جمعية وشؤون ذاتية متعدّدة، فالروح قديمة وفاعلة بواسطة قدّم العقل الكلّي؛ وذلك ربّ النوع وذلك في مرتبة تنزّهه وتجرّده. لأنّ وجود (ربّ النوع) السابق والقديم ثابت للروح. والروح حادثة أيضاً؛ في مرتبتها الوجودية الطبيعية والجسمانية حيث تكون حادثة بواسطة الجسم؛ لا

١. شرح أصول الكافي (ملا صدرا)، ج ٣، ص ٣٩١.

٢. الحكمة المتعالية، ج ٨، ص ٣٣٣.

أنها تحدث بحدوث البدن، وهذا القول قويّ ومحترم؛ والمصنّف قائل به أيضاً.

فإذا قلت: أنّ الروح قديمة، صدقت، وإن قلت حادثة، صدقت أيضاً، وإن قلت، أنها مجردة أصبت الكلام؛ وإن قلت، أنها جسمانية، أصبت أيضاً. وهكذا لو قلت، الروح ملك أو حور أو حيوان أو نبات أو غيرها من الأجساد، فكلها صحيحة؛ ولكن دون إخراجها عن مقاماتها الأخرى، لأنّ الروح بعد الحق تعالى أمر بسيط وهي كلّ الأشياء.^١

ولأنّ أصحاب هذه النظرية، يقرّون من جهة بصحة وكثرة الروايات الواردة في الباب البالغة حدّ التواتر، ويعتقدون من جهة أخرى بعدم إمكانية خلقه الأرواح قبل الأبدان بشكل متمايز ومتكثّر، فإنهم فتحوا باب التأويل للأحاديث الشريفة وتوجيهها وأخرجوا النصوص عن معانيها الصريحة، وبهذا التوجيه لم يردّوا الروايات فحسب، بل فسروها بمعانٍ جديدة لا تتفق وأصول المذهب ومباني أهل البيت عليه السلام.

فبناءً على النصوص الدينية لا يتفق مع الخلقة على العلنية أو العقول الطولية أو العرضية، كما أنّ الروح - في مدرسة أهل البيت عليه السلام - ليس لها ذلك التجرد الذي يتصوّره هؤلاء.

وبعبارة أوضح فإنّ روح الإنسان - في النصوص الدينية - لم تكن في المرتبة الوجودية روحاً لجرّ أو ملك أو حيوان أو نبات أو نظائرها أبداً.

فالصحيح أن يقال: حيث أنّ للروايات تواتراً نسبياً ويعطمان بصدورها الإنسان بشكل كامل وكانت دلالتها على سبق خلقه الأرواح على الأبدان بالفي عام قطعية ولا شك في تمايز الأرواح وكثرتها، فالحق أن نلتزم بمدلولها ونبني معرفتنا بالأرواح والأبدان على أساسها؛ فإنّه من الواضح أنّها نابعة من منبع العلم ولا يمكن قياس مدلولها بالقياسات الذهنية لسائر الناس يوجه من الوجوه.

٣. الخلقة الدفعية للأرواح

إن جميع روايات باب خلقة الأرواح قبل الأبدان ظاهرة في أن خلقة الأرواح حدثت بصورة دفعية لا تدريجية وباعتبار أن الكثير من هذه النصوص تقول بتقدم الأرواح على الأبدان بألفي عام فإن ذلك يدل على أن الأبدان خلقت - هي الأخرى - دفعة واحدة لا تدريجياً وبناءً على هذا لا يمكن القول بأن خلقة الأبدان تتحقق في هذا العالم؛ ذلك لأن الاختلاف الزمني في المعجى إلى الدنيا أمر لا يخفى على أحد سنتحدث في الدرس القادم عن خلقة الأبدان.

يقول الشعراني عن خلقة الأرواح بدفعة واحدة:

ويحتمل بعيداً أن يكون المراد خلق كل واحد واحد من الرواح^١ قبل كل واحد واحد من الأبدان فيكون خلق كل روح قبل بدن نفسه بألفي عام وهذا لا يطابق سياق عبارة الحديث وفريع الإمام عليه إذ ربما يكون تولد ولي من أولياء الإمام بعد عهده بثلاثة آلاف سنة فيكون خلق روحه بعد عصره في ألف سنة ولم يكن رآه الإمام في عالم الأظلة ولم يعرفه مع أنه جعل خلق الأرواح قبل الأجسام مقدّمة لعرضهم عليه ومعرفة إيتاهم فالمقصود ما ذكرناه أولاً وقبلية الأرواح والمجردات على الأجسام والماديات بالعلية والطبع كما سبق مراراً في مواضعه.^٢

ويكتب الأستاذ المصباح حول هذا الأمر:

ومتما ينبغي الالتفات إليه أن في تقدم خلق الأرواح على الأبدان بألفي عام - على حد التعبير الوارد في الروايات - لم يعتبر كل روح إلى بدنه بحيث يكون خلق كل روح قبل خلق بدنه بألفي عام كامل لا أزيد ولا أنقص وإلا لزم عدم وجود جميع الأرواح في زمن علي رضي الله عنه فضلاً عما قبله، ضرورة حدوث كثير من الأبدان بعد زمنه بألاف سنة ولا يبعد أن يكون ذكر الكافرين لأجل التكثير،

١ - الملتزم في النسخة هكذا؛ والصحيح (الأرواح).

٢ - شرح أصول الكافي (مولى صالح المازندراني)، ج ٧، ص ١٢٨.

وتتنية الألف للإشارة إلى التقدم العقلي والمثالي.^١

من الواضح أن هذا التوجيه يصح فيما لو لم يكن بين عالم الأرواح وعالم التناسل عالم آخر حيث تُخلق فيه جميع الأبدان بصورة دفعية وتتعلق الأرواح فيها بأبدانها المختصة ولكن كما سنبين لاحقاً لا وجود للشك والتريد في وجود عالم آخر خلقت فيها جميع الأبدان استناداً إلى النصوص الشريفة.

ويقول السيد الجزائري:

وقول النبي ﷺ (بألفي عام) يقصد منها تقدم الأرواح على نوع البدن، حتى لو كان واحداً، الذي هو عبارة عن بدن أبينا آدم، وفي غير هذه الحالة، فمن المعلوم أن كل روح بالنسبة إلى بدنها تقدمت بألفي عام.^٢

وهذا التأويل هو الآخر لا يتطابق والنصوص الواردة في هذا المجال.

طريقة حل هذه المسألة سيأتي في البحث عن عالم الذر ومن العجيب قول السيد الجزائري لأنه معتقد بعالم الذر وخروج ذرية آدم من ظهره وتعلق الأرواح بها ومع ذلك فإنه يأتي بهذا التأويل، ويروي السيد حديثاً مفاده إن الله سبحانه لما أراد خلق آدم ﷺ خلق طينة ثم قسمها قسمين وقال لأصحاب اليمين: «كُونُوا خَلْقاً يَأْذِي فَكَانُوا خَلْقاً يَمْتَرِلُ الذَّرَّاءُ»^٣ وتحقق هذا الأمر بالنسبة إلى أصحاب الشمال أيضاً ثم أمرهم - جميعاً - بدخول نار فاستجاب أصحاب اليمين وعصى أصحاب الشمال وتكرر هذا الأمر ثلاث مرات بالنسبة لهم وعصوا فيها جميعاً ثم أعادهم جميعاً على هيئة الطين وخلق النبي آدم ﷺ منه.

يقول السيد:

إن الحديث يدل على أن هذا التكليف كان لتلك الأرواح التي تعلق بالذر قبل أن يخلق الله آدم.

١. محليقة في بحار الأنوار ج ٦١، ص ١٢٢ (الباب ٢٣ من أبواب الإنسان والروح من كتاب السماء والعالم).

٢. كنوز النعمانية، ج ١، ص ٢٦٨.

٣. الكافي، ج ٢، ص ١١، ح ١٢٦ بحار الأنوار ج ٦٢، ص ١٢٢، ح ٢٥ (الباب الثالث من أبواب الإيمان والإسلام من كتاب الإيمان والكفر).

ثم يكتب السيد بعد ذلك:

وبعد أن خلق آدمًا وصوره، أخرج هذه الذرات من ظهره علّق بها أرواحها، ثم أخذ ذلك العهد.^١

٣. ملخص الدرس

• ليس هنالك استبعاد للوجود الاستقلالي للأرواح وقد صرحت الروايات الشريفة بذلك.

• عدم العلم بعالم الأرواح لا يكفي لإثكاره.

• الاعتقاد بخلقه الأرواح قبل الأبدان يختلف عن القول بالتناسخ.

• التناسخ عبارة عن تعلّق الروح بالأبدان العنصرية المتعدّدة والحال أنّ القول بخلقه الأرواح قبل الأبدان يجمع مع تعلّق الروح بيدن واحد.

• القول بخلقه الأرواح قبل الأبدان لا يستوجب الاعتقاد بقدّم الأرواح.

• خلقه الأرواح والأبدان حدثت بدفعة واحدة مع وجود الفارق الزمنيّ بينهما وهو ألفي عام.

• تقدّم الأرواح على الأبدان ليس تقدّمًا عقليًا أو مثاليًا.

• ليس المقصود من تقدّم الأرواح التقدّم على نوع البدن بل المراد تقدّم جميع الأرواح على جميع الأبدان.

٥. اختبار ذاتي

١. هل عدم العلم بوجود العوالم السابقة يكفي دليلًا لإثكارها؟ لماذا؟

٢. هل يمكن للأرواح أن تستقلّ بوجودها؟ وإن قلنا بالإمكان فأين كان مسكن الأرواح؟

٣. ما هو التناسخ؟ وهل الاعتقاد بتقدّم الأرواح على الأبدان قول بالتناسخ؟

٤. هل القول بخلقه الأرواح قبل الأبدان يوجب الاعتقاد بقدّم الأرواح؟ وضح ذلك.

٥. بناءً على كون الروح جسمانيّة الحدوث، كيف يوجّه تقدّم الروح على البدن؟

٦. كيف يوجه القول بالفاصل الزمني المحدد (الفي عام) بين خلقه الأرواح وخلق الأبدان؟

٧. هل يصح القول بالتقدم المثالي والعقلي للأرواح قبل الأبدان؟ وهل يصح القول بأن التقدم كان على نوع البدن؟ (أجب مفصلاً).

٧ الدرس السابع

مواقف التعريف: عالم الذرّ (١)

- العلاقة بين عالم الذرّ والأرواح
- الحكمة من جعل الأرواح في الأبدان
- عالم الذرّ في القرآن





مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تلميح

بعد الانتهاء من الدرس، يتوقع من الطالب أن يعرف
العلاقة بين عالم الذر وعالم الأرواح، وأن يعرف الحكمة
من جعل الأرواح في الأبدان، ويتعرف على تفسير آية
الذر والأقوال المختلفة حولها.

نتبين لك في الدروس السابقة، أن الإنسان، قبل أن يولد في هذه الدنيا، قد مرّ على
الأقلّ - على عالمين سابقين. وقد بينا بعض المطالب عن عالم الأرواح (الأشباح)
في الدرسين السابقين. والآن سنتحدث عن موقف آخر من مواقف التعريف -
الذي يعبر عنه بعالم الذرّ -.

إنّ عالم الذرّ هو عالم أخرج الله فيه جميع ذرية النبي آدم ﷺ من ظهره في
صورة الذرّ وعزّفهم نفسه، وأخذ عليهم عهداً على ربوبيّته، وأكّد عليهم الميثاق
على الوحدانيّة فيه، وبعد ذلك أعادهم في ظهور أيّهم آدم.

وجميع ذرية النبي آدم ﷺ الذين أخرجهم الله في ذلك العالم، ينتقلون بين
أصلاّب الرجال وأرحام النساء، ويأتون إلى هذه الدنيا في الموعد الذي قرّر لهم وقدر
لهم في السابق.

وقد مرّ عليك سابقاً أنّ إثبات وجود عوالم تسبق عالم الدنيا وأنّ لوجود الإنسان

قبل عالم الدنيا سابقة، أمر خارج حدود إدراك العقل البشري، وليس لنا طريق لإدراك ذلك العالم سوى النصوص الدينية المثبتة لتلك العوالم. وأن الأدلة المثبتة والشواهد على وجود عالم الذرة كثيرة في نصوص القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليه السلام، مما لا يدع أي مجال للشك أو الإنكار بل وحتى التأويل.

١. العلاقة بين عالم الذرة والأرواح

قد ذكرنا سابقاً أن الله عز وجل قد خلق الأرواح قبل أبدانها بألفي عام، وتبين لك أيضاً أن خلقه الأرواح لم تكن تدريجية بل كانت دفعة واحدة، وقد جمعهم الله في محل واحد وأخذ منهم ميثاق الربوبية.

وحيث كانت الروايات تؤكد على خلقه الأرواح قبل الأبدان بألفي عام، يتبين لك أن الأبدان هي بدورها أيضاً خلقت دفعة واحدة، ومن الواضح أن الخلقة المقصودة هي خلقه قبل هذا العالم، لأن الخلقة في هذه الدنيا تكون أولاً تدريجية، وثانياً لا تتطابق مع الألفين عام. فلا مناص من أن تكون الأبدان خلقت في عالم غير عالم الدنيا أيضاً.

والنصوص الدينية عبّرت عن ذلك العالم بتعابير مختلفة هي: عالم الذرة، عالم العهد، عالم الميثاق، عالم ألسنت.

٢. الحكمة من جعل الأرواح في الأبدان

قد ورد في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام، أن الأرواح كانت في مقام عالٍ وملكوته سام، وذلك قبل أن تكون في الأبدان، وهذا الأمر أدى إلى تكبر أكثر تلك الأرواح، وترفعها؛ حتى وصل الأمر إلى أنها كادت أن تدعي الربوبية. والله عز وجل بلطفه ورحمته، قرن تلك الأرواح بالأبدان لكيلا يقع هذا الأمر.

أَنَّ الْأَرْوَاحَ فِي شَرَفِهَا وَعَظَمَتِهَا، مَتَى مَا تُرِكَتْ عَلَى حَالِهَا، تَبَعَّ أَكْثَرُهَا إِلَى دَعْوَى الزُّبُوبِيَّةِ دُونَهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَجَعَلَهَا بِإِدْرَاقِهِ فِي الْأَبْدَانِ الَّتِي قَدَّرَهَا فِي

ابتداء التقدير نظراً لها ورحمته بها^١.

وهذه الرواية تدل على أن الله عز وجل كان قد قدر لكل روح بدنًا من قبل؛ ولكن لوجود حكمة ومصلحة خلق الأرواح بصورة مستقلة وجعلها في مقام راقٍ قبل أن يخلق الأبدان، وبعد أن أتم الحجة عليها جعلها في الأبدان.

وفيما يلي سنتعرض للأدلة المثبتة لوجود عالم الذر، وسنبحث في هذا الدرس في آية الذر، وفي الدرس التالي سنورد بعض الروايات الواردة في المقام.

٣. عالم الذر في القرآن

٣-١. آية الذر

قال تعالى:

﴿وَإِذْ لَقَدْ رَمَكُم مِّن بَيْنِ أَيْمَن مِّن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ وَآشَدَّهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ • أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾^٢.

تدل الآية الشريفة على أن الله أخرج ذرية أبناء آدم ﷺ جميعاً من ظهورهم في زمان معين، وجمعهم معاً، وحينها خاطبهم بقوله ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، وأجابوا جميعاً بـ ﴿بَلَىٰ﴾. ويدل قوله تعالى: ﴿آشَدَّهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ على أنهم قد عرفوا أنفسهم بشكل جيد وشهدوا عليها، وكان الجميع متميزين بشكل معين. اجتمع هناك جميع ولد آدم، ولكن هل كان النبي آدم ﷺ هناك أيضاً؟ الآية ساكتة عن هذا الأمر.

فالآية تدل على أن الإخراج تم من ظهور أبناء آدم ولا تتعرض لإخراجها من ظهر آدم ﷺ، كما أنها لا تنفي ذلك أيضاً.

١. حلل الشريعة، ج ١، ص ٥٦، ح ١١ بحار الأنوار ج ٥٨، ص ١٣٣، ح ٦ (الباب ٢٢ من أبواب الإنسان والروح من كتاب السماء والعالم).

٢. الأعراف (٧)، الأيقان ١٧٢-١٧٣.

فيستفاد من الآية إذاً أن جميع أبناء آدم ﷺ كانوا في ذلك الموقف، الواحد بجانب الآخر، والمخلف بعد السلف، وكانوا مشخصين ويعرفون أنفسهم أيضاً.

والظاهر أن قوله ﴿شَهِدْنَا﴾ إشارة إلى من شهد ذلك الموقف وحضره متين ليس من ذرية آدم^١. وعبارة: ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وقوله: ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا﴾ تبين الحكمة من هذا الأمر أي إن الله تعالى عزف نفسه لعباده في هذا التجمع والموقف، وأخذ منهم الإقرار على ربييته وأوثق عليهم المواثيق، لكيلا تكون لهم حجة يوم القيامة. إذ لولا ذلك، ولو كان معجىء الإنسان بشكل مفاجئ إلى الدنيا، كان بإمكانه أن يدعي غفلته عن الله عز وجل؛ لأن الدنيا دار الحجب والغفلة. وكان يمكنه أيضاً أن يدعي تأثير الآباء والمحيط عليه في إيمانه وكفره؛ لأن ذلك محتمل جداً حيث تؤثر عقيدة الآباء في دين أبناءهم والمجتمع في عقيدة أبنائه.

ولكن أي من هذه الادعاءات والحجج لا تكون صحيحة بالنسبة إلى عالم الذرة إذ لم يكن هناك أي حجاب يحجب الإنسان عن الحقائق، كما كان الآباء في عرض أبنائهم حين ذاك وكانت علاقة الأبوة والبنوة مشخصة.

الآية تصرّح أن إخراج الذرية تم من ظهور ولد آدم، والحال أن الأحاديث الشريفة تتحدث عن إخراج الجميع من ظهور ﷺ، فيكون الجمع الدلالي بين النصوص أن الأحاديث ساكتة عن بيان كيفية الإخراج، بينما الآية تبين ذلك أنه تم الإخراج من ظهور أبناء آدم ﷺ، ولم يكن الإخراج دفعةً واحدة، بل كان الولد يخرج من ظهور والده وهكذا... كما هو الحال بالنسبة إلى عالم التناسل.

ويبتين لك - مع هذا البيان - عدم وجود تعارض بين الآية القرآنية والروايات الشريفة، في بيان إخراج الذرات.

والشيخ المفيد ﷺ يقول:

أما الحديث في إخراج الذرية من صلب آدم ﷺ على صورة الذر فقد جاء

الحديث بذلك على اختلاف ألفاظه ومعانيه والصحيح أنه أخرج الذرية من ظهره كالذر فملاً بهم الأفق وجعل على بعضهم نوراً لا يشوبه ظلمة وعلى بعضهم ظلمة لا يشوبها نور وعلى بعضهم نوراً وظلمة فلما رآهم آدم ﷺ عجب من كثرتهم وما عليهم من النور والظلمة فقال: يا رب ما هؤلاء؟ قال الله عز وجل له: هؤلاء ذريتك يريد تعريفه كثرتهم وامتلاء الأفق بهم وأن نسله يكون في الكثرة كالذر الذي رآه ليعرفه قدرته وييسره باتصال نسله وكثرتهم فقال آدم ﷺ: يا رب ما لي أرى على بعضهم نوراً لا ظلمة فيه وعلى بعضهم ظلمة لا يشوبها نور وعلى بعضهم ظلمة ونوراً؟ فقال تبارك وتعالى: أما الذين عليهم النور منهم بلا ظلمة فهم أصفيائي من ولدك الذين يطيعوني ولا يعصوني في شيء من أمري فأولئك سكان الجنة وأما الذين عليهم ظلمة لا يشوبها نور، فهم الكفار من ولدك الذين يعصوني ولا يطيعوني في شيء من أمري فهؤلاء حطب جهنم وأما الذين عليهم نور وظلمة، فأولئك الذين يطيعوني من ولدك ويعصوني فيخطئون أعمالهم السيئة بأعمال حسنة، فهؤلاء أمرهم إلي إن شئت عذبهم فبعدي وإن شئت عفوت عنهم فبفضلي فأنبأه الله تعالى بما يكون من ولده وشبههم بالذر الذي أخرجهم من ظهره وجعله علامة على كثرة ولده.

ويحتمل أن يكون ما أخرجهم من ظهره أصول أجسام ذريته دون أرواحهم وإثما فعل الله تعالى ذلك ليدل آدم ﷺ على العاقبة منه ويظهر له من قدرته وسلطانه وعجائب صنعه وأعلمه بالكائن قبل كونه ليزداد آدم ﷺ يقيناً بربه ويدعوه ذلك إلى التوكل على طاعته والتمسك بأوامره والاجتناب لزواجره.^١

وعلى هذا يتضح أن الشيخ المفيد رحمه الله أيضاً يقبل بإخراج ذرية آدم من ظهره، إلا أنه لا يقرب بأن الذرات لها شعوراً وفهماً واختياراً وأن يتوجه إليها التكاليف، حيث يرى الشيخ الروايات الدالة على هذا الموضوع بأنها تدل على التناسخ. وفي الواقع فإن كلام الشيخ ينفي دلالة القرآن الكريم على ما بيننا، لأن هذا الأمر

الذي ينسب إلى أهل التناسخ، تصرّح به الآيات القرآنية. فيثبت أن الشيخ رحمته الله كان قد وقع في مشكلة، إذ أنه كان يرى استحالة إمكان استنطاق الذرات وأخذ الإقرار منهم. وكذلك كان يتصور أن تعلق الأرواح بالأجساد الذرية ثم تعلقها بالأجساد في الدنيا يستلزم التناسخ في الأرواح؛ والحال أن هذا التصور غير صحيح بعد ملاحظة نصوص الروايات الشريفة. لأن الواضح من النصوص أن الأرواح لم تتعلّق بالأبدان الذرية فترة أخذ الإقرار فحسب، بل هي تعلّقت بالأجساد من عالم الذر وإلى موت الإنسان في عالم الدنيا، وعلى هذا لا مجال للقول بالتناسخ.

٣-٢. آراء حول آية الذر

تبين لك في البحث السابق معنى الآية المباركة وكذلك رأي الشيخ المفيد رحمته الله، وهنا نذكر بعضاً من آراء علماء الإسلام حول هذا الموضوع:

يقول الزمخشري (من علماء المعتزلة):

قوله: ﴿أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ من باب التمثيل والتخييل ومعنى ذلك أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته. وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي رغبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى، فكانت أشهدهم على أنفسهم وقزّهم وقال لهم: ألسنت برّكم؟ وكأنهم قالوا: بلى أنت ربّنا، شهدنا على أنفسنا وأقرنا بوحدايتك. وباب التمثيل واسع في كلام الله تعالى ورسوله عليه السلام، وفي كلام العرب^١.

والزمخشري من علماء المعتزلة، ولأنه لم يتمكن من إدراك عالم الذر، أنكره من الأساس، ولم يقبل بوجود الإنسان فيه؛ ومن هنا فإنه أوّل آية الميثاق وأخرجها عن معناها الحقيقي.

ونظير هذا التأويل نجده عند الشيخ المفيد رحمته الله، فإنه يقول:

أن هذه الآية من المجاز في اللغة كنظائرها مما هو مجاز واستعارة والمعنى فيها

إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَخَذَ مِنْ كُلِّ مَكْلَفٍ يَخْرُجُ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ وَظَهْرِ ذُرِّيَّتِهِ الْعَهْدَ عَلَيْهِ بَرِييَّتِهِ مِنْ حَيْثُ أَكْمَلَ عَقْلَهُ وَدَلَّهُ بِآثَارِ الصَّنْعَةِ عَلَى حَدُوثِهِ وَأَنَّ لَهُ مُحَدِّثًا أَحَدُهُ لَا يَشْبَهُهُ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ مِنْهُ بِنِعْمَةٍ عَلَيْهِ فَذَلِكَ هُوَ أَخَذَ الْعَهْدَ مِنْهُمْ، وَآثَارُ الصَّنْعَةِ فِيهِمْ هُوَ إِشْهَادُهُ لَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَبُّهُمْ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالُوا بَلَى﴾ يَرِيدُ بِهِ أَنَّهُمْ لَمْ يَمْتَنِعُوا مِنْ لَزُومِ آثَارِ الصَّنْعَةِ فِيهِمْ وَدَلَالَتِ حَدُوثِهِمُ الْإِزْمَةِ لَهُمْ وَحُجَّةِ الْعَقْلِ عَلَيْهِمْ فِي إِثْبَاتِ صَانِعِهِمْ فَكَأَنَّهُ سَبَّحَانَهُ لَمَّا أَلْزَمَهُمُ الْحُجَّةَ بِعَقُولِهِمْ عَلَى حَدُوثِهِمْ وَوُجُودِ مُحَدِّثِهِمْ قَالَ لَهُمْ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾^١.

وبناءً على هذه النظرية، فلا وجود سابق للإنسان على هذه الدنيا، ولا وجود لعالم الذرة، ولا وجود للمخاطب الإلهي للإنسان، ولا أي شيء آخر؛ بل إِنَّ كُلَّ مَا فِي الْأَمْرِ هُوَ هَذَا الْعَالَمُ، وَمَا بَعْدَهُ مِنْ عَالَمٍ الْآخِرَةِ، وَإِنَّ كُلَّ هَذِهِ الْأُمُورِ إِنَّمَا هُوَ يَكُونُ فِي دَارِ الدُّنْيَا، وَلَا حَقِيقَةَ لِشَيْءٍ رَدَّ فِي الْآيَةِ الشَّرِيفَةِ بَلْ هُوَ مُجَازٍ وَتَمَثِيلٌ وَتَحْوِيلٌ. يقول صدر الدين الشيرازي في مطلع الرد على هذه النظرية:

إِنَّ أَكْثَرَ الْأَقْوَالِ تَبْنَى عَلَى الظُّنُونِ الذَّهْنِيَّةِ دُونَ وَجُودِ الْكُشْفِ وَالْبَرَاهِينِ الْعَقْلِيَّةِ، وَمَا يَقْتَضِيهِ الْبَرَهَانُ وَمُكَاشَفَةُ الْأَصْحَابِ وَالْعُرْفَانِ بِطَابِقِهِ، هُوَ أَنَّ الْأَنْفُسَ الْإِنْسَانِيَّةَ لَهَا وَجُودَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ وَمُظَاهِرٌ كَثِيرَةٌ.

وبعد ذكره للمظاهر والوجودات المتعددة يتعرض لتفسير الآية، ويقول: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾^٢، أَرَادَ بِهِمُ النَّفُوسَ الْإِنْسَانِيَّةَ عِنْدَ كَوْنِهِمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمُ الْعَقْلِيَّةِ وَمَعَادِنِهِمُ الْأَصْلِيَّةِ... وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، أَيَّ اعْطَاهُمْ فِي هَذِهِ النِّشَاطَةِ الْإِدْرَاكِيَّةِ الْعَقْلِيَّةِ شُهُودَ ذَوَاتِهِمُ الْعَقْلِيَّةِ وَهُوَ يَاتِهِمُ النُّورِيَّةُ، فَكَانُوا بِتِلْكَ الْقُوَى الْعَقْلِيَّةِ يَسْمَعُونَ خُطَابَ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ، كَمَا

١- المسائل السريّة، ص ٢٨.

٢- الاحرف (٧)، الآية ١٧٢.

يسمعون الخطاب في دار الدنيا بهذه القوى البدئية، وقالوا بألسنة تلك العقول: بلى، أنت ربنا الذي أعطينا وجوداً قدسياً ربانياً سمعنا كلامك وأجبنا خطابك. واعلم أن المستمعين منهم على ثلاثة طبقات حسب مراتب مياديبهم العقلية قريباً وبعداً من الله: السابقون وأصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة، ولكل طبقة سمع وأبصار وأفئدة، أما السابقون المقزبون: فلما قال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟﴾، فبالسمع المنور بنور يحبتهم ويحيونهم، سمعوا خطابه وبالأبصار المنورة شاهدوا جماله وبالقلوب المنورة أحبوا لقائه، فأجابوه بلسان المحبة والشوق وحقاً وصدقاً وعبودية ورقاً.^١

إن هذا التأويل والتوجيه أيضاً لا يتناسب وأصول ومباني النصوص الشريفة الصادرة من مدرسة الوحي؛ بل لا يتناسب وأصول المعارف الدينية. أضف إليه أن التأويل يصح فيما لو كان في كلام الله أو المعصوم إشكالاً عقلياً صريحاً، ويكون مخالفاً للأصول والمحكمات الدينية. والحال أن ظاهر الآية الكريمة ووجود عالم الذر بالصورة التي بينتها الأحاديث؛ لا يتعارض مع العقل والوجدان كما لا يتنافى وأصول الشريعة المقدس ومحكماته. فلا مناص من التسليم في قبال النصوص والاكتفاء بالمقدار الذي بينته الروايات لنا.

السيد الجزائري^(ع)، يوضح معنى الآية من خلال استفادته من النصوص الشريفة لما هو الظاهر منها، فيقول:

قال أكثر المفسرين معناه أن الله تعالى أخرج ذرية آدم من صلبه كهيئة الذر فعرضهم على آدم؛ فقال: إني آخذ على ذريتك ميثاقهم بلى أن يعبدوني ولا يشركون بي شيئاً وعلى أرواقهم، ثم قال ألسنت بربكم؟ قالوا: بلى شهدنا أنك ربنا، فقال: للملائكة إشهدوا، فقالوا شهدنا....

ثم ردهم إلى صلب آدم والناس محبوبون بأجمعهم حتى يخرج كل من

أخرجه في ذلك الوقت.^١

ومن عدم إخراج الذرة من ظهر آدم في الآية الكريمة، قال آية الله الجهمي الشريعتمداري:

إن الله تعالى أخرج ذرة آدم من ظهره أولاً، ثم أخرج من ظهر ذرته ذريتهم. ومعنى الذرة لا يختص بالمولود في الدنيا، ولكن الآية الشريفة لم تتحدث عن إخراج ذرة آدم ﷺ، والنصوص أيضاً ساكتة عن الترتيب المزبور. وعدم الذكر هذا، مشابه لكثير من القصص القرآنية التي لا تعرض في أكثرها للخصوصيات. وربما يعود السبب في عدم الحاجة إلى ذكر ذلك، ومع هذا البيان فلا تنافي بين الآية والروايات المباركة.^٢

وكما ذكر سابقاً أن الروايات ساكتة عن كيفية الإخراج، وفي الآية لا تصريح بالإخراج من ظهر آدم ﷺ، ومع ذلك فإن هذا التعارض الظاهري، جزئي ولا يستب رفع اليد من الروايات الكثيرة المعتبرة سنداً في هذا المجال. ويؤكد ملا صالح المازندراني على هذا الأمر أيضاً حيث قال:

والمراد بأخذ الذرة من ظهورهم إخراجهم من أصلابهم نسلًا بعد نسل وإشهادهم على أنفسهم فإن مواد الكُل كانت موجودة في صلب آدم على ترتيب وجودهم في هذه النشأة، فإخراجهم من ظهور بني آدم إخراج من ظهر آدم وصلبه، فلا ينافي ما دلّ على أن الإخراج من ظهر آدم وصلبه.^٣

والحق أن الآية الشريفة تدل صراحة على وجود عالم سابق لجميع الناس، وهذا أمر واضح، والأحاديث الشريفة وضحت الأمر أكثر، ومنعطوق لها في الدرس القادم إن شاء الله تعالى.

١. الكوار النعمانية، ج ١، ص ٢٧٧.

٢. سلسلة مقالات مؤتمر الشيخ المفيد، الرقم ٣٥، مقالة: كلمة موجزة في الأرواح والألباء، ص ١٩.

٣. شرح أصول الكافي، ج ٨، ص ١٥.

٤. ملخص الدرس

- الأدلة على وجود عالم الذرة كثيرة؛ بحد لا يكون ادعاء التواتر في رواياتها ليس أمراً مستبعداً.
- تمت خلقة الأبدان دفعة، في عالم الذرة.
- إن الأرواح - قبل أن تتعلق بالأبدان - كانت في الملكوت الأعلى، وفي مقام عالٍ، حتى وصل الأمر بأكثرها أن تتكبر وتستعلي، ولذلك فإن الله تعالى جعلها في الأبدان ليحشوا بفقرهم وحاجتهم أكثر.
- في عالم الذرة أخرج جميع ذرية آدم من ظهره وسمعوا خطاب الرب: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾.
- إن الذرية هناك كانوا متميزين عن بعضهم البعض ومدركين لوجودهم.
- بالإضافة إلى ذرية آدم، كان هناك أفراداً شهدوا الميثاق.
- إن الله عرف نفسه للناس في عالم الذرة وبذلك أتم الحجة عليهم.
- في الآية، بيان لكيفية الخروج، وعلى هذا فإن كل جيل خرج من ظهر الجيل السابق له، ولكن الروايات لم تذكر هذا التفصيل.
- إن الأبدان النورية - التي جعل الله الأرواح فيها - تبقى في الدنيا إلى حين الموت.
- لأن العقل لا يدرك شيئاً عن العوالم السابقة، فلا مناص له إلا بقبول الروايات الواردة في المقام، وإن تأويل الأحاديث لا دليل عليه.

٥. اختبار ذاتي

١. اكتب ما تعرفه عن عالم الذرة.
٢. ما هي علاقة عالم الذرة بعالم الأرواح؟
٣. ما هي الحكمة في جعل الأرواح في الأبدان حسب الروايات؟
٤. يتن كيفية خروج ذرية النبي آدم ﷺ من خلال الآية الشريفة؟ وهل في هذا البيان تعارض مع الروايات الواردة؟ وضح ذلك.

٥. ما الذي أذى إلى إنكار بعض المتأخرين فهم ذرية آدم واختيارهم عندما كانوا في صورة الذر؟ وما هي العلاقة بين القول بكون بني آدم مختارين عندما كانوا في صورة الذر والتناسخ؟

٦. هل يصح تأويل آية الذر؟ متى يجوز لنا رفع اليد عن ظاهرات الآيات المباركات؟

٧. التعارض البدوي بين الآية الشريفة والروايات في كيفية خروج أولاد آدم من صلبه يمكن أن يسوّغ الإعراض عن الروايات الصحيحة السند في هذا المجال؟ لماذا؟



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الدرس الثامن

مواقف التعريف: عالم الذرّ (٢)

- روايات عالم الذرّ
- تواتر نصوص عالم الذرّ
- آراء بعض علماء الإسلام حول روايات
عالم الذرّ
- شبهات حول عالم الذرّ





مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تلميح

بعد الانتهاء من الدرس يتوقع من الطالب أن يكون قد
تعرف على الطوائف المختلفة من النصوص الواردة عن
عالم الذر، ويتعرف على آراء العلماء حول ذلك العالم،
كما يعرف الشبهات الواردة والرد عليها في هذا المجال.

كان الحديث سابقاً عن آية الذر والأقوال المختلفة فيها، وقلنا هناك إن مباحث
عالم الذر قد وردت في الروايات أيضاً، وسنتطرق في هذا الدرس عن جوانب أخرى
من عالم الذر انطلاقاً من أحاديث المعصومين (عليه السلام).

١. روايات عالم الذر

ورد في الروايات تعابير مختلفة عن عالم الذر، وسنبوب هذه النصوص ونذكر من
كل باب بعضها كنماذج:

١-١. الروايات المفسرة لآية الذر

قال الإمام الباقر (عليه السلام):

أَخْرَجَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ دُرِّيَّتُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَخَرَجُوا كَالَّذِرِ فَمَرَّقَهُمْ وَأَرَاهُمْ
نَفْسَهُ وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ رَبَّهُ.^١

١. الكافي: ج ٢، ص ١٢، ح ٢؛ بحار الأنوار: ج ٢٤، ص ١٣٥، ح ٧ (الباب الرابع من أبواب الإيمان والإسلام... من كتاب
الإيمان والكفر).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام):

مَيِّزَ الرُّسُلَ وَالْأَنْبِيَاءَ وَالْأَوْصِيَاءَ وَأَمَرَ الْخَلْقَ بِطَاعَتِهِمْ، فَأَقْرَبُوا بِذَلِكَ فِي الْمِيثَاقِ.^١

٢-١. الروايات المفسرة لآية ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ﴾

عن زرارة قال:

قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ (عليه السلام) أَصْلَحَكَ اللَّهُ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ
الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾.^٢

قَالَ: فَطَرَهُمْ عَلَى التَّوْحِيدِ عِنْدَ الْمِيثَاقِ عَلَى مَعْرِفَتِهِ أَنَّهُ رَبُّهُمْ.

قُلْتُ: وَخَاطَبُوهُ؟

قَالَ: قَطَاطًا رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ: لَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَعْلَمُوا مَنْ رَبُّهُمْ وَلَا مَنْ رَزَقُهُمْ.^٣

٣-١. الروايات المفسرة لآية ﴿فَمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾

فُتِّرَ الْإِمَامُ الْبَاقِرُ (عليه السلام) الْإِيمَانَ الْوَاردَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، بِالْإِيمَانِ وَالْإِقْرَارِ بِالْوَلَايَةِ فِي عَالَمِ
الْمِيثَاقِ، قَالَ (عليه السلام):

ثُمَّ دَعَاهُمْ إِلَى وَلِيَّتِنَا فَأَلْبَسَهَا وَاللَّهُ مِنْ أَحَبِّ وَأَنْكَرَهَا مَنْ أَبْغَضَ وَهَوَّ قَوْلُهُ: ﴿فَمَا
كَانُوا يَكْفُرُونَ بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾.^٤ ثُمَّ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ (عليه السلام): كَانَ التَّكْلِيْفُ ثُمَّ.^٥

٤-١. الروايات المفسرة لآية ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأَوَّلِ﴾

قال الإمام الصادق (عليه السلام):

إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا ذَرَأَ الْخَلْقَ فِي الدَّرَجَةِ الْأُولَى، فَأَقَامَهُمْ صَلُفَوًا وَبَعَثَ اللَّهُ
مُحَمَّدًا فَأَمَرَ بِهِ قَوْمٌ، وَأَنْكَرَهُ قَوْمٌ، فَقَالَ اللَّهُ: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأَوَّلِ﴾.^٦

١. التفسير العتباتي، ج ٢، ص ٢١، ح ١١٦؛ بهار الأنوار، ج ٥، ص ٢٥٨، ح ٦٢ (الباب العاشر من أبواب العدل من كتاب العدل والمعاد).

٢. الروم (٣٠)، الآية ٣٠.

٣. التوحيد، ص ٣٣٠، ح ٤٨؛ بهار الأنوار، ج ٣، ص ٢٧٨، ح ١٠ (الباب ١١ من كتاب التوحيد).

٤. يونس (١٠)، الآية ٧٢.

٥. التكملي، ج ٢، ص ١٠، ح ٣٣؛ بهار الأنوار، ج ٥، ص ٢٢٢، ح ٣٣ (الباب العاشر من أبواب العدل من كتاب العدل والمعاد).

٦. القمر (٥٣)، الآية ١٦.

يَعْنِي بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ حَيْثُ دَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فِي الذَّرِّ الْأَوَّلِ.^١

في هذه الرواية تصريح بأن هذا المقام هو في عالم الذر الأول، ويستفاد من ظواهر بعض النصوص أن عالم الذر الذي كان بعد عالم الأرواح تحقق مرتين، الأول كان قبل خلق آدم ﷺ، حيث خلق الله تعالى طيناً وقسمه إلى قسمين ومن ثم نشر الخلائق جميعاً على هيئة الذر وأخذ منهم الإقرار.

وبعد ذلك أرجع الجميع إلى الهيئة القبلية - الطين - وخلق من ذلك الطين آدم ﷺ. والثاني كان بعد هبوط النبي آدم ﷺ إلى الأرض، حيث أخرج الرب جميع ذرية آدم وأخذ منهم الميثاق.

قال آية الله المرورييد رحمه الله عن هذا الأمر:

بمقتضى الجمع بين الروايات، يمكن أن يقال إن الله تعالى بعد أن أخذ الميثاق والعهد من الأرواح، وبعد أخذ الميثاق من الأبدان الذرية، الحاصلة على الروح والواجدة لنور العلم، خلق جسد آدم ﷺ من طين، وجعل الطين الجامع لجميع الذرات في ظهره، وكان آدم مستوي الخلقة ومكتمل الهيئة، ثم نفخ فيه روحاً كان مخلوقاً من قبل فأعطاه الحياة... وبعد أن أكل النبي من الشجرة الممنوعة وأخرج من الجنة وهبط إلى الأرض، أخرج الرب ذريته من ظهره في صحراء بين مكة والطائف تسمى «روحاء» وأخذ منهم العهد والميثاق كما سبق منه أخذها منهم وهذا الذر الثاني.^٢

٥.١. الروايات المفصلة لآية «مُخْلَقٌ وَغَيْرُ مُخْلَقٍ»

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخْلَقَةٍ وَغَيْرِ مُخْلَقَةٍ﴾.^٣

١. تفسير القرطبي، ج ٢، ص ١٣٣٠، طهطاوي، ج ٥، ص ٢٣٤، ح ٧ «الهاب العاشر من أبواب العدل... از كتاب العدل والمعاد».

٢. تنبيهات حول المبدأ والمعاد، ص ٣١١.

٣. الحجج (٢٢)، الآية ٥.

قال الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسير هذه الآية:

الْمَخْلُوقَةُ هُمُ الذَّرَائِدُ الَّذِينَ خَلَقَهُمُ اللَّهُ فِي ضَلْبِ آدَمَ (عليه السلام) أَخَذَ عَلَيْهِمِ الْمِيثَاقَ، ثُمَّ أَجْرَاهُمْ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ وَهُمْ الَّذِينَ يَخْرُجُونَ إِلَى الدُّنْيَا، حَتَّى يُسْأَلُوا عَنِ الْمِيثَاقِ؛ وَأَمَّا قَوْلُهُ وَعَبَّرَ مَخْلُوقَةً، فَهَمَّ كُلُّ نَسَمَةٍ لَمْ يَخْلُقْهُمُ اللَّهُ فِي ضَلْبِ آدَمَ (عليه السلام) حِينَ خَلَقَ الذَّرَّ وَأَخَذَ عَلَيْهِمِ الْمِيثَاقَ وَهُمْ التُّلُفُ مِنَ الْعَزْلِ وَالنَّقْطِ قَبْلَ أَنْ يُنْفَخَ فِيهِ الرُّوحُ وَالْحَيَاءُ وَالْبَقَاءُ.^١

٦-١. الروايات الواردة في استلام الحجر الأسود

جاء في هذه النصوص إن الحجر الأسود كان ملكاً عظيماً، وحين أخذ الله العهد من ذرية آدم (عليه السلام)، أشهد هذا الملك العظيم عليهم، وجعل في فم الملك كتاباً فيه الموائيق، وثم حوّل الملك إلى هيئة حجر وهو الحجر الأسود، ووضعه النبي آدم (عليه السلام)، في الموضع الذي هو فيه الآن.

والناس يذهبون إلى مكة ويقفون أمام الحجر الأسود ليجتدوا الميثاق فيشهد لهم يوم القيامة بالأداء، قال الإمام الصادق (عليه السلام):

إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا أَخَذَ مَوَائِقَ الْعِبَادِ أَمَرَ الْحَجَرَ: فَالْتَقَمَهَا فَلِذَلِكَ يَقَالُ: أَمَاتِي أَدْيِيهَا وَمِيثَاقِي تَعَاهَدْتُهُ لِشَهِدَ لِي بِالْمَوَافَاةِ.^٢

٧-١. الروايات الواردة في تكوّن الولد في الرحم

تبين هذه الرواية كيفية تكوّن الجنين في الرحم، وتذكر أن الجنين إذا بلغ أربعة أشهر يبعث الله ملكين فيدخلان الرحم، قال الإمام الباقر (عليه السلام):

ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكََيْنِ خَلَّاقَيْنِ يَخْلُقَانِ فِي الْأَرْحَامِ مَا يَشَاءُ اللَّهُ، فَيَتَحَيَّيَانِ فِي

١. الكافي، ج ٦، ص ١٢، ح ١؛ بحار الأنوار، ج ٥٧، ص ٣٢٣، ح ٢٨ (الباب ٢١ من أبواب الإنسان والروح... من كتاب السماء والعالم).

٢. الكافي، ج ٦، ص ١٨٢، ح ١؛ وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٣١٢، ح ١٧ [١٧٨٧٢] (الباب ١٣ من أبواب الطواف من كتاب الحج).

يُطْنُ الْمَرْأَةُ مِنْ قِمِّ الْمَرْأَةِ، فَيَصِلَانِ إِلَى الرَّحِمِ وَفِيهَا الرُّوحُ الْقَدِيمَةُ الْمَتَوَلِّةُ فِي
أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ، فَيَتَفَخَّانِ فِيهَا رُوحَ الْحَيَاةِ وَالْبَقَاءِ.^١

وتصرح هذه الرواية أَنَّ الروحَ المخلوقة قبل الأبدان بالفي عام تجري في أصلاب
الرجال وأرحام النساء، ومن الواضح أَنَّ هذا الأمر تحقّق بعد التركيب مع البدن
الدرزي.

وورد في بعض روايات هذا الباب بأن الله تعالى يبعث ملكاً حين خروج الجنين
من بطن أمه اسمه زاجر ويصيح عليه صبيحةً تنسبه عالم الميثاق ويخرج وهوناسي
لذلك العالم:

فَإِذَا اكْتَمَلَ اللَّهُ لَهُ الْأَجَلَ بَعَثَ اللَّهُ مَلَكًا، فَرَجَرَهُ رَجْرَجًا فَيَخْرِجُهُ وَقَدْ نَسِيَ الْمِيثَاقَ.^٢

٨-١. الروايات الواردة في العزل

قال الإمام الصادق (عليه السلام):

كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) لَا يَرَى بِالْعَزْلِ بَأْسًا يَهْرَأُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ: ﴿وَلَا أَخَذَ رَبُّكَ
مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا
بَلَى ۖ كُلُّ شَيْءٍ أَخَذَ مِنْهُ الْمِيثَاقُ، فَهُوَ خَارِجٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى صَخْرَةٍ صَمَاءً.^٣

٩-١. الروايات الواردة في دية الجنين

بيّن الإمام زين العابدين (عليه السلام)، دية الجنين حسب مراحل نموه: إن كان نطفة
فعشرون ديناراً، وإن سقط وقد صار علقاً فالدية أربعون ديناراً، وإن أسقطه وهو
مضغة فعليه ستون ديناراً... وإن أسقطه وقد اكتمل خلقه ولحمه وعظمه ونفخت
الروح فيه ففيه دية كاملة، قال (عليه السلام):

١- الكافي، ج ٦، ص ١٢، ح ١٢٤ بحار الأنوار، ج ٥٧، ص ٣٢٢، ح ٣١ (الباب ٢١ من أبواب الإنسان والروح... من كتاب
السماء والعالم).

٢- الكافي، ج ٦، ص ١٣، ح ١٢٤ بحار الأنوار، ج ٥٧، ص ٣٢٢، ح ٣٠.

٣- تهذيب الأحكام، ج ٧، ص ٢١٧، ح ٢٢ (١٦٧٠) وسائل الشيعة، ج ٢٠، ص ١٢٩، ح ٢ (٢٥٧٧٢) (الباب ٥٧ من
أبواب مقدّمات النكاح... من كتاب النكاح).

فُلِكَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَحْوَلَهُ فِي بَطْنِهَا إِلَى حَالٍ أَيْزُوجُ كَانَ ذَلِكَ أَوْ يَغْيِرُ رُوحٍ؟
 قَالَ: يَزُوجُ غَدَاءَ الْحَيَاةِ الْقَدِيمِ الْمُنْقَلَبِ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ،
 لَوْلَا أَنَّهُ كَانَ فِيهِ رُوحٌ غَدَاءَ الْحَيَاةِ مَا تَحَوَّلَ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ فِي الرَّجَمِ وَمَا
 كَانَ إِذْنٌ عَلَى مَنْ يَقْتُلَاهُ دِيْنُهُ وَهُوَ فِي بِلَاقِ الْحَالِ.^١

في النص؛ تصريح على أن النطفة المنتقلة إلى الأرحام لها روح قديمة ونعني
 الروح التي خلقت قبل الأبدان بالغي عام وهي تجدي في الأصلاب والأرحام بعد
 تركيبها بالأبدان الذرية.

١-١. الروايات الواردة في غسل الميت عن جنابة

سئل الإمام الباقر عليه السلام عن الميت لم يغسل من الجنابة؟ فقال عليه السلام:

إِذَا خَرَجَتِ الرُّوحُ مِنَ الْبَدَنِ، خَرَجَتِ النُّطْفَةُ الَّتِي خُلِقَ مِنْهَا بِعَيْنِهَا مِنْهُ
 كَائِنًا مَا كَانَ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا، ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى، فَلِلَّذِي يُغْسَلُ غُسْلُ الْجَنَابَةِ.^٢

وبناءً على هذا النص، فإن النطفة التي ابتداء خلق الإنسان بها، تخرج منه حين
 موته كما تخرج الروح، ويحتمل قوياً أن المراد من هذه النطفة - مع ملاحظة سير تكون
 الإنسان - المراد منها هي البدن الذري المركب فيه الروح من قبل، والجاري في
 الأصلاب والأرحام، والشاهد على ذلك قول الإمام الباقر عليه السلام حيث قال:

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ النُّطْفَةَ الَّتِي مِمَّا أَخَذَ عَلَيْهَا الْمِيثَاقَ فِي
 صُلْبِ آدَمَ...^٣

١. تهذيب الأحكام، ج ١٠، ص ٢٨١، ح ٣ [١١٠١] بحار الأنوار، ج ٥٧، ص ٣٥٦، ح ٢٠ (الباب ٢١ من أبواب الإنسان والروح... من كتاب السماء والعالم).

٢. وسائل الشيعة، ج ٧، ص ٢٨٧، ح ٢ [٢٧٠٩] (الباب الثالث من أبواب غسل الميت من كتاب الطهارة)، الكافي، ج ٣، ص ١٦٣، ح ١ (باعتلاف يسير).

٣. الكافي، ج ٦، ص ١٣، ح ١٢ بحار الأنوار، ج ٥٧، ص ٣٢٢، ح ٣١ (الباب ٢١ من أبواب الإنسان و... من كتاب السماء والعالم).

١١-١. الروايات الواردة في انتقال الإنسان في الأصلاب والأرحام

أفرد الشيخ الكليني باباً في كتابه الكافي بعنوان «كون المؤمن في صلب الكافر» وأورد فيه قول الإمام الصادق (ع):

إِنَّ نُطْقَةَ الْمُؤْمِنِ لَتَكُونُ فِي صُلْبِ الْمُشْرِكِ، فَلَا يَصِيبُهُ مِنَ الشَّرِّ شَيْءٌ حَتَّى يَصْغُرَ، فَإِذَا صَارَ بَشَرًا سَوِيًّا لَمْ يُصِبْهُ مِنَ الشَّرِّ شَيْءٌ...^١

المراد من النطق في هذه الرواية هو عين ما ذكر في خلقه الجنين في الرحم الذي سبق بيانه من جريان الروح القديمة في الأصلاب والأرحام.

وهناك شواهد كثيرة على عالم الذرّ في الأدعية والزيارات الواردة عن العترة الطاهرة (ع) مما لا مجال للذكرها في هذا المختصر.

٢. تواتر نصوص عالم الذرّ

لا يمكن الادعاء بأن هذه الطوائف المذكورة قد شملت جميع النصوص الواردة عن عالم الذرّ، وأنه لا توجد روايات أخرى في طوائف أخرى بل يمكن إضافة طوائف أخرى على هذه المجموعة بالفحص الكامل.^٢

وكيف كان، فيمكن القول - بيقين - إن بعض روايات عالم الذرّ وصلت حدّ التواتر والبعض الآخر منها صحيحةً منسداً بحيث لا يمكن تجاهلها أو تأويلها على خلاف ظاهرها، أوردّها، بل لابدّ من التأمل فيها والتدبر في أعماقها والإيمان بما تدلّ عليه النصوص من خلال الدراية فيها، مع الأخذ بعين الاعتبار الأصول المحكمة التي يدلّ عليها القرآن والأحاديث الشريفة، والتأمل حول عالم الذرّ وكيفية تكون الإنسان وأثار ذلك عليه.

١. الكافي، ج ٢، ص ١٣، ح ١؛ بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ٧٨، ح ٥ (الباب الثالث من أبواب الإيمان والإسلام.... من كتاب الإيمان والكفر).

٢. بعض هذه الطوائف وإن كانت قابلة للدرك والفهم إلا أن بعضها الآخر غير مفهومة، من دون ملاحظة الطوائف الأخرى ومن دون الانطلاق إلى مسيرة تكوّن البشري بالأنفس الروايات التي تبين خروج النطفة حال الموت. (المؤلف)

٣. آراء بعض علماء الإسلام حول روايات عالم الذرّ

٣-١. الشيخ الحرّ العاملي رحمته الله

يورد الشيخ في كتابه *الفصول المهمة* باباً بعنوان «إن الله سبحانه كلف الخلق كلهم بالإقرار بالتوحيد ونحوه في عالم الذرّ» وبعد أن يورد سبع روايات يقول:

وروى الصدوق في كتبه هذه الأحاديث وأمثالها وكذا الصفار، والبرقي، والحميري، وغيرهم.

أقول: والأحاديث في ذلك كثيرة جداً قد تجاوزت حدّ التواتر تزيد على ألف حديث موجودة في جميع كتب الحديث وربما ينكرها بعض المتكلمين من أصحابنا لدليل ضعيف ظني غير تام، يظهر من الأحاديث جوابه، بل لا تعجز عن جوابه الأطفال، فلا يقاوم الآيات القرآنية والروايات المتواترة.^١

٣-٢. العلامة الأميني رحمته الله

قد كتب العلامة رحمته الله رسالة من ١٥٠ صفحة حول آية الذرّ وقد أورد فيها تسعة عشر آية ومئة وثلاثين حديثاً يدلّ على عالم الذرّ وقد ذهب إلى اعتبار أربعين حديثاً صحيحاً من بين تلك الأحاديث.^٢

٣-٣. الشيخ النمازي الشاهرودي رحمته الله

اعتبر الأستاذ آية الله النمازي رحمته الله في مستدركه على *سفينة البحار* في مادة «ذرّ» عالم الذرّ من العوالم السابقة ويرى ثبوته ثابتاً بصريح القرآن والسنة الصحيحة.^٣

٣-٤. الشيخ الملكي الميانجي رحمته الله

عَدّ المرحوم الأستاذ آية الله الملكي الميانجي رحمته الله روايات عالم الذرّ متواترة، وقال:

الروايات في هذا الباب كثيرة بالغة فوق التواتر ومن الواضحات في الكتاب

١. *الفصول المهمة*، ج ١، ص ٢٢٠-٢٢٥ [الباب ١٠٦].

٢. *النريعة*، ج ٢، ص ٣٢٣.

٣. *مستدرك سفينة البحار*، ج ٣، ص ٢٣١.

والسنة ويبلغ مائة وثلاث عشرة رواية بعد حذف مكرراتها ومتشابهاتها...^١

٥٣. آية الله الجهرمي الشريعتمداري

يقول في هذا المجال:

الحق أن عالم الذر أمر ثابت؛ لأن الروايات الواردة في المقام كثيرة جداً. لاسيما تلك الواردة عن طريق الإمامية، وأستاذ بعضها معتبرة، ودلالاتها على وجود عالم الذر جلية وواضحة، ولا يبعد ادعاء التواتر المعنوي لهذه الأحاديث.^٢

٤. شبهات حول عالم الذر

ترتبط بعض الشبهات بالتعارض الظاهر في النصوص الواردة في باب عالم الذر وقد أجبنا عنها في سياق الحديث عن آية الذر.

وترتبط بعض الشبهات بأصل وجود الإنسان بصورة ذرية في عالم الذر وأن يكون هناك مختاراً عاقلاً، وأن يخاطبه الرب عز وجل، ويبدو أن هذا النوع من الشبهات ليس إلا نوعاً من أنواع الاستبعاد؛ وبالرغم من ذلك سنشير إلى بعضها.

وقد ذكرت هذه الشبهات مع الرد عليها مفصلاً في تفسير الفخر الرازي وهي كما يلي:

١. لا يصح العهد والميثاق إلا إذا كان المعاهد عاقلاً، وعليه فلا بد من

القول بكون ولد آدم حين كانوا على هيئة الذر عقلاء، فإن كانوا

كذلك فلماذا لا يذكرون من الموقف شيئاً؟

٢. كيف يمكن اجتماع جميع ولد آدم ﷺ في ظهره؟

٣. أنى للذرة من حياة وتعقل؟

٤. أن الهدف من الميثاق هو إتمام الحجة وإن طرأ النسيان على

الجميع فكيف يمكن إثبات الحجة؟^٣

١. توحيد الإمامية، ص ١٢٢.

٢. سلسلة مقالات مؤتمر الشيع المقيّد، رقم ٣٥ بعنوان «كلمة موجزة في الأرواح والأشباح»، ص ١٢.

٣. راجع التفسير الكبير، ج ١٥، ص ٣٩٩-٣٩٨.

وقد ذكر الشيخ المفيد رحمته إشكالا آخر حول عالم الذر حيث أنه يتوافق مع رأي القائلين بالتناسخ وقد ذكرنا إشكاله رحمته وأجبنا عليه في مبحث عالم الأرواح. إن جميع من اعتقد بعالم الذر انطلاقاً من الآيات المباركة والروايات الشريفة قد أجابوا على هذه الشبهات وسنذكر أقوال بعضي منهم، يقول العلامة النمازي رحمته عن إشكال النسيان:

ظاهر الآيات والروايات أن الناس في عالم الذر والميثاق كانوا يمتلكون العقل وقد اجتمعت فيهم شرائط التكليف، وإن نسيانهم للميثاق فعل الله سبحانه، كما صرحت به الروايات حيث ورد «أَنَسَاهُمْ رُؤْيَاهُ وَأَثَبَتِ الْمَعْرِفَةَ فِي قُلُوبِهِمْ...» وهذا النسيان، كنسيان الإنسان في النوم جميع مدركاته المالك لها حال يقضته. والناس في هذه الدنيا في سبات ونوم وإذا ماتوا اتبها من رقدتهم.

ويقول أيضاً:

إن جعل جميع الذرة في ظهر آدم، أمر غير مستبعد أبداً بالنسبة إلى القدرة الإلهية.^١

ويجيب السيد نعمة الله الجزائري رحمته عن هذا الإشكال قائلاً:

لا تستبعد في أمثال هذا الأمر، بأنه كيف لجسم آدم أن يحمل كل ذرته، لأن التحقيق دال على أن بدنه رحمته كان كبيراً وعظيماً جداً... ومع كون الذرات متناهية في الصغر.^٢

ويجيب آية الله الملكي الميانجي رحمته عن إتمام الحجة قائلاً:

إن الميثاق باقٍ في نهاية الشدة والقوة. وإتاما نسوا الموقف.^٣

ويقول آية الله الجهرمي:

أما في معرض الإجابة عن الشبهات العقلية حول عالم الذر يمكن القول

١. تاريخ الفلسفة والتصوّف، ص ٢٥٢-٢٥٣.

٢. الكوار النعمانية، ج ١، ص ٢٨٠-٢٨١.

٣. توحيد الإمامية، ص ١٥١.

أولاً: هذه الإيرادات العقلية ليست براهين على امتناع عالم الذرّ، بل هي بمثابة شبهات في مقابل الأدلة ولا يمكن حلّها، لأنّ حدود البطلان ليست معلومة بالنسبة إلينا، ذلك لأنّ العقول قد أنست بالمُدركات المادّية والعوالم الطبيعية فعجزت عن عوالم ما وراء الطبيعة من قبيل الجنة والنار وعالم البرزخ.

ومن الواضح أنّ الميت في قبره إمّا هو معذب بالنار أو منتقم بالجنة، إلّا أننا لا ندرك أيّاً من الأمرين بحواسنا الظاهرية.

وثانياً: إنّ حجة الله على الخلق في الدنيا قد اكتملت مع المعرفة الفطرية لديهم، وهذه المعرفة نتيجة لما حصل في عالم الذرّ، وهذا ما صرح به الإمامان الباقر والصادق عليهما السلام....

والذريّة المأخوذة من ظهر النبي آدم أو طيته... ليست من المواد والأجرام الأرضية لتتحوّل إلى نطفة؛ بل هي أجزاء لطيفة وعالية امتزجت بشكل خاصّ مع المواد الأرضية ليتكوّن الإنسان بأمر الله سبحانه وتعالى^١.

٥. ملخص الدرس

- الروايات الواردة في تفسير الآيات (الأعراف: ١٧٢-١٧٣)، (روم: ٢٠)، (يونس: ٧٢)، (القمر: ١٦) و(الحج: ٥)، كلّها تشير إلى عالم الذرّ.
- الروايات المفسّرة لقوله تعالى: ﴿فَطَرَهُ اللَّهُ الَّذِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ تصريح بمخاطبة الربّ لعباده.
- الإيمان والكفر في هذه الدنيا مسبوق بإيمان وكفر في عالم الميثاق.
- النبي الأكرم عليه السلام كان رسولاً في عالم الذرّ أيضاً.
- يمكن أن يستفاد من بعض النصوص أنّ عالم الذرّ قد تحقّق مرتين.
- كلّ من كان في عالم الذرّ سيأتي في هذه الدنيا.

١. المؤتمر العالمي لوفاء الشيخ المفيد، في ٣٥ مقالة «كلمة موجزة في الأرواح والأشباح»، ص ٢٠-٢١.

- الحجر الأسود، كان في الأصل ملكاً شهد ميثاق أهل الذر مع الله وحفظه في جوفه لأمدّه عز وجل.
- الروح المخلوقة قبل الأبدان بألفي عام تسري في الأضلاب والأرحام.
- العزل لا يضّر النطف التي شهدت عالم الذر.
- بما أن الجنين وقبل أن يلجه الروح فيه الروح القديمة، فإن إسقاطه موجب للدية.
- الناس يجنبون حين الموت؛ بمعنى خروج النطفة التي خلقوا منها بعينها.
- الروايات في باب عالم الذر على طوائف كثيرة، منها ما بلغ حدّ التواتر، ومنها ما هو صحيح السند.
- هناك بعض الشبهات حول عالم الذر، وهي ليست إلا استبعادات.

٦. اختبار ذاتي

١. كيف تدلّ الآية التالية على وجود العوالم السابقة ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾؟
٢. ما هو تفسير الآية: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأَوَّلِ﴾؟ وهل تدلّ هذه الآية على وجود عوالم سابقة؟
٣. كم مرة تحقّق عالم الذر؟ أوضح ما جرى في كل مرة.
٤. يبيّن تفسير الآية التالية وكيفية دلالتها على وجود عالم الذر ﴿مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾.
٥. ما هي العلّة في استلام الحجر الأسود؟
٦. ما هو المراد من الروح القديمة الجارية في الأضلاب والأرحام؟
٧. هل يسبّب العزل في هذه الدنيا اختلافاً في مجيء الناس الذريتين إلى عالم الدنيا؟

٨. ما هو المستند في الدية للجنين قبل أربعة أشهر؟
٩. ما هي العلّة من تغسيل الميت غسل الجنابة؟
١٠. رغم أن الإنسان ليس له اطلاع عن عالم الذر، كيف يمكن القول أن الله سبحانه أتمّ الحجة على الناس في ذلك العالم؟



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

٩ الدرس التاسع

معرفة الله بالله

- انحصار طريق معرفة الله، به تعالى
- بيان المعرفة بالصفات التنزيهية
- معرفة الله بالله عين المعرفة الفطرية
- تجلّي الله عبر أسماءه
- امتناع معرفة الله بخلقه





مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تلميح

بعد الانتهاء من الدرس يتوقع من الطالب أن يعرف الطريق الحصري في معرفة الله، ويعرف الهدف من بيان معرفة الله بالصفات التنزيهية، وكذا يطلع على مكانة الأسماء والصفات الإلهية ودورها في معرفته تعالى وامتناع المعرفة بالخلق.

تبيّن لك من خلال الدروس الماضية، أنّ الله سبحانه وتعالى، قد عزّف نفسه لعباده بنفسه، والمعرفة الموجودة متحققة بتعريفه هو سبحانه. وقد فطر الخلق جميعاً على هذه المعرفة. وكذا تبيّن أنّ الناس قبل أن تطلأ أقدامهم هذه الدنيا، قد مرّوا في عوالم سابقة، وعزّفهم الله نفسه فيها، وأخذ عليهم الميثاق بالمعرفة. وفي هذا الدرس سنبيّن من خلال الآيات والروايات أنّ معرفة الله سبحانه في دار الدنيا - كما هي في العوالم السابقة - لا طريق لها سوى تعريفه عزّ وجلّ نفسه، ولا طريق لمعرفته تعالى سوى ذلك.

١. انحصار طريق معرفة الله، به تعالى

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

اعْرِفُوا اللَّهَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولَ بِالرِّسَالَةِ وَأُولِيَ الْأَمْرِ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ^١

١. الكافي، ج ١، ص ٨٥، ح ١١٤٠، تهذيب، ص ٢٨٥، ح ٤٣١، بحار النور، ج ٢، ص ٢٧٠، ح ٧ (الباب العاشر من كتاب التوحيد).

يبين الإمام (عليه السلام) في هذا النص، بأنك لو أردت معرفة الله تعالى فلا بد أن تعرفه عن طريقه هو، وإن أردت معرفة الرسول فسيبيل ذلك رسالته، وإن لم تعرف الرسالة فإنك غير قادر على معرفة الرسول. وهكذا إن أردت أن تعرف أولي الأمر فإن ذلك يكون عبر معرفة أمرهم بالمعروف وإحسانهم إلى الناس وقيامهم بالعدل والقسط، وإن لم يكن الأمر كذلك فسوف لا تعرف أولي الأمر.

وفي حديث آخر، مثل (عليه السلام) :

بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟

قَالَ: بِمَا عَرَفَنِي نَفْسُهُ.

قِيلَ: وَكَيْفَ عَرَفَكَ نَفْسُهُ؟

قَالَ: لَا يُشَبِّهُهُ صُورَةً وَلَا يَحْشُ بِالْحَوَاسِ وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ قَرِيبٌ فِي بُعْدِهِ بَعِيدٌ فِي قُرْبِهِ.^١

٢. بيان المعرفة بالصفات التنزيهية

يبين الإمام (عليه السلام) في الحديث السابق معرفة الرب من خلال بيان الأوصاف التنزيهية له عز وجل. ولكن هذا الأمر لا يعني أن معرفة الله بالله منحصرة في المعاني التنزيهية؛ بل - كما هو واضح - أن الأذهان قد آلفت المعاني المتعارفة عندها، ولذلك فإن استعمال الألفاظ بالمعاني الثبوتية في مقام تعريف الرب سبحانه، يوقع الذهن في شبهة القياس بالمخلوق، ولذلك فإن الإمام (عليه السلام) يذكر المعاني التنزيهية. ومن المعلوم أن تنزيه هذه الأمور، تكون في الرب الواقعي والحقيقي، لا في الإله المفهومي والعنواني. بمعنى أن الإنسان ينزه ذلك الرب الذي عرفه بتعريفه لنفسه. وهذه النقطة تدل على أن معرفة الله بالله ليست معرفة عقلية - بمعنى الإدراك الكلّي والتنزيهي -؛ بل تكون هذه كلها في مقام البيان فقط.

١. (الكافي، ج ١، ص ٨٥، ح ١٢٢ التوحيد، ص ٢٨٥، ح ١٢ بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٧٠-٢٧١، ح ٨) (الباب العاشر من كتاب التوحيد).

إِنَّ معرفة الله بالله، فعل الله، وفعله سبحانه - كما ذاته عز وجل - ليس قابلاً للبيان والتفهيم. ومن جهة أخرى فإنَّ البيان الثبوتي يوقع الإنسان في شبهة القياس والتوهم. ومن هنا، فإنَّ الإمام عليه السلام من خلال البيان التنزيهي، يوجه مخاطبه إلى ربِّ عرفه بفطرته من ذي قبل.

٣. معرفة الله بالله عين المعرفة الفطرية

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في حديث آخر:

يَا مَنْ ذَلَّ عَلَى ذَائِهِ بِذَائِهِ^١

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

قَدْ احْتَجَّ عَلَيْكُمْ بِمَا قَدْ عَرَفْتُمْ مِنْ نَفْسِهِ^٢

وهذا الحديث مع الأخذ بعين الاعتبار حديث الإمام الرضا عليه السلام القائل: «بِالْفِطْرَةِ تَبَيَّنَتْ حُجَّتُهُ»^٣ يدلُّنا على أنَّ معرفة الله بالله هي عينها المعرفة الفطرية، وبها اكتملت الحجة على الخلق، وإن لم تكن تتحقَّق تلك المعرفة، لم يكن أحد من الخلق يعرف ربَّه ورازقه وإلهه، وفي هذه الحالة لم تكن تكتمل الحجة على أحد^٤.
نقرأ في دعاء أبي حمزة الثمالي - دعاء السحر :-

بِكَ عَرَفْتُكَ وَأَنْتَ ذَلَّلْتَنِي عَلَيْكَ وَدَعَوْتَنِي إِلَيْكَ، وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ أَدْرِ مَا أَنْتَ^٥.

ويخاطب الإمام زين العابدين عليه السلام ربَّه، في الدعاء المروي عنه في اليوم الرابع عشر من شهر رمضان المبارك:

١. زاد المعاد، ص ١٢٨٦ بحواله الخوارزمي ج ١، ص ٢٢٣، ح ١١ (الباب ٢٠ من أبواب أحوال النبي والأئمة... من كتاب الذكر والدعاء).

٢. الكافي ج ١، ص ٨٦، ح ٣.

٣. التوحيد، ص ٢٥، ح ٢٤ بحواله الخوارزمي ج ٢، ص ٢٢٨، ح ٢ (الباب الرابع من أبواب أسمائه تعالى من كتاب التوحيد).

٤. ومن هنا، ورد في نصوص أخرى، أنَّ العباد لم يكلفوا المعرفة؛ بل على الله أن يعرِّفهم نفسه، وعلى العباد أن يقروا بالمعرفة ويؤمنوا بأنَّ الله عزَّهم نفسه، وستتحلَّت من هذا الأمر في الدروس القادمة إن شاء الله. (المؤلف)

٥. إقبال الأحكام، ج ١، ص ١٦٧ بحواله الخوارزمي ج ١، ص ٨٢، ح ٢ (الباب السادس من أبواب أعمال شهر رمضان... من كتاب أعمال المئتين والشهور).

يَا رَبِّ بِكَ عَزَمْتُكَ وَأَنْتَ ذَلَّلْتَنِي عَلَيْكَ، وَلَوْلَا أَنْتَ مَا ذَرَيْتُ مَنْ أَنْتَ.^١

ويقول الإمام الحسن الرضي عليه السلام:

إِلَهِي بِكَ عَزَمْتُكَ وَبِكَ اهْتَدَيْتُ إِلَى أَمْرِكَ، وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ أَدْرِ مَا أَنْتَ.^٢

وفي هذه النصوص بيان صريح بأن الله سبحانه لو لم يعرف نفسه لخلقه، لم يكن أحد منهم يعرفه، ولم يكن لأحد طريقاً يسلكه لنيل معرفة خالقه. وتؤكد هذه النصوص نصوباً أخرى تؤكد على أن المعرفة فعل الله سبحانه، وكذلك تتوافق والآيات المصروفة بأن الأنبياء أيضاً لا يقدرّون على هداية أحد إلى الله سبحانه.^٣

يقول الإمام السجاد عليه السلام في دعاء التمجيد:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا عَزَمْنَا مِنْ نَفْسِهِ، وَأَهْمَنَّا مِنْ شُكْرِهِ.^٤

٤. تجلّي الله عبر أسمائه

في طلبه من الله سبحانه، يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

فَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي ظَهَرْتَ بِهِ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِكَ، فَوَعَدُوكَ وَعَزَمُوكَ
فَعَبَدُوكَ بِحَقِيقَتِكَ أَنْ تُعَرِّفَنِي نَفْسَكَ لِأَهْلِكَ بِرُبُوبِيَّتِكَ عَلَى حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ
بِكَ، وَلَا تُجْعَلَنِي يَا إِلَهِي بَيْنَ يَمْنٍ يَعْبُدُ الْأَسْمَ دُونَ الْمَعْنَى وَالْحَظَنِي بِلَحْظَةٍ مِنْ
لَحْظَاتِكَ تُنَوِّدُهَا قَلْبِي بِمَعْرِفَتِكَ خَاصَّةً.....^٥

يصريح الإمام عليه السلام في هذا الحديث، أن الله يظهر نفسه بأسمائه، وهذا من فعل الله، لا أنها من خواص أسمائه الله سبحانه. فخصوصية الاسمية للاسم وكونه آية

١. إقبال الأعمال، ج ١، ص ١٢٩ بحار الأنوار، ج ٩٥، ص ٣٩، ح ١٦ (الباب الخامس من أبواب أعمال) وقد ورد هذا الدعاء في الصحيفة السجادية بهذه العبارة:

إِلَهِي وَتَسْتَبِيحِي بِكَ عَزَمْتُكَ وَبِكَ اهْتَدَيْتُ إِلَى سَبِيلِكَ وَأَنْتَ ذَلَّلْتَ عَلَيَّ مَعْرِفَتِكَ وَلَوْلَا أَنْتَ مَا عَزَمْتُكَ
تَوَجَّيْتُكَ وَلَا عَزَمْتُكَ وَلَا اهْتَدَيْتُكَ إِلَى جَنَاتِكَ.

٢. مهبج الصدقات، ص ١١٢٢ بحار الأنوار، ج ٩١، ص ١٩٠، ح ٣ (الباب ٣٥ من أبواب الدعاء من كتاب الذكر والدعاء).

٣. نبحت لاحقاً عن كون الأنبياء والأئمة عليهم السلام وسيلة لمعرفة الله أم لا.

٤. الصحيفة السجادية، ص ٣٠.

٥. بحار الأنوار، ج ٩١، ص ٩٦، ح ١٧ (الباب ٣٢ من أبواب الدعاء من كتاب الذكر والدعاء).

أيضاً بفعل الله عز وجل، وبعبارة أخرى أن الله سبحانه، بإرادته ومشيئته جعل شيئاً اسماً له وجعل فيه آية تدل على ذاته، ودل الإنسان على معرفته من خلال أسماءه وآياته، وأظهر ذاته بها. وفي هذه الحالة يعبر الإنسان من الاسم والآية ليصل إلى معرفة الله تعالى، ويعبده هو دون أسماءه، وإن لم يحصل هذا التجلي الإلهي بواسطة الأسماء والآيات، سوف لن يعبر الإنسان من الاسم، وفي الحقيقة لا يكون الاسم آية عليه سبحانه، وحينها سوف لا يرقى إلى عبادة الرب عز وجل. نعم، ليس حتماً على الله عز وجل أن يعترف نفسه من خلال الأسماء والآيات، بل ذلك مما أَرَادَهُ الله عز وجل بأن يعرف نفسه لعباده من خلال الأسماء.

٥. امتناع معرفة الله بخلقه

في حديث يسأل الجاثليق أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: أخبرني عرفت الله بمحمد أم عرفت محمداً بالله فقال علي بن أبي طالب عليه السلام:

مَا عَرَفْتُ اللَّهَ بِمُحَمَّدٍ عليه السلام وَلَكِنْ عَرَفْتُ مُحَمَّدًا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، حِينَ خَلَقَهُ وَأَحَدْتُ فِيهِ الْخُذُودَ مِنْ طُولٍ وَعَرْضٍ؛ فَعَرَفْتُ أَنَّ مُدَبِّرَ مَصْنُوعٍ بِاسْتِدْلَالِ وَإِلْهَامٍ مِنْهُ وَإِرَادَةٍ، كَمَا أَلْهَمَ الْمَلَائِكَةَ طَاعَتَهُ وَعَرَفْتُهُمْ لِنَفْسِهِ بِإِلَهِيبِهِ وَلَا كَيْفٍ.^١

في هذا الحديث، تبين بأن معرفة الله غير متعلقة بمعرفة النبي. فإن قيل أحد بأن النبي عليه السلام - وهو الآية العظمى لله عز وجل - ليس واسطة في معرفته تعالى، كيف له أن يقبل بكون بعض المفاهيم والعناوين^٢ طريقاً واسطة في معرفة الله؟ أو هل يمكن أن لا يكون النبي واسطة في معرفة الله، في حين تكون بعض العناوين الالهية واسطة لمعرفة الله عز وجل؟

روي عن منصور بن حازم أنه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إني ناظرت قوماً، فقلت لهم: إن الله جل جلاله أجل وأعز وأكرم من أن يعرف بخلقه، بل العباد يعرفون

١. التوحيد، ص ٢٨٧، ح ٤؛ بحار الأنوار، ج ٣، ص ٢٧٢، ح ٩ (الباب العاشر من كتاب التوحيد).

٢. في رأي البعض، إن هذه المفاهيم هي الأسماء الحسنى. (المؤلف)

بالله، فقال ﷺ: رَحِمَكَ اللَّهُ.^١

في جميع الروايات السالفة، بيان لتوقف معرفة الله به سبحانه، وحسب ما روي عن أمير المؤمنين ﷺ، أن المعرفة الحقيقية للمخلوق أيضاً تكون موقوفة على معرفة الله سبحانه، وكما سلف صرح الإمام ﷺ أنه عرف محمداً ﷺ بالله، أي إنه عرفه مخلوقاً لله سبحانه ورأى فيه آثار الخلقة الإلهية بتعريفه سبحانه وتعالى وإلهامه وإرادته.

وبعدها يوضح ﷺ، إن هذه المعرفة كانت بنفس الصورة التي ألهم الله سبحانه وتعالى طاعته على ملائكته، وعرفهم نفسه، ومن هنا يقول الإمام الصادق ﷺ مخاطباً ربه:

اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي نَفْسَكَ فَإِنَّكَ، إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفَكَ، اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي نَبِيَّكَ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي نَبِيَّكَ لَمْ أَعْرِفْهُ قَطُّ؛ اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي حُجَّتَكَ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ، ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي.^٢

وفي هذا الحديث أيضاً طلب من الله سبحانه وتعالى، بأن يعرف نفسه لعبده، وإن لم تتحقق هذه المعرفة من قبله جلّ جلاله، فلا تتحقق المعرفة به. وكما هو واضح إن معرفة الله في هذا الحديث ليست المعرفة بالآثار والأكيات، بل هي المعرفة التي تتوقف عليها معرفة الآثار؛ كما توقفت دلالة آثار الخلقة وكونها مخلوقة لله، على معرفته سبحانه أولاً.

ومن هنا فإن هذه الرواية تشابه حديث الإمام أمير المؤمنين ﷺ السابق، تبين لنا أن لو لم يعرف الله نفسه لنا، لم نكن نعرفه.

ومضمون هذه النصوص جميعاً يؤكد على أن التعريف فعل الله سبحانه وتعالى، وبالتالي إن لم يحصل التعريف من قبله سبحانه، فليس بإمكان أحد أن يعرف الإله

١. التوحيد، ص ٢٨٥، ح ١٦ بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٧٠، ح ٦ (الباب العاشر من كتاب التوحيد).

٢. الكافي، ج ١، ص ٣٢٢، ح ٢٩٩ بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٧٠ (الباب ٢٢ من أبواب النصوص من الله... من كتاب تاريخ الإمام الثاني عشر عليه السلام).

الحقيقي، بل وحتى الأنبياء والرسل وأوصيائهم ليسوا بقادرين أن يوصلوا الإنسان إلى معرفة الله، وإن الاستدلال بالأثار والآيات إنما يكون بتعريفه عز وجل للإنسان.

٦. ملخص الدرس

- ينبغي أن نعرف الله بالله، والرسول بالرسالة، وأولي الأمر بأمرهم بالمعروف وإحسانهم وعدالتهم.
- إن ذكر المعاني التنزيهية في وصف الله سبحانه وتعالى لكيلا يقع المرء في وهم التشبيه إن تعرّف على الله بالصفات الثبوتية في بعض الأحيان.
- معرفة الله بالله، هي عينها المعرفة الفطرية، وتكتمل الحجة على الناس بتلك المعرفة الفطرية.
- إن لم يكن الله يعرّف نفسه لعباده، لم يكن أحد من المخلوق قادر على بلوغ معرفته.
- كانت مشيئة الله سبحانه على أن تدلّ الأسماء الحسنى عليه، ومن هنا على الإنسان أن يعتبر من الاسم والآية ويتوجه إلى الإله الحقيقي.
- لا تتوقّف معرفة الله على معرفة الرسول، بل الأمر بالعكس.
- إن لم يكن الله يعرّف نفسه، كانت معرفته ومعرفة رسوله ووصي رسوله أمراً مستحيلاً.

٧. اختبار ذاتي

١. «اعرفوا الله بالله، والرسول بالرسالة، وأولي الأمر بالأمر بالمعروف والعدل والإحسان»
يتبن هذا النص الشريف.
٢. لماذا نجد توصيف الله سبحانه في بعض النصوص بالصفات التنزيهية؟
٣. يتبن الحديث الشريف القائل: «أَنَّهُ قَدْ احْتَجَّ عَلَيْكُمْ بِمَا قَدْ عَرَفْتُمْ مِنْ نَفْسِهِ».
٤. ماذا يعني ظهور الله بأسماءه الحسنى؟
٥. هل للرسول دور في معرفة الله سبحانه؟



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الدرس العاشر ١٠

نفي الوسائط في معرفة الله

- الضياع عن المعرفة
- معرفة الله، شرط استجابة الدعاء
- معرفة الله بالله في رواية سدير الصيرفي
- بيان العلامة الطباطبائي في ذيل رواية
سدير الصيرفي
- محصلة نصوص معرفة الله بالله





مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تلميح

بعد الانتهاء من مطالعة الدرس، يتوقع من الطالب أن يعرف بأن الأوصاف والعنوانين والمفاهيم ليست معترفات لله سبحانه؛ وعبادته جلّ وعلا تتحقق حصراً بمعرفته سبحانه، ومعرفته شرط لاستجابة الدعاء، كما أن عبادة الله بالتوصيف، إحالة على غائب.

تبيّن في الدرس السابق، على ما هو مستفاد من روايات الأئمة (عليه السلام)، أن طريق معرفة الله سبحانه وتعالى منحصربه سبحانه، وفي هذا الدرس سنتعرض لبحث بعض النصوص الأخرى الواردة في المقام:

١. الضياع عن المعرفة

قال الإمام الصادق (عليه السلام):

وَمَنْ دَعَمَ أَنَّهُ يَعْرِفُ اللَّهَ بِحِجَابٍ أَوْ بِصُورَةٍ أَوْ بِمِثَالٍ، فَهُوَ مُشْرِكٌ، لِأَنَّ الْحِجَابَ وَالْمِثَالَ وَالصُّورَةَ غَيْرُهُ وَإِنَّمَا هُوَ وَاحِدٌ مُوَحَّدٌ، فَكَيْفَ يُؤْخَذُ مَنْ دَعَمَ أَنَّهُ عَرَفَهُ بِغَيْرِهِ، إِنَّمَا عَرَفَ اللَّهَ مَنْ عَرَفَهُ بِاللَّهِ فَتَنَ لَمْ يَعْرِفْ بِهِ فَلَيْسَ

يَعْرِفُهُ إِنَّمَا يَعْرِفُ غَيْرَهُ، وَاللَّهُ خَالِقُ الْأَسْمَاءِ لَا مِنْ شَيْءٍ، يُسَمَّى بِأَسْمَائِهِ، فَهُوَ غَيْرُ أَسْمَائِهِ وَالْأَسْمَاءُ غَيْرُهُ وَالْمَوْصُوفُ غَيْرُ الْوَاصِفِ، فَكَيْفَ زَعَمَ أَنَّهُ يُؤْمِنُ بِمَا لَا يَعْرِفُ، فَهُوَ ضَالٌّ عَنِ الْمَعْرِفَةِ لَا يَدْرِكُ خَلْقَ شَيْءٍ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَدْرِكُ مَعْرِفَةَ اللَّهِ إِلَّا بِاللَّهِ^١.

في الحديث ففي لأي نوع من الوسائط في معرفته، - بحيث تكون قادرة على حكاية الله سبحانه وتعطي الإنسان صورة أو توهماً عنه سبحانه - . والحديث يبين أيضاً أن الصفات والعناوين والمفاهيم العامة - مهما كانت واسعة - فإنها لا تعزف الله عز وجل؛ إذ إنها جميعاً سوى الله، وانطباقها على الله انطباق المحدود على اللامحدود، والمعقول على ما هو فوق المعقولات والمتصور على ما هو فوق التصور. نعم، لا يتوهم أننا نجعل نسبة بين الله وخلقه حين نقول المحدود واللامحدود، ونشركهما في الأصل والحقيقة، ونجعل الاختلاف بينهما مجرد اختلاف في الحدود، كأن بل نعني بذلك أنه لا يمكن جعل حد بين الله الخالق والمخلوق وهو أجل من أن تدركه الأفكار أو تناله الأوهام.

معرفة الله لا تتحقق إلا بتعريفه هو سبحانه وتعالى، ولا طريق إلى المعرفة سوى الله. في النص السابق، بيان صريح بأن معرفة الله بغيره، ليست معرفة الله؛ بل هي معرفة غيره سبحانه. وعليه؛ فإن معرفة الله بالخلق، ليست معرفة الله أصلاً وكذلك معرفته بالعناوين والمفاهيم - التي هي غير الله - ليست معرفة الله. إن معرفة الله بتوسط معرفة الموجودات المخلوقة، من دون الالتفات إلى معرفة الله بالله، لن يوصل الإنسان إلى معرفة الله عز وجل.

وكذلك تؤكد الرواية على أن من يظن أنه مؤمن بالله لا يعرفه، فإنه بعيد عن المعرفة. ولا تتحصل معرفة الله بالتفكير والتعقل، ومن دون معرفته لا يمكن عبادته،

١. التوحيد، ص ١٢٢، ح ٤٧ بحواله الكشوري ج ٢، ص ١٦١، ح ٦ (الباب الأول من أبواب أسمائه تعالى... من كتاب التوحيد).

ويكون التوحيد والإيمان أيضاً من دون معنى.

بلى، لابدّ من التذكير بأن هذه المعرفة هي بيده وحده سبحانه، وهو الذي يعرف العباد نفسه.

٢. معرفة الله، شرط استجابة الدعاء

حيث أنّ معرفة الله تحصل عند المرء بتعريف الله نفسه، فلا معنى للدعاء والالتجاء والاستغاثة به عزّ وجلّ، إلّا على أساس تلك المعرفة، والالتفات إليها بعد حصولها؛ ومن هنا حين سئل الإمام (عليه السلام) عن سبب عدم استجابة أدعيتهم، قال:

لَا تَكُنْ تَدْعُونَ مَنْ لَا تَعْرِفُونَهُ.^١

ومن هنا؛ فمن أراد أن يحصل على طريق إلى الله، فلا بدّ أن يدعوه بمعرفة، ويخلص نفسه من أيّ شيء يمنع معرفته سبحانه. فمن أراد أن يعرف الله بالتصورات أو المفاهيم، ويدعوه عبر هذا الطريق، في الحقيقة أنّه يدعوا التصورات، والمفاهيم، وليس الإله الحقيقي، ولذلك فإنّه يكون بعيداً عن الله، داعياً غيره، ولذلك فلا تستجاب دعواته.^٢

والأمر الآخر، لو كانت معرفة الله - الحقيقية والواقعية - أمراً محالاً وكان الله مجهولاً لدى الإنسان، - كما يزعم البعض - فكيف يمكن توجيه الرواية السابقة؟ فتبيّن أنّ الإمام (عليه السلام) يؤكّد على إمكانية معرفة الله سبحانه، - لا معرفة العناوين والمفاهيم العامة، ولا تجلياته وظهورات أسمائه الحسنى - ولذلك فإنّه يرجع سبب عدم استجابة الدعاء إلى أنّهم كانوا يدعون إلهاً لا يعرفونه.

وفي الرواية حقيقة مهمة أخرى، توضح من خلال ملاحظة الروايات الأخرى التي سنذكرها فيما يلي، والحقيقة هي أنّ دور الناس في المعرفة، هو التسليم والإقرار

١. التوحيد، ص ٢٨٩، ح ١٧، بحار الأنوار ج ٩٠، ص ٣٦٨، ح ٤ (الباب ٢٤ من أبواب الدعاء من كتاب القرآن).

٢. لا يخفى أنّ عدم استجابة الدعاء قد يكون لحكم آخر، والنص قد يبيّن جانباً واحداً من أسباب عدم استجابة الدعاء. (المؤلف).

والإذعان والتصديق، وأصل المعرفة فعل الله عز وجل. فحين يقول الإمام إنهم يدعون رباً لا يعرفونه، فإن ذلك يعني أنهم لم يذعنوا لتلك المعرفة ولم يسلموها. ولعدم التسليم وعدم الإيمان جهتان: إما لجهة كون الإنسان يتوجه إلى العناوين والتصورات والتعقّلات، بدلاً من التسليم، ويكون حينها بعيداً عن معرفة الله عز وجل؛ وإما أن يكون لجهة عدم التزام الإنسان بالتكاليف الإلهية بشكل جيد، وعدم الإتيان بشروط العبودية؛ وهذا يستوجب أن يدعوا من لم يؤدّ تكاليفه في قبالة، لأنه إن كان به مؤمناً وبمعرفته مقرباً ومسلماً، لم يكن يسير في حياته كما يحلو له؛ بل كان مستعداً لتنفيذ الأمر الإلهي.

٣. معرفة الله بالله في رواية سدير الصيرفي

في رواية عن سدير الصيرفي، يبين الإمام الصادق (ع) بوضوح عدم وجود الوسائط في معرفة الله سبحانه وتعالى حيث قال (ع):

مَنْ رَعَى اللَّهَ يَعْرِفَ اللَّهَ بِكَوْنِهِمُ الْقُلُوبِ، فَهُوَ مُشْرِكٌ؛ وَمَنْ رَعَى اللَّهَ يَعْرِفَ اللَّهَ بِالْإِسْمِ دُونَ الْمَعْنَى، فَقَدْ أَكْرَاهَ الظَّنَّ لِأَنَّ الْإِسْمَ مُحَدَّثٌ؛ وَمَنْ رَعَى اللَّهَ يَعْبُدُ الْإِسْمَ وَالْمَعْنَى، فَقَدْ جَعَلَ مَعَ اللَّهِ شَرِيكاً؛ مَنْ رَعَى اللَّهَ يَعْبُدُ الْمَعْنَى بِالصِّفَةِ لَا بِالْإِذْرَاكِ، فَقَدْ أَحَالَ عَلَى غَائِبٍ؛ وَمَنْ رَعَى اللَّهَ يَعْبُدُ الصِّفَةَ وَالْمَوْصُوفَ، فَقَدْ أَبْطَلَ التَّوْحِيدَ لِأَنَّ الصِّفَةَ غَيْرُ الْمَوْصُوفِ؛ مَنْ رَعَى اللَّهَ يُضِيفُ الْمَوْصُوفَ إِلَى الصِّفَةِ، فَقَدْ صَغُرَ بِالْكِبَرِ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾... إِنْ مَعْرِفَةُ عَيْنِ الشَّاهِدِ قَبْلَ صِفَتِهِ وَمَعْرِفَةُ صِفَةِ الْغَائِبِ قَبْلَ عَيْنِهِ. قِيلَ: وَكَيْفَ تَعْرِفُ عَيْنَ الشَّاهِدِ قَبْلَ صِفَتِهِ؟

قَالَ (ع): تَعْرِفُهُ وَتَعْلَمُ عِلْمَهُ وَتَعْرِفُ نَفْسَكَ بِهِ وَلَا تَعْرِفُ نَفْسَكَ بِنَفْسِكَ مِنْ نَفْسِكَ وَتَعْلَمُ أَنَّ مَا فِيهِ لَهُ وَبِهِ كَمَا قَالُوا لِيُوسُفَ: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي ﴿فَعَرَفُوهُ بِهِ وَلَمْ يَعْرِفُوهُ بِغَيْرِهِ وَلَا أَنْبَأُوهُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ بِكَوْنِهِمُ الْقُلُوبِ﴾^١.

١. يوسف (١٢)، الآية ٩٠.

٢. تحف العقول، ص ٣٢٨، بهار التوفيق ج ٦٥، ص ٢٧٦، ح ٣١ (الباب ٢٢ من أبواب الإيمان والإسلام... من كتاب الإيمان والكفر).

في هذه الرواية يبين الإمام (عليه السلام) معنى «معرفة الله بالله» بشكل واضح وجلي، حيث يذكر أن المراد من ذلك معرفة الله عز وجل به ويتعريفه هو سبحانه؛ كما أن إخوة يوسف (عليهم السلام) عرفوه به، ولم يشبهوه بعقولهم وأفكارهم وبرايمهم.

وفي التأمل في تمثيل الإمام (عليه السلام) يتضح أن معرفة الله سبحانه حاصلة للجميع؛ وإنما عرضت الغفلة والنسيان على قلوب البشر، ومن هنا فإن الله سبحانه - بناءً على سنته - ينبه الناس إلى تلك المعرفة من خلال الآيات؛ كما أن إخوة يوسف عرفوا يوسف بعد تعريفه إياهم نفسه، ورفعت الغفلة والنسيان عن أذهانهم. ومن هنا نجد أن الآيات القرآنية وروايات الأئمة (عليهم السلام) تدعو الناس إلى التفكير والتأمل في الخليفة، وفي الواقع يكون تأملهم من خلال التوجه إلى الله، أي يتأملون كيف أن الله خلق هذه الخليفة وديورها.

فالطريقة المثبتة عند الأئمة (عليهم السلام)، أي ما أوجبه الله على خلقه، هو أن يستعمل المرء عقله في الخليفة، وبالتأمل والتدقيق يكتشف جهات الفقر والنقص والحاجة في المخلوقات، وحينذاك يشاهد الرب الخالق الحكيم من خلال الخلق، بمعنى أنه انطلاقاً من معرفته بالله يتأمل الخلق، لا أنه يصل إلى معرفة الله من خلال الخلق؛ إذ أن الخلائق كلها قائمة به عز وجل. فإذا عرف المرء ربه وتوجه إليه، فإنه يعرف ربيته في الخليفة أكثر وأكثر، وكلما تأمل الناس في الخليفة، كلما عاينوا آثار تلك المعرفة، وإزداد تجلّي الله سبحانه وتعالى لهم من هذه الجهة، وتوضح لهم آيات الله ودلائله؛ ذلك لأن هذا هو الطريق الذي جعله الله لهم.

حينما عرف يوسف (عليه السلام) نفسه لإخوته، عرفوه به، ومعرفة يوسف (عليه السلام) بدت لهم بوضوح، وتفتحت عنهم سحب الغفلة والنسيان بصورة كاملة.

ويبين الإمام (عليه السلام) بما لا يحتاج إلى بيان وتوضيح، بأن الاسم - أعم من اللفظي وغيره - لا يكون معرف المستمى في حال؛ بل معرفة المستمى (المعنى) لابد أن تسبق معرفة الاسم. الاسم غير المستمى، ولا يحمل أثراً من المستمى ليكون حاكياً

عنه؛ لوجود التباين والمغايرة بين الاسم والمستى، وعدم وجود أي اشتراك بينهما؛ سوى أن الاسم آية ودلالة جعلها الله سبحانه وتعالى (المستى) لينبّه به الناس على معرفتهم.

ومن الملفت عبارة الإمام عليه السلام:

مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَعْبُدُ الْمَعْنَى بِالْإِدْرَاكِ، فَقَدْ أَحَالَ عَلَى غَائِبٍ.

أي أن من ظن أنه يعبد المعنى (الله سبحانه) بالتوصيف، لا بالإدراك، فإنه قد أحال على غائب ولم يعبد الله المحاضر والشاهد، بل عبد رتاً غائباً. وأنى للإله الغائب أن يكون مورد خطاب العابد؟ وأنى يمكن أن يخاطب المعبود الغائب بالقول: ﴿إِنَّكَ تَعْبُدُ﴾؟ فتبين من خلال النص، أن الله سبحانه -الذي هو معنى الألفاظ والأسماء الحسنی- يقع مدركاً؛ إلا أنه لا يدرك بواسطة الأوهام والأفكار، بل حتى أوهام القلوب، بل بالمعرفة التي هي منه ويتعريفه، كما ذكرنا التصوص الدالة على ذلك في الدرس السابق.

٣. بيان العلامة الطباطبائي في ذيل رواية سدير الصيرفي

يقول العلامة الطباطبائي في حاشيته على تحف العقول، في ذيل الرواية السابقة:

أنا لو شاهدنا عين زيد مثلاً في الخارج و وجدناه بعينه بوجه مشهودا فهو المعروف الذي ميزناه حقيقة عن غيره من الأشياء ووجدناه واقعا من غير أن يشبهه بغيره.^١

تجده شاهدا وتوصلنا إلى معرفته بالصفات لم نعرف منه إلا أموراً كلية لا توجب له تميزاً عن غيره ولا توحيدا في نفسه كما لو لم نر مثلاً زيدا بعينه وإنما عرفناه بأنه إنسان أبيض اللون طويل القامة حسن المحاضرة بقي على الاشتراك حتى تجده بعينه ثم نطلي عليه ما نعرفه من صفاته وهذا معنى قوله عليه السلام: «إِنَّ مَعْرِفَةَ عَيْنِ الشَّاهِدِ قَبْلَ

١. أي حينما يكون أمامنا ظننا، تميزه عن غيره، وإن كان هناك شخص بصلاته وتكون فيه نفس مشاعرات زيد، فإلا نرأهما منفصلين عن بعضهما البعض، فالخصائص المكلّية تميزهما عن بعضهما. (المؤلف)

صِفَتِهِ وَتَعْرِفُهُ صِفَةَ الْغَائِبِ قَبْلَ عَيْنِهِ».

ومن هنا يتبين أيضاً أنَّ توحيد الله سبحانه حق توحيده أن يعرف بعينه أو لا ثم تعرف صفاته لتكميل الإيمان به لا أن يعرف بصفاته وأفعاله فلا يستوفى حق توحيده. وهو تعالى هو الغني عن كل شيء، القائم به كل شيء فصفاته قائمة به وجميع الأشياء من بركات صفاته من حياة وعلم وقدرة ومن خلق ورزق وإحياء وتقدير وهداية ونوفيق ونحو ذلك فالجميع قائم به مملوك له محتاج إليه من كل جهة.

فالسبيل الحق في المعرفة أن يعرف هو أو لا ثم تعرف صفاته ثم يعرف بها ما يعرف من خلقه لا بالعكس.

ولو عرفناه بغيره لن نعرفه بالحقيقة ولو عرفنا شيئاً من خلقه لا به بل بغيره فذلك المعروف الذي عندنا يكون منفصلاً عنه تعالى غير مرتبط به فيكون غير محتاج إليه في هذا المقدار من الوجود.^١ فيجب أن يعرف الله سبحانه قبل كل شيء ثم يعرف كل شيء بما له من الحاجة إليه حتى يكون حق المعرفة وهذا معنى قول الإمام عليه السلام «تَعْرِفُهُ وَتَعْلَمُ عِلْمَهُ...»^٢.

ويعد هذا البيان يؤكد العلامة الطباطبائي، أن هذه الرواية توضح المعنى المراد من روايات «معرفة الله بالله»، يقول:

الحديث مسوق لبيان أن الله سبحانه لا يعرف بغيره حق معرفته بل لو عرف فإثماً يعرف بنفسه و يعرف بغيره به فهو في مساق ما رواه الصدوق في التوحيد بطريقين عن عبد الأعلى عن الإمام الصادق عليه السلام.^٣

فتبين من الرواية، والإيضاحات التي ذكرت، أن المراد من معرفة الله بالله، ليست

١. يعني ألا نلجأ إلى الخلق من دون الله، سنرى أمراً لا ترتبط بالله عز وجل، ولا يمكن حينها أن نترك حاجتها إلى الله عز وجل، وكذا لا يمكن نسبتها إلى الله وأن نعدّها مخلوقة له عز وجل، أما إذا عرفنا الخليفة من جهة معرفة الله، يمكن أن نجعل بينها وبين الله رابطاً، ونعرف كيفية قيامها بالله سبحانه وحاجتها إليه. (المؤلف)

٢. تحف العقول، ص ٣٢٧.

٣. تحف العقول، ص ٣٢٨؛ هذه الرواية منسكها في الدرس القادم في البحث عن «المعرفة صنع الله».

المعرفة من خلال النظر والتأمل في المخلوقات وكيفية خلقها - التي هي في الحقيقة آيات وآثار لله تعالى - والوصول منها إلى الخالق؛ أي يكون المخلوق مرآة ومظهراً للخالق. وبعبارة أخرى، لا توجد آثار من وجود الله في خلقه؛ بأن يكون المخلوق مشتركاً مع الله في بعض الجهات، مثل الوجود، والعلم، والقدرة، والحياة، ونظائرها، كى تطرح بأنها كمالات وجودية ثم قال ما يملكه المخلوق فهو من الله، وأنه واجد للمرتبة الأعلى والأكمل منها. إن نتيجة هذا التصور، تكون الإشتراك العيني بين الله وخلق في الوجود، مع الاختلاف في الرتبة؛ أو أن يقال إن مفهوم الوجود، أو الأوصاف الأخرى المنتزعة من المخلوق، تشترك في معناها الأعم مع الله عز وجل؛ بالرغم من أننا نعجز عن إدراك مصاديق الأوصاف هذه بالنسبة إلى الله عز وجل؛ ولكننا نثبت أصل وجودها فيه سبحانه.

نقول، من خلال الاستفادة من الروايات الواردة، إن مثل هذه المعرفة بالله، ليست معرفة بالله أصلاً، بل هي معرفة المخلوق وغير الله عز وجل.

٥. محصلة نصوص معرفة الله بالله

من خلال الروايات الواردة في هذا الباب، يمكن الاستفادة بعض المطالب التي نذكرها فيما يلي بإيجاز:

١. المراد من معرفة الله، معرفة مستى لفظه «الله» لا شيئاً آخر؛ بمعنى أن المراد من معنى ومستى لفظه «الله» هو الرب الحقيقي والواقعي، التي تعجز العقول عن إدراكه، واحتارت الأفكار في الوصول إليه.

٢. إن المعرفة الحقيقية لا تتحقق إلا بالله؛ بمعنى أن الله سبحانه، يعزف الإنسان ويهديه إلى نفسه، وهو الذي يدلهم عليه. وهذه المعرفة إما تكون بتوسط الأسماء والصفات، التي يتنها الله سبحانه للناس عبر الأنبياء والرسل، وإما بتوسط الآيات والدلائل المبثوثة في الخليقة، وإما حين ابتلاء الإنسان في المشاكل والمصائب، وحسب التعبير القرآني «البأساء والضراء» الأمر الذي يسبب الانقطاع التام من

المخلق، والتوجه إلى الله تعالى.

٣. ليست هذه المعرفة بتوسط الحجب، فمن ظن أنه يعرف الله بالحجب والمثال والصورة، فإنه لم يعرف الله في الحقيقة. فهذه المعرفة ليست أمراً يمكن اعتبار دور وتأثير لغير الله سبحانه فيها، بمعنى أن معرفة الله بالله، تكون حينما تزاح الأغيار ويتوجه إليه، وحتى لو عرف الإنسان أحياناً ربه بالأسماء أو الصفات أو الآيات أو حين الابتلاءات، فإنه في الواقع توجه إليه وبإرادته عز وجل.

ومن هنا؛ فحتى لو حصلت المعرفة لشخص عبر مطالعة الآيات - أهم من الآيات الأنفسية أو الآفاقية - إلا أنه قد عرف الله عز وجل به، والتعريف في كل هذه الموارد يكون به سبحانه وتعالى.

٤. حين نحقق معرفة الله بالله، فإن سلك الإنسان الطرق التي جعلها الله عز وجل له من أجل الوصول إلى معرفته، ووصل إلى المعرفة، ومخاطب ربه في هذه المرتبة، ودعائه، فإن دعائه سيكون مقروناً بالإجابة، لارتفاع مانع من موانع الإجابة.

٥. بوجود هذه المعرفة، تتحقق معاني الدعاء والعبادة، والتوحيد، والإيمان، والاقرار، والتسليم، وبهذه المعرفة فقط يمكن أن تكون للأسماء والصفات الإلهية معنى، بمعنى أن ألفاظ وتعابير «المخلق والصنع والآية»، يمكن لها أن تكون وسائط للانتقال إلى الإله الحقيقي.

٦. إن هذا التعريف، هو فعل مباشر لله عز وجل، وليس للإنسان، بل يأتي موجود آخر تكليف ودور بالنسبة إلى هذه المعرفة، ومن هنا فإن قول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) القائل: «اعرفوا الله بالله»، يعني، أن يبتعد الإنسان عن التفكير في الوصول إلى معرفة الله عبر الطرق المختلفة، وأن يجعل نفسه في الطرق التي جعلها الله سبحانه وتعالى لمعرفة.

وهذا القول، نظير القول بأن الشفاء من المرض هو فعل الله سبحانه، ولكن وبالرغم من ذلك، أمرت الروايات بالانتماع من الدواء، بمعنى أن الله سبحانه، بناءً

على سنته في الخلق، يوجد فعله (الشفاء) في هذه الأمور، لا بمعنى كون الشفاء في ذات الدواء. وكما أن لكل داء دواء خاص به، كذلك فإن لمعرفة سبحانه طرق محدده، وجلي بأن التفكير في ذات الله، وتصوره، والتوهمات الذهنية، ليست طرقاً جعلها الله سبحانه للوصول إلى معرفته.

٧. بوجود هذه المعرفة، تتحقق معاني التنزيه والتسبيح، إذ لو لم يعرف الإنسان الله «المعنى والمسمى»؛ فلا يبقى موضوع يستحق التنزيه والتقديس. ولا يعقل أن يقع المجهول مورداً للتنزيه والتقديس، فمن دون وجود هذه المعرفة، لا يكون للتنزيه والتسبيح والتقديس معنى، بل هو مجرد لقلقة لسان لا أكثر.

٨. بتحقيق هذه المعرفة، تتحقق معاني لعبارات كثيرة وردت في الآيات القرآنية والروايات والأدعية الواردة عن أهل البيت (ع)، مثل: زيارة الله، لقاء الله، رؤية الله، وجدان الله، وصال الله، حضور الله، مخاطبة الله، الحديث مع الله، القرب من الله... التي تلحظ كثيراً في النصوص. وجلي بأن هذه المعرفة هي وحدها التي تربط الإنسان بآلهه الواقعي، فيجده في نفسه، ويتحسس وجوده في كل كيانه، ويتمكن من زيارته ولقائه. ولا يخفى أن معاني الألفاظ السابقة، ليست هي المعاني المتعارفة منها «الحقيقية» المستفادة مع المخلوقات، ذلك لأن الألفاظ هذه تختلف حتى في استعمالها بالنسبة إلى المخلوق، ف رؤية ولقاء أي شيء تكون بحسبه، فلا يمكن أن تكون رؤية الأمور المعنوية بالعين الباصرة أبداً.

٩. بتحقيق هذه المعرفة وحدها، يكون لتكليف العبد منذ بلوغه بالصلاة والصيام وسائر العبادات، معنى. إذ - كما هو بين - أن إثبات الخالق وتوحيد الله سبحانه، عن طريق البرهان والاستدلال - إن كان صحيحاً وهوليس كذلك - ليس من شأن أي كان، ولا يتيسر لعموم الناس. وبهذه المعرفة يتحقق معنى الإيمان لكثير من الناس - حتى من وصل في الفقه مرتبة الاجتهاد من دون أن يكون له باع في المباحث الفلسفية والكلامية - بل لوحظ في موارد كثيرة، إن إيمان هؤلاء أقوى

وأسنى من إيمان الفلاسفة والمتكلمين، لا يكون وإن جمعاً من الفلاسفة والمتكلمين لهم حظاً من معرفة الله الحقيقية أبداً ولا تجلى لهم الفلسفة والكلام خوفاً وطاعة وتسليماً وإيماناً لله تعالى.

وهذا من نتائج الاختلاف المهمة بين المعرفة بالمفاهيم والاستدلال بالمنطق الذهني، وبين المعرفة الحقيقية العيانية، الحاصلة بتعريف الله سبحانه وتعالى نفسه للإنسان.

٦. ملخص الدرس

- معرفة الله سبحانه، فعل مباشر له، ولا حاجة فيه إلى الوسائط.
- الأوصاف والعناوين والمفاهيم العامة - مهما بلغت في السعة - ليست معرفة لله عز وجل.
- معرفة الله بغير الله، ليست معرفة الله، بل هي معرفة غير الله.
- معرفة الله لا تحصل بالعقل والتفكير، ومن دون معرفة الله لا يمكن عبادة الله أبداً.
- معرفة الله شرط لاستجابة الدعاء.
- المعرفة، فعل الله، وتكليف الناس في المعرفة يقتصر على التسليم والإقرار والإدعان والتصديق بالمعرفة.
- التأمل والتفكير في الخليقة لا بد أن يكون من جهة معرفة الله، وفي هذه الحالة، كلما تأمل الناس في الخليقة، رأوا آثار معروفهم الحقيقي في الخليقة أكثر.
- الاسم ليس معرفاً أبداً، بمعنى أنه لا يكون حاكياً للمعنى «المستى»، بل معرفة المستى لا بد أن تكون قبل معرفة الاسم.
- عبادة الله بالتوصيف، إحالة على غائب، ويدرك الله بتعريفه هو سبحانه.

٧. اختبار ذاتي

١. ماذا تعني معرفة الله بغير الله؟ وهل هذه معرفة صحيحة؟ لماذا؟

٢. هل يمكن للإنسان أن يعرف الله بقواه المدركة؟ إن كان الجواب بالنفي، هل يمكن للإنسان أن يعبد رتباً لا يعرفه؟
٣. ما هي جوانب عدم التسليم والإيمان بالله؟ بينها.
٤. بين العبارة التالية: «معرفة عين الشاهد قبل صفته ومعرفة صفة الغائب قبل عينه»؟
٥. ما هو دور الأسماء والصفات في معرفة الله؟
٦. المفاهيم، تقرب الإنسان إلى المعرفة أم تبعده؟ ولماذا؟
٧. ما المقصود من القول بأنه «لا بد أن تكون معرفة المستمى قبل معرفة الاسم»؟
٨. متى تتحقق معاني التنزيه وتقديس الله سبحانه؟
٩. مع الأخذ بعين الاعتبار عدم إمكانية الإنسان - حين البلوغ - في إدراك البراهين المثبتة لله سبحانه، على أي أساس يمكن تكليفه بالعبادات؟

١١ الدرس الحادي عشر

النصوص المتعارضة في الظاهر مع نصوص معرفة الله بالله

- نفى الألوهية عما يُعرف بنفسه
- ما عرفته بنفسه، فهو مصنوع
- قصور القوى المدركة عن معرفة الله
- قصور الخلق عن معرفة الله





مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تلميح

بعد الانتهاء من الدرس يتوقع من الطالب أن يكون عارفاً على الروايات المعارضة - من الظاهر- لروايات معرفة الله بالله، ويكون قادراً على الجمع بين النصوص ورفع التعارض الظاهري بينها.

بعد أن تعرّفنا على بعض نصوص معرفة الله بالله، يلزم لنا أن نذكر أربع روايات تخالف تلك النصوص في ظواهرها، ومن ثم نبين المراد منها، بصورة واضحة.

١. نفى الألوهية عما يُعرف بنفسه

قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

لَيْسَ بِاللّهِ مَنْ عُرِفَ بِنَفْسِهِ هُوَ الدَّالُّ بِالذَّلِيلِ وَالْمُؤَدِّي بِالْمَعْرِفَةِ إِلَيْهِ.^١

تنفي الرواية في بدايتها الألوهية عما يُعرف بنفسه، يتوهم من هذه العبارة بأن معرفة الله لا تتحقّق به؛ إلا أن المعنى الصحيح يفهم مع ملاحظة جميع الروايات التي ذكرناها في باب معرفة الله بالله، وكذا بعد ملاحظة ذيل الرواية.

توضيح ذلك: أي شيء يعرف بنفسه ومن دون أن يكون هو المعرّف لنفسه،

١. الاحتجاج (لنظيرسي)، ج ١، ص ٢٠١، ح ١٣ بهار الشريعة ج ٤، ص ٢٥٣، ح ٧ (الباب الرابع من أبواب أسمائه تعالى... من كتاب التوحيد).

فيكون قابلاً لأن يعرفه غيره، فإنه ليس ياله، فأَيُّ شيءٍ يمكن أن يعرف من دون تعريف من قِيلَ نفسه هو غير الله. وذيل الرواية يؤيد هذا المعنى بنحو واضح أن الله يعرف بتعريفه هو، لا بحيث يمكن للإنسان أن يعرفه - من قِيلَ نفسه ومن دون تعريفه عز وجل. وكما ذكرنا سابقاً إن معرفة الله بغيره ليست معرفة صحيحة، ومعرفة الله بتعريفه هي المعرفة الصحيحة دون غيرها.

وتبين لك سابقاً، أن الأختيار أيضاً - لو كانت لها مدخلية في معرفة الله سبحانه، فليس ذلك بمعنى أنها مستقلة في تعريف الله؛ بل إن الله هو الذي أراد - حسب سنته الحكيمة - أن يجعل معرفته في هذه الآيات والدلائل. والحديث السابق يبين هذا المعنى في نهايته، بأن الآيات والعلامات إنما هي دلائل جعلها الله عز وجل لتكون وسائل في معرفة الله، فهي آية يجعله عز وجل ولا استقلال لها في التعريف، وبعبارة أخرى، ليس في ذوات الآيات أمراً يحمل على معرفة الله عز وجل، ويكون له سمة الحكاية بالنسبة إلى الله عز وجل.

٢. ما عرفته بنفسه، فهو مصنوع

قال الإمام الرضا (عليه السلام):

فَلَيْسَ اللَّهُ عَرَفَ مَنْ عَرَفَ بِالنَّشِيءِ ذَاتَهُ، وَلَا إِيَّاهُ وَحَدَّ مَنْ اكْتَنَبَهُ،^١ وَلَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ.... وَلَا إِيَّاهُ عَنَى مَنْ شَبَّهَهُ وَلَا لَهُ كَذَلِكَ مَنْ بَقَّضَهُ، وَلَا إِيَّاهُ أَرَادَ مَنْ تَوَهَّمَهُ كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ.^٢

هذا الحديث كسابقه، لا يخالف في الواقع النصوص الدالة على معرفة الله بالله. بل المراد منه أنه لا يمكن معرفة الله سبحانه من دون تعريفه هو، ومن عَرَفَ من دون تعريف من قِيلَ نفسه، فإنه مصنوع وهو سوى الله عز وجل.

وفي توضيح هذه العبارة «كل معروف بنفسه مصنوع»، نقل كلام من السيد هاشم

١. لأن ما يحيط به الإنسان فإنه معقول ومدرك لعقله، وكلما ادركه الإنسان بعقله يمكن أن يجعل له نظيراً.

٢. التوحيد، ص ٢٥، ح ١٢؛ بحار الأنوار، ج ٤، ص ٢٨، ح ٢ (الباب الرابع من أبواب أسمائه تعالى... من كتاب التوحيد).

الحسيني الطهراني، في حاشية كتاب التوحيد للصدوق ونصه كما يلي:

أي: كل ما عرف بذاته وتصوّر ماهيته فهو مصنوع. وهذا لا ينافي قول أمير المؤمنين عليه السلام: «يَا مَنْ دَلَّ عَلَى ذَاتِهِ بِذَاتِهِ» ولا قول الصادق عليه السلام: «اعرفوا الله بالله» لأن معنى ذلك أنه ليس في الوجود سبب لمعرفة الله تعالى إلا الله؛ لأن الكل ينتهي إليه، فالباء هنا للالصاق والمصاحبة؛ أي: كل معروف بلصوق ذاته وماتيته ومصاحبتها لذات العارف بحيث أحاط به ادراكاً فهو مصنوع وهناك للسببية^١.

وهذا الكلام يؤكد ما ذكرناه آنفاً، أن معرفة الله سبحانه - أي معرفة ذات الله وهو الإله الحقيقي - لا تتحقق إلا بتعريفه هو. ولا يعني ذلك أن العارف، يحيط بالله إحاطة عقلية، ويدركه إدراكاً تاماً؛ بل إن هذه المعرفة فعل الله، ويعد أن يعرف الله نفسه لعباده تحصل المعرفة لهم. وهذا ليس أمراً يمكن للعقل والقوى المدركة أن تصل إليه، أو بمساعدة الأوصاف والمعاني التي تدرك من المخلوق. وبكلمة أخرى، فإن وظيفة الإنسان في قبال تلك المعرفة، ليس سوى التسليم والإذعان، والتصديق والإيمان.

وهذه المعرفة تختلف عن معرفة سائر المخلوقات، إذ إن الإنسان حينما يقدر على معرفة شيء عبر تعريف الله، وبلاستعانة بالقوى المدركة لديه، فإنه يكون قادراً على تجزئته وتحليله ويمكن الإحاطة به، وكذا يمكنه التفكير فيه وتعقله، بل وله أن يحيط به علماً؛ ولكن بالنسبة إلى معرفة الله بالله، لا تتحقق هذه المعرفة، بحيث يكون له أن يتفكّر ويتعقل ما عرفه بتعريف الله سبحانه، ذلك لأن الإنسان كلما أراد أن يستفيد من عقله في هذا المجال ويوصف الله، سوف لا تكون الصفات حاكية له، فليس للعقل - بأي وجه - أن يعرف الله مستقلاً حتى بعد أن يعرف الله نفسه للعقل.

هذا في حين أن الإنسان يدرك المخلوقات عبر استعانته بالقوى المدركة عنده، فيفتح عينه - مثلاً - ملتفتاً مع توفر سائر الشروط الطبيعية للرؤية السليمة، حينما يمكنه أن يعرف الألوان والأحجام... وكذا يصدق الأمر بالنسبة إلى المعقولات، إذا تحققت شروط التعقل، يمكن معرفة المعقولات.

فالمقصود من الحديثين ذات المعنى؛ ولكن الله سبحانه ليس كذلك، ليعرف بالقوى المدركة للإنسان؛ إذ إنه أسمى من إدراكها جميعاً. فتبين أن وجود القوى المدركة لا تسهم في معرفة الله حتى لو كانت في أعلى مراتبها؛ بل إن معرفة الله لا بد أن تكون من عنده حصراً، وذلك بلطفه وعنايته وفضله وإحسانه على العباد.

٣. قصور القوى المدركة عن معرفة الله

كان الإمام زين العابدين عليه السلام يخاطب ربه، إذا قرأ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعْلَمُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ بقوله:

سُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَجْعَلْ فِي أَحَدٍ مِنْ مَعْرِفَةِ نِعَمِهِ إِلَّا الْمَعْرِفَةَ بِالتَّقْصِيرِ عَنْ مَعْرِفَتِهَا، كَمَا لَمْ يَجْعَلْ فِي أَحَدٍ مِنْ مَعْرِفَةِ إِدْرَاكِهِ أَكْثَرَ مِنَ الْعِلْمِ أَنَّهُ لَا يُدْرِكُهُ، فَشَكَرَ جَلَّ وَعَزَّ مَعْرِفَةَ الْعَارِفِينَ بِالتَّقْصِيرِ عَنْ مَعْرِفَةِ شُكْرِهِ، فَجَعَلَ مَعْرِفَتَهُمُ بِالتَّقْصِيرِ شُكْرًا كَمَا عَلَّمَ عِلْمَ الْعَالَمِينَ أَنَّهُمْ لَا يُدْرِكُونَهُ، فَجَعَلَ إِيْمَانًا عِلْمًا مِنْهُ أَنَّهُ قَدْ وَسَّعَ الْعِبَادَ فَلَا يَتَجَاوَزُ ذَلِكَ، فَإِنَّ شَيْئًا مِنْ خَلْقِهِ لَا يَبْلُغُ مَدَى عِبَادَتِهِ وَكَيْفَ يَبْلُغُ مَدَى عِبَادَتِهِ مَنْ لَا مَدَى لَهُ وَلَا كَيْفَ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ غُلُوبًا كَبِيرًا^١.

مع ما ذكر، يتضح أن الحديث هذا لا يتعارض - أيضاً - مع معرفة الله بالله، لأنه تبين لك أن تحقق معرفة الله بالله عند الخلق، إنما هو فعل الله، ولا كيف لفعله

١- الإبراهيم (١٣)، الآية ٣٢.

٢- الكافي، ج ٨، ص ٣٩٢، ح ١٥٩٢؛ وراجع الصبحية السجادة الجامعة، ص ٤٢٥ تحف العقول، ص ١٢٨٢ بهار العلوم، ج ٧٥، ص ١٢٢، ح ٣ (الهاب ٢١ من أبواب المواضع... من كتاب الروضة).

سبحانه، حيث لا يمكن لأحد أن يدرك فعل الله بعقله، ولا يمكن بيانه بحال من الأحوال. في نصوص هذا الباب، وباب المعرفة الفطرية، نصريح بأن التعريف هذا، لو لم يحصل من قبل الله سبحانه، لما كانت تتحصل المعرفة أبداً، وبالتالي لم تتحقق العبادة. ومن هنا؛ ورد التصريح في النصوص الشريفة بأن العباد لم يكلفوا أمر المعرفة، بل ذلك على الله سبحانه أن يعرفهم نفسه.^١

٤. قصور الخلق عن معرفة الله

ذكر ابن أبي جمهور الإحساني في عوالي اللئالي نصاً مرسلًا عن النبي ﷺ، أنه قال: لَوْ عَرَفْتُمْ اللَّهَ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ، لَرَأَيْتُمْ بِدَعَائِكُمْ الْجِبَالِ الرَّاسِيَّاتِ وَلَا يَبْلُغُ أَحَدٌ كُنْهَ مَعْرِفَتِهِ.

فَقِيلَ: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟
قَالَ: وَلَا أَنَا، اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ أَنْ يَظْلِعَ أَحَدٌ عَلَى كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ،
لِهَذَا قَالَ فِي دُعَائِهِ يَا مَنْ لَا يَعْلَمُ مَا هُوَ إِلَّا هُوَ.
وَقَالَ: سُبْحَانَكَ مَا عَرَفْنَاكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ.^٢

سنذكر لاحقاً أن معرفة الله سبحانه فعله فحسب، وعلى الله أن يعرف نفسه لعباده، أما دور المكلف في قبال المعرفة، فهو التسليم والإقرار والإيمان بتلك المعرفة الواصلة إليه من قبل الله. ومن هنا؛ كلما ازدادت عبادة العبد وطاعته لربه ومالكة، زادت معرفته لله، وهو السبب في قرب العباد إليه تعالى. ولذا لما حضر معاوية بن وهب وجماعة من المؤمنين عند الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وسأله: يا بن رسول الله، ما تقول في الخبر الذي روي عن رسول الله ﷺ؟

رَأَى رَيْثَهُ عَلَى أَيْ صُورَةٍ رَأَاهُ؟ وَعَنِ الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَيْ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ رَيْثَهُمْ فِي الْجَنَّةِ عَلَى أَيْ صُورَةٍ يَرَوْنَهُ؟

١- راجع: الكافي، ج ١، ص ١٦٣-١٦٢ (باب البيان والصريف...).

٢- عوالي اللئالي، ج ٢، ص ١٣٢، ح ٢٢٥.

فَتَبَسَّمَ ﷺ ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاوِيَةُ مَا أَفْخَحَ بِالرَّجُلِ يَأْتِي عَلَيْهِ سَبْعُونَ سَنَةً أَوْ ثَمَانُونَ سَنَةً يَبْسُطُ فِي مُلْكِ اللَّهِ وَيَأْكُلُ مِنْ نِعَمِهِ ثُمَّ لَا يَعْرِفُ اللَّهَ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ. ثُمَّ قَالَ ﷺ: يَا مُعَاوِيَةُ إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لَمْ يَرَ الرَّبَّ كِبَارَكَ وَتَعَالَى بِشَاهِدَةِ الْعَيْنِ وَإِنَّ الرُّؤْيَا عَلَى وَجْهَيْنِ رُؤْيَا الْقَلْبِ وَرُؤْيَا الْبَصَرِ، فَسَ عَنَى بِرُؤْيَا الْقَلْبِ، فَهُوَ مُصِيبٌ، وَمَنْ عَنَى بِرُؤْيَا الْبَصَرِ فَقَدْ كَفَرَ بِاللَّهِ وَبِآيَاتِهِ.^١

وفي الحديث إثبات لاستحالة المعرفة التامة والكاملة لله، كما نفاها النبي ﷺ في الحديث السابق، وفي حديث آخر يروى عن الإمام الصادق ﷺ حيث قال:

إِنَّ لِحُجَّتَيْنَا فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ عَلَامَاتٍ يُعْرِفُونَهَا.

قال الرجل وما تلك العلامات؟

قَالَ ﷺ: تِلْكَ خِلَالُ أَوَّلِهَا أَلْهَمَ عَزَمُوا التَّوْحِيدَ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ، وَأَحْكَمُوا عِلْمَ تَوْحِيدِهِ.^٢

فتبين أن معرفة الله سبحانه، تختلف من شخص إلى آخر، حسب اختلاف درجات إيمانهم، وفي حديث عن النبي ﷺ، حين سئل عن رأس العلم، قال:

مَعْرِفَةُ اللَّهِ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ.

فَقِيلَ: وَمَا مَعْرِفَةُ اللَّهِ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ؟
قَالَ: تَعْرِفُهُ بِلَا مِثْلٍ وَلَا شَبِّهِ وَلَا يَدٍ وَأَلَّهُ وَاحِدٌ أَخَذَ ظَاهِرًا بِاطْنٍ أَوَّلَ آخِرٍ لَا كُفُولَهُ وَلَا نَظِيرَ قَدْ لَكَ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ.^٣

وفي حديث آخر، قال رسول الله ﷺ لعليّ ﷺ:

١. كتابه الآخر، ص ٢٦١-٢٦٠، بحار الأنوار، ج ٢، ص ٥٢، ح ٣٢ (الباب العاشر من أبواب تأويل آيات... من كتاب التوحيد).

٢. تحف العقول، ص ١٢٢٦، بحار الأنوار، ج ٦٥، ص ٢٧٦، ح ٣١ (الباب ٢٤ من أبواب الإيمان والكفر من كتاب الإيمان والكفر).

٣. التوحيد، ص ٢٨٥، ح ١٥، بحار الأنوار، ج ٣، ص ٢٦٩، ح ٢ (الباب العاشر من كتاب التوحيد).

يَا عَلِيُّ مَا عَرَفَ اللَّهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ غَيْرِي وَغَيْرِكَ، وَمَا عَرَفَكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ غَيْرُ اللَّهِ وَغَيْرِي.^١

فيتبين أن المراد من عدم الوصول إلى حق معرفة الله سبحانه، في رواية ابن أبي الجمهور والأحاديث المشابهة لها، هو أن يكتفي الإنسان على المعرفة العقلية في معرفته لله سبحانه وتعالى. لأنه من الواضح أن عدم حصول الإنسان من خلال العقل -المصطلح عليه عند البشر- إلا على العناوين الكلتية والمفاهيم العامة، ومن هذه الجهة، نجد نصوباً تصدق (حق معرفة الله) بمعنى إمكانية الوصول إليها - بل ولا بديتها - من خلال الإيمان والطاعة لله سبحانه وكمال العبودية له عز وجل.

وحق المعرفة هي، أن يعرف الإنسان معبوده - إن سئل عنه - بتعريف ينزهه عن جميع ما يراه في المخلوقين، ولا يتفكر في ماهيته وكيفيته، ولا يحاول أن يتعقله أو يتوهمه، بل لا يتوهم الصفات التي جعلها الله لنفسه، كما في حديث الإمام الصادق (عليه السلام) للمفضل:

قَالَ قَالُوا: فَأَنْتُمْ الْآلِي تَصِفُونَ مِنْ قُصُورِ الْعِلْمِ عَنْهُ وَصَفًا حَقَّ كَأَنَّهُ غَيْرُ مَعْلُومٍ، قِيلَ لَهُمْ هُوَ كَذَلِكَ مِنْ جِهَةٍ إِذَا زَامَ الْعَقْلَ مَعْرِفَةً كُنْهِهِ وَالْإِحَاطَةَ بِهِ، وَهُوَ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى أَقْرَبَ مِنْ كُلِّ قَرِيبٍ إِذَا اسْتَدَلَّ عَلَيْهِ بِالذَّلَالِ وَالشَّافِيَةِ، فَهُوَ مِنْ جِهَةٍ كَالْوَاضِحِ لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ وَهُوَ مِنْ جِهَةٍ كَالْغَامِضِ لَا يَدْرِيكَ أَحَدٌ وَكَذَلِكَ الْعَقْلُ أَيْضًا، ظَاهِرٌ بِشَوَاهِدِهِ وَمَسْئُورٌ بِدَائِهِ.^٢

يصرح الإمام - وبوضوح - أن الإله الذي يعجز العقل عن الوصول إليه، هو بين وواضح من جهة أخرى، ولا يشك فيه أحد، وذلك حينما يتم الاستدلال عليه من خلال الطريق الصحيح.

١. المنتقى، ج ٣، ص ١٢٦٧، بحار الأنوار، ج ٣٩، ص ٨٤ (الباب ٧٣ من أبواب فضائله من كتاب تاريخ أمير المؤمنين (عليه السلام)).

٢. توحيد المفضل، ص ١٧٩، بحار الأنوار، ج ٣، ص ١٢٨، ح ٦ (الباب الرابع من كتاب التوحيد) الفصول المهمة في أصول الأئمة، ج ١، ص ١٥٦.

ومن الطريف أن الإمام عليه السلام يضرب مثلاً توضيحياً ليقرب السائل من فهم الإجابة، عن العقل، إذ يجري عليه الأمر عينه. ويبدو أن الإمام يبين للسائل عدم إمكان الوصول إلى الله من خلال العقل وحده، فكل ما عرفه العقل بحدوده، يكون معقولاً للعاقل لا خالفاً له. وهذا يجري على العقل أيضاً، فكل شيء يُعرف بالعقل ويُكشف به، في حين أن العقل يعرف من خلال الالتفات الموضوعي إليه، بمعنى عدم جعل العقل معقولاً، فلو صار العقل معقولاً للإنسان، خرج عن كونه عقلاً وصار معقولاً للذهن؛ وعليه فكما يُعرف العقل بالعقل ذاته، لابد أن يعرف الرب بذاته، وكما لا يكون العقل معقولاً، كذلك الله سبحانه لا يمكن أن يكون معقولاً ومُتصَوِّراً.

وبعبارة أخرى، فكما أن معرفة العقل وإدراكه يكون بوجودان العقل نفسه، فإن معرفة الله سبحانه تتحقق بوجودانه سبحانه، نعم ليس ثمة تشابه بين هذا الوجودان وذلك، بل - كما قلنا - فإن العقل والعلم آية ودليل عليه لا أنهما - والعياذ بالله - نظيران وشبيهان له سبحانه وتعالى.

٥. ملخص الدرس

- كلما عُرِف بنفسه، ومن دون تعريف من قبل الله سبحانه، فهو غير الله.
- إن كان لغير الله دور في معرفته سبحانه، فإن هذا الغير صار معرفاً لله بإرادته عز وجل، طبقاً لسنن الحكيم.
- دلالة الآيات على الله عز وجل، إنما تكون بواسطة الله سبحانه، ولا استقلالية لها في تعريف الله.
- معرفة الله فعله، ومن عرف الله سبحانه بتعريفه، لا يكون قد أحاط بعقله معرفة الله.
- حتى بعد أن يعترف الله نفسه للعباد فلا طريق لعقولهم في معرفته.
- معرفة الله بالله، فعله عز وجل، وفعل الله خارج عن حدود الإدراك البشري، ولا يمكن بيانه وشرحه بالعقول.
- وحق المعرفة هي، أن يعرف الإنسان معبوده - إن سئل عنه - بتعريف ينزهه عن

جميع ما يراه في المخلوقات، ولا يتفكر في ماهيته وكيفية، ولا يحاول أن يتعقله أو يتوهمه، بل لا يتوهم الصفات التي جعلها الله لنفسه.

• بالرغم من عجز العقل عن الوصول إلى معرفة الله، إلا أن الله من جهة أخرى واضح وجلّي لا شك فيه.

• العقل، هو المثل الأعلى لله، وكما يكشف العقل كل شيء، ويكشف ذاته بذاته، فكذلك الله يُعرف بذاته.

٦. اختبار ذاتي

١. بين العبارة «ليس ياله من عرف بنفسه»؟

٢. كيف توجه الآيات العباد إلى الله سبحانه؟

٣. ماذا تعني العبارة «كل معروف بنفسه مصنوع»؟

٤. ما هو حق معرفة الله سبحانه؟

٥. كيف يمكن الجمع بين النصوص النافية لإمكانية الوصول إلى حق المعرفة،

والنصوص المثبتة؟

٦. ماذا نعني بالقول: «العقل مثل الله»؟ وضح ذلك.

٧. ما هي النسبة بين وجدان العقل، ووجدان الله سبحانه؟



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١٢ الدرس الثاني عشر

المعرفة صنع الله (١)

- آيات القرآن الكريم
- الروايات الشريفة





مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تلميح

بعد الانتهاء من مطالعة الدرس، يتوقع من الطالب أن يعرف - من خلال الآيات والروايات - أن المعرفة هي صنع الله سبحانه، وأن الله سبحانه لم يكلف العباد على معرفته، بل هي فعله عز وجل.

من خلال دراسة فصوص معرفة الله بالله، تبين لك في الدروس السابقة، أن الطريق المحصري إلى معرفة الله سبحانه هو الله عز وجل، وإن لم يعرف نفسه لعباده، فإنهم لا يقدرّون على معرفته أبداً. وتبين أيضاً أن ما يُعرف بنفسه عبر القوى المدركة عند الإنسان، ليس هو الله. وسنتطرق في هذا الدرس إلى أن على الله عز وجل أن يعرف نفسه لعباده، وعلى العباد - مقابل تعريفه سبحانه - أن يسلموا ويقروا ويصدقوا بقلوبهم وألسنتهم. وقد أطلقت بعض الروايات لفظة المعرفة على هذا التصديق والتسليم، وقد كلف العباد بهذا الأمر الذي هو فعل اختياريّ لهم.

وفيما يلي سنبحث هذا الموضوع من خلال الآيات والروايات الشريفة.

١. آيات القرآن الكريم

١-١. الهداية من قبل الله

قال الله تعالى:

﴿إِنْ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۖ
﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۖ
﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۖ
﴿مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ۖ

لم يتمّ التعرّض لمعلّق الهداية في الآيات الشريفة، بل أطلق اللفظ، وجعلت الهداية أمراً على عهدة الله سبحانه، ولكن من الواضح أنّ المراد من الهداية المذكورة، هي تلك التي تستتبع تكليفاً وحكماً، وعلى رأس هذا النوع من الهداية، معرفة الله سبحانه وتعالى والإقرار به. ولا يمكن وجود أي عبودية وتكليف مولوي من دون معرفته. وبعبارة أخرى، فإنّ الهداية والوصول إلى أي شيء لا يعني وجود تكليف خاصّ تجاهه؛ أمّا معرفة الله ومعرفة النبي والإمام، ومعرفة أي موجود له حقّ عليّ، يستوجب تكليفاً قبالة، وأن أكون خاضعاً وخاشعاً له، وله شاكرّاً على فضله وإحسانه عليّ.

وبحصول الله سبحانه، يحكم العقل بوجوب شكره وطاعته والتسليم أمامه، ويستتبع الاستكبار والعصيان والتمرد على أمره. فما دامت المعرفة غير متحققة، لا يمكن لأيّ أحد أن يعبد الله. وفي هذه الصورة فلا معنى للعصيان والتمرد، كما لا معنى للطاعة والعبودية. مع تحقّق معرفة الله والانتباه إلى مقامه الشامخ، تتحقّق معاني الطاعة والتسليم والتصديق من جهة، والتكبر والعصيان والتمرد والإنكار من جهة

١. الليل (٩٢)، الآية ١٩.

٢. القصص (٢٨)، الآية ٥٦.

٣. البقرة (٢)، الآية ٢٧٢.

٤. النور (٢٤)، الآية ٣٠.

أخرى - وبشكل عام الإيمان والكفر - ومن خلال ذلك تتبين حقوق الأفراد تجاه بعضهم البعض؛ فحينما يُعرف المولى الحقيقي، يقدم المقرّين إليه على غيرهم في العبوديّة والإيمان والتقوى، فيكون الاستكبار عليهم استكباراً على الله عزّ وجلّ.

ومن جهة أخرى، فإن معرفة الله سبحانه والوصول إليه، من دون طريقه، أمر متعذر على الجميع، فليس للقوى المدركة لدى الإنسان - كما سيأتي - القدرة على معرفة الإله الحقيقي. حتّى الأنبياء والأولياء وعلى رأسهم النبي الأكرم ﷺ وأوصيائه ﷺ، غير قادرين على إيصال الناس إلى الله من دون تعريفه سبحانه له. وتبين الآيات الشريفة أنّ المعرفة والهداية الموصلة إليه إنّما هي من قبلة سبحانه، فلا بدّ أن يُعرّف الرب نفسه للعباد، وإلا فلن يعرفوه، ومن هنا فلم يكلّفوا معرفته أو السعي في الوصول إلى معرفته.

ومن الواضح أنّ التكليف بالمعرفة متفرّع على إمكانها، وما دام العباد لا يمكنهم الوصول إلى المعرفة، فإنّ السعي لها لا معنى له. ألفاظ مثل «هو»، «الله»، ونظائرها، تصبح ذات معاني حين تكون المعرفة متحققة لدى الإنسان، ويعرف الإنسان أنّ لفظ «هو» دالّ على من، ويعرف معنى لفظه «الله»؟ أمّا إذا لم يكن مقلّماً على ذنك الأمرين، فإنّ تكثيره بهذه الألفاظ سيكون أمراً بلا فائدة.

الأنبياء رسل الله، ومما لا شكّ فيه أنّهم وصلوا إلى مراتب عليا في معرفة الله سبحانه، ولكنهم أيضاً يعجزون عن هداية الخلق إلى الله وإيجاد المعرفة في قلوبهم - من دون تعريف الله نفسه - ومن خلال هذه النقطة يتبين لنا أنّ معرفة الرب والاهتداء إليه لا يكون إلّا به، ولا يمكن لأحد - حتّى الأنبياء - أن يساهموا في أمر المعرفة.

ومن هنا، فإنّ الآيات التي نحن بصددّها، تتطابق تماماً مع روايات «معرفة الله بالله» التي تحصر طريق معرفته سبحانه بتعريفه هو، وهي تأكيد على عدم وجود سبيل للمعرفة سوى الله ذاته.

فمعرفة الله سبحانه منحصرة في فعله، لا يقدر أحد أن يوجد هذه المعرفة، لا الأنبياء

والهداة إلى الله، بل ولا العقل والفكر الإنساني. نعم، لهؤلاء دور هام في الوصول إلى هذه المعرفة - التي هي فعل الله - وليس وجودهم مساوٍ لعدمهم، فالإنسان يحصل على المعرفة بعقله، يعني أن الله يهب له العقل، ومن ثم يُعرّف نفسه للإنسان العاقل، وحينها فإن الإنسان العاقل مع تلقّيه تعريف الرب، يؤمن أو يكفر.

الإنسان العاقل في هذه الدنيا، وانطلاقاً من السنن الإلهية، ينال هذه المعرفة من خلال تذكير الأنبياء وتعاليمهم، تلك المعرفة التي تستتبع وعي الإنسان، وتجعله مكلفاً أمام الرب سبحانه. فمن كان بعيداً عن تعاليم الأنبياء وتذكيراتهم، لا يمكنه الوصول إلى معرفة الله، لأن الحجب التي رانت على فطرته لا تزال غير مرتفعة، أي إن المعرفة لا تكون واضحة عنده، فيبقى في حالة الغفلة والنسيان من أمر الخالق عز وجل.

ومن هنا فإن أفراداً كهؤلاء لا يمكنهم وصفهم بالإيمان ولا بالكفر، بل حسب صريح الروايات، يُدعون «ضالّين»^١.

١-٢. خروج معرفة الله عن قدرة الإنسان

قال الله تعالى:

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^٢

﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^٣

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاتَهَا﴾^٤

القدرة على الإتيان بالتكليف، من الشروط العامة لجميع التكاليف. فتكليف الإنسان على ما لا يقدر عليه يعدّ أمراً قبيحاً لا يصدر من أيّ عاقل. المعرفة والهداية فعل

١. قد مرّ البيان التفصيلي لهذه النقطة في مبحث فطرة المعرفة.

٢. البقرة (٢)، الآية ٢٨٦.

٣. الأنعام (٦)، الآية ١٥٢.

٤. الطلاق (٦٥)، الآية ٧.

محصور بالله سبحانه وتعالى، حيث لم يجعل الله لأحد طريقاً إلى ذلك، وكل القوى المدركة لدى المرء، عاجزة عن الوصول إليه؛ فتكليف الإنسان بمعرفة الله تكليف بما لا يطاق. وعليه، فإن من المصاديق الواضحة للآيات السابقة، معرفة الله سبحانه.

نعم، الآيات لوحدها لا تدل على أن المعرفة صنع الله عز وجل؛ ولكن الروايات التي وردت في تفسير إحدى الآيات، والتي ستأتي فيما يلي، تشير إلى أن الآية ناظرة أيضاً - إلى معرفة الله عز وجل.

٢. الروايات

٢-١. عن عبد الأعلى، سألت الإمام الصادق عليه السلام:

أصلحك الله هل جعل في الناس أداة ينالون بها المعرفة؟

قال: فقال لا.

قلت: فهل كلّفوا المعرفة؟ قال: لا. على الله البيان ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ و ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا آتَاهَا﴾^١.

٢-٢. قال الإمام الصادق عليه السلام:

لَمْ يُكَلِّفِ اللَّهُ الْعِبَادَ الْمَعْرِفَةَ، وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ إِلَيْهَا سَبِيلًا^٢.

في هذين الحديثين، نفى مطلقاً للتكليف بالمعرفة. وفي الحديث الثاني تصريح بأن الله سبحانه، لم يجعل لعباده سبيلاً إلى معرفته، واستناداً إلى هذا النص، فإن المعرفة ليست أثراً أو لازماً لأي شيء، فليس لأحد أن يدعي إمكانية وجود طريق يوصل سالكه إلى المعرفة جزئاً، بل كل الطرق - سوى مشيئة الله عز وجل - بالتجاه المعرفة مغلقة.

في الحديث الأول إشارة إلى أن الله لم يجعل طريقاً للوصول إليه، بل إن الإنسان

١. الكافي، ج ١، ص ١٦٣، ح ٤٥ التوحيد، ص ٢١٤، ح ١١ المحاسن، ج ١، ص ٢٧٧، ح ١٢٩٢ بحار الأنوار، ج ٥، ص ٣٠٢، ح ١٠ (الباب ١٤ من أبواب العلل من كتاب العلل والمعاد).

٢. المحاسن، ج ١، ص ١٩٨، ح ٢٢٦ بحار الأنوار، ج ٥، ص ٢٢٢، ح ٥ (الباب الخامس من أبواب العلل من كتاب العلل والمعاد).

لا يملك أية آلة وقوة يمكنه بها أن يصل إلى المعرفة. فكل القوى التي وهبها الله للإنسان، عاجزة عن إيصاله إلى المعرفة.

فعليه سبحانه أن يبين لعباده ويعرف نفسه، حتى يفتح سبيل التكليف، وإن لم تتحقق تلك المعرفة فلا مجال للتكليف.

فالمراد من المعرفة ليس أمراً عاماً يشمل كل معرفة، بل هي تلك المعرفة التي تكون منشأاً للتكاليف، ومعلوم أن معرفة الله تكون على رأسها. إضافة إلى أن نفي إمكانية الآلات عن الوصول إلى المعرفة، يكشف لنا المراد منها، بأنها معرفة الله سبحانه؛ إذ إن معرفة الأمور الحسية، يتم بالحواس الخمس، ومعرفة الأمور العقلية يمكن بالعقل، وهذه تعدّ وسائل والآلات لتلك المعارف، ووحدها معرفة الله سبحانه، التي لا وجود لآلة موصلة إليها لدى الإنسان.

إن خالق القوى المدركة للبشر لا يمكن أن يحاط بما خلق، والتعريف وحده هو الطريق الموصل إلى المعرفة.

٣-٢. قال الإمام الصادق عليه السلام:

إِنَّ أَمْرَ اللَّهِ كُلَّهُ عَجِيبٌ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ احْتَجَّ عَلَيْكُمْ، بِمَا قَدْ عَرَفْتُمْ مِنْ نَفْسِهِ.^١
وقد ورد هذا النص في كتاب المحاسن بسند آخر هكذا:
إِنَّمَا احْتَجَّ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ بِمَا آتَاهُمْ وَعَرَفَهُمْ.^٢

٤-٢. قال حمزة الطيار، قال لي الإمام الصادق عليه السلام: اكتب، ثم أملئ:

أَنْ مِنْ قَوْلِنَا إِلَى اللَّهِ يَحْتَجُّ عَلَى الْعِبَادِ بِالَّذِي آتَاهُمْ وَعَرَفَهُمْ.^٣

الأحاديث المذكورة أيضاً تؤكد على كون المعرفة فعل الله سبحانه وتعالى، ففي

١. للكافي، ج ١، ص ٨٦، ح ٤٣؛ إنبات الهداية، ج ١، ص ٦٧، ح ١٢؛ مرآة العقول، ج ١، ص ٢٠٧، ح ٤.

٢. المحاسن، ج ١، ص ٢٣٦، ح ١٢٠٢؛ بحار الأنوار، ج ٥، ص ٢٠١، ح ٥؛ الباب ١٢ من أبواب العدل من كتاب العدل.

٣. الكافي، ج ١، ص ١٦٢، ح ١٢٠٢؛ المحاسن، ج ١، ص ٢٣٦، ح ١٢٠٢؛ بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٨١، ح ٢٦ (الباب ٣٣ من أبواب العلم... من كتاب العقل والعلم).

البدء لابد أن يُعرَف نفسه لعباده، ومن ثمَّ يحتج عليهم، وما دامت المعرفة لم تتحقق من قبَله، فإنَّ الحجة لم تكتمل على الخلق.

قد بيَّنا في الدروس السابقة، أنَّ هذه المعرفة، التي هي من قِبَل الله سبحانه، ابتدئت في العوالم السابقة، في تلك العوالم عرَف الباري نفسه لعباده، وقد أخذ العهد منهم على تلك المعرفة، وجعل حقيقة هذه المعرفة في وجود كلِّ واحد منهم. وأتمَّ الخالق الحجة على عباده بهذه المعرفة.^١

ولكن - ويتعمَّد - أنسى الرب عباده تلك المعرفة والعهد عليها. الآن ولكي يتمَّ الحجة عليهم في هذه الدنيا أيضاً لابدَّ أن يحيي تلك المعرفة في قلوبهم مرة أخرى، وفي الدنيا أيضاً يتمَّ هذا الأمر عبر الأنبياء والأوصياء واستمرار تعاليمهم، بحيث لو لم تصل تعاليم النبي لأحد، فإنَّ الحجة لا تكتمل عليه.

٥٢. عن عبد الرحيم القصير قال:

كتبت على يدي عبد الملك بن أعين إلى أبي عبد الله عليه السلام بمسائل فيها أخبرني عن الله عزَّ وجلَّ هل يوصف بالصورة و بالتخطيط فإن رأيت جعلني الله فداك أن تكتب إليَّ بالمذهب الصحيح من التوحيد فكتب عليه السلام بيدي عبد الملك بن أعين:

سَأَلْتُ عَنْ الْمَعْرِفَةِ مَا هِيَ؟ فَأَعْلَمَ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ الْمَعْرِفَةَ مِنْ صُنْعِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقَلْبِ تَخْلُوقُهُ وَالْمُجْهُودُ صُنْعُ اللَّهِ فِي الْقَلْبِ تَخْلُوقٌ وَلَيْسَ لِلْعِبَادِ فِيهِمَا مِنْ صُنْعٍ وَهَمَّ فِيهِمَا الْإِخْتِيَارُ مِنَ الْإِكْتِسَابِ فَيَشْهَوْنَهُمُ الْإِيمَانُ اخْتَارُوا الْمَعْرِفَةَ فَكَانُوا بِذَلِكَ مُؤْمِنِينَ عَارِفِينَ وَيَشْهَوْنَهُمُ الْكُفْرُ اخْتَارُوا الْمُجْهُودَ فَكَانُوا بِذَلِكَ كَافِرِينَ جَاهِلِينَ ضَلَالًا وَذَلِكَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ لَهُمْ وَخِذْلَانٍ مِنْ خِدْلَةِ اللَّهِ، فَبِالْإِخْتِيَارِ وَالْإِكْتِسَابِ عَاقَبَهُمُ اللَّهُ وَأَثَابَهُمْ.^٢

١. قال الرضا عليه السلام: «بالطهارة ثبت حقيقة». الفهرست، ص ٣٥، ح ١٢ عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ١٥١، ح ١٥١.

الأمالي مفيد، ص ٢٥٢، ح ١٢ الاحتجاج، ج ٢، ص ٣٩٩.

٢. التوحيد، ص ٢٢٧، ح ١٧ بحار الأنوار، ج ٥، ص ٣٠، ح ٣٩ (الباب الواحد من أبواب العدل من كتاب العدل والمعاد).

يبدو أن المعرفة والجحود في هذه الرواية يتناسب وطريق الخير والشر الوارد في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَا السَّبِيلَ إِنَّمَا شَاكَرُوا وَإِنَّمَا كَفَرُوا﴾^١. إن الله سبحانه دل الإنسان على طريقَي الخير والشر، وأوجد معرفتهما في قلب الإنسان، ثم أعطاه الحرية في اختيار أيهما شاء. وفي النتيجة سيختار أحدهما بإرادته، والإيمان والكفر يتوافقان مع اختياره. فإن اختار طريق الشر والغي، صار كافراً، وإن اختار طريق الخير والعبودية، كان مؤمناً، وبعبارة أخرى، إن ما هو فعل الله سبحانه يكون منشأً للإيمان والإنكار لدى الإنسان، وليس ذات الإيمان والإنكار واعتبار الأمر فعلاً لله يكون بالنظر إلى المنشأ.

والنقطة الأساسية التي تشير إليها الرواية، أن معرفة طريق الله، وطريق إبليس، إنما هو من عند الله سبحانه وتعالى، يجعله الله في قلوب عباده، ومن البديهي أن معرفة الطريق (أي طريق الله) من دون معرفة الله أمراً لا معنى له، وبهذا التقريب دلت الرواية بالملازمة على أن معرفة الله إنما تحصل بفعله ولا بد أن يعرف الله نفسه قبل تعريف طريقه للإنسان كي يعرف الإنسان طريق الله ويسير فيه بعميله ورغبته.

٢-٦. عن سليم بن قيس:

قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا الْإِيمَانُ وَمَا الْإِسْلَامُ؟
قَالَ ﷺ: أَمَّا الْإِيمَانُ فَالْإِقْرَارُ بِالْمَعْرِفَةِ، وَالْإِسْلَامُ فَمَا أَقْرَبْتُ بِهِ وَالْتِسْلِيمُ
وَالطَّاعَةُ لَهُمْ.^٢

قُلْتُ: الْإِيمَانُ الْإِقْرَارُ بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ بِهِ؟

قَالَ ﷺ: مَنْ عَرَفَهُ اللَّهَ نَفْسَهُ وَنَبِيَّهُ وَإِمَامَهُ، ثُمَّ أَقْرَبَطَاعَتِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ.

قُلْتُ: الْمَعْرِفَةُ مِنَ اللَّهِ وَالْإِقْرَارُ مِنَ الْعَبِيدِ؟

قَالَ: الْمَعْرِفَةُ مِنَ اللَّهِ [دُعَاءٌ] وَحُجَّةٌ وَ[مِنَّةٌ وَنِعْمَةٌ] وَالْإِقْرَارُ [مِنْ اللَّهِ] قَبُولٌ

١- الإنسان (٧٦)، الآية ٣.

٢- أي: الأنبياء والرسل (المؤلف).

العبد - يَتَّقُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَالْمَعْرِفَةُ صُنْعُ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْقَلْبِ وَالْإِقْرَارِ
[فَعَالَ الْقَلْبِ] مِنَ اللَّهِ وَعِصْمَتُهُ وَرَحْمَتُهُ.^١

في هذا الحديث - أيضاً - بيان واضح بأن المعرفة إنما هي صنع الله عز وجل،
وإن أقرار العبد وتسليمه وتوفيق من الله عز وجل أيضاً.

٣. ملخص الدرس

- الهداية وإعطاء المعرفة على الله عز وجل.
- الحصول على المعرفة بالقوى المدركة أمر مستحيل.
- التكليف بكسب معرفة الله، تكليف بما لا يطاق.
- للأتبياء وتعاليمهم دور هام في إيصال العباد إلى معرفة الله - التي هي صنع الله - .
- من ابتعد عن هدى الأتبياء تبقى فطرته محجوبة بحجب الغفلة والنسيان،
وهؤلاء يبقون في متاهات الغفلة والنسيان بالنسبة إلى معرفة الله عز وجل.
- كل الطرق إلى معرفة الله مغلقة، سوى مشيئته جل وعلا.
- ما أودع الله في الإنسان من قوى مدركة، تبقى عاجزة عن إيصال الإنسان إلى
معرفة الله سبحانه.
- يحتاج الله على عباده، بما عرفهم من نفسه.
- بيان طريق الهدى والضلال فعل الله عز وجل، أما انتخاب أحدهما فهو فعل
العباد.

٤. اختبار ذاتي

١. ماذا تستفيد من الآية ﴿إِنَّ ظَلِيلَنَا لِلْهُدَى﴾ ؟ بين ذلك مفصلاً.
٢. هل كلف العباد تحصيل معرفة الله عز وجل ؟ أجب بالتفصيل.
٣. ما هو دور الأتبياء في المعرفة ؟ وما هي عواقب الابتعاد عن تعاليمهم ؟

١. كتاب سليم بن قيس الهلالي، ج ٢، ص ٦١٠، ح ١٧ بحواله الكفوي، ج ٢٥، ص ٢٨٨، ح ٢٦ (الباب ٢٢ من أبواب الإيمان والكفر من كتاب الإيمان والكفر).

٣. «إِنَّ اللَّهَ يَحْتَجُّ عَلَى الْعِبَادِ بِمَا آتَاهُمْ وَعَرَّفَهُمْ» أشرح ذلك؟

٥. المعرفة والجحود فعل الله، ماذا يعني ذلك؟

٦. ما المراد من الإيمان في النص التالي «من عرفه الله نفسه ونبيّه وإمامه ثم أقرّ بطاعته فهو مؤمن»؟

١٣ الدرس الثالث عشر

المعرفة صنع الله (٢)

- تعلّق الإيمان والكفر على إعطاء المعرفة
- المعرفة ليست اكتسابيّة
- عجز الخلاق عن كسب المعرفة
- محضلة النصوص المذكورة
- الهداية والمعرفة الأولى والثانوية





مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تلميح

بعد الانتهاء من الدرس يتوقع من الطالب أن يعرف أن العباد لا يقدرّون على كسب معرفة الله، بل هي ليست أمراً اكتسابياً، وإيمان الناس وكفرهم إنما يعتمد على إعطاءهم المعرفة. على الطالب أن يتعرف على الهداية الأولى والثانية، ويعرف معنى درجات المعرفة وزيادتها.

ذكرنا في الدرس الثاني عشر بعض الآيات والروايات، الدالة على كون المعرفة صنع الله، وتمّ مناقشتها. وفي هذا الدرس، سنذكر روايات أخرى ونجمعها في أبواب، ويعد ذلك سنتحدث عن مراتب المعرفة.

١. تعلّق الإيمان والكفر على إعطاء المعرفة

قال سليم بن قيس: مثل رجل أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: ما أدنى ما يكون به الرجل مؤمناً وأدنى ما يكون به كافراً وأدنى ما يكون به ضالاً؟

قال: قد سألت قاسم الجواب. أدنى ما يكون به مؤمناً أن يُعَرِّفَهُ اللهُ نَفْسَهُ، فَيَعْرِفَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَالْوَحْدَانِيَّةِ؛ وَأَنْ يُعَرِّفَهُ نَبِيَّهُ، فَيَعْرِفَهُ بِالنَّبُوءَةِ وَالْبَلَاغَةِ؛ وَأَنْ يُعَرِّفَهُ حُجَّتَهُ فِي أَرْضِهِ وَشَاهِدَهُ عَلَى خَلْقِهِ، فَيَعْرِفَهُ بِالطَّاعَةِ....

وَأَدْنَى مَا يَكُونُ بِهِ كَافِرًا أَنْ يَكْذِبَ بَشْيءٍ، فَيَزْعُمَ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُ بِهِ بِمَا نَهَى
 اللَّهُ عَنْهُ، ثُمَّ يَنْصِبُهُ دِينًا فَيَكْتَبِرُ وَيَتَكَوَّنُ أَكْثَرُ أَهْلِهِ يَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي أَمَرَهُ بِهِ.
 وَأَدْنَى مَا يَكُونُ بِهِ ضَالًّا أَنْ لَا يَعْرِفَ حُجَّةَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ وَشَاهِدَهُ عَلَى
 خَلْقِهِ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِطَاعَتِهِ وَفَرَصَ وَلَئِيتِهِ^١.

في هذا الحديث تصريح من الإمام عليه السلام على ضرورة كون المعرفة من قِبَلِ الله سبحانه، ووصولها إلى الإنسان بمشيئته عز وجل، وبعد المعرفة تكون أدنى مراتب الإيمان التي هي فعل العباد، الإقرار بمحتوى التعريف الإلهي، والاعتراف بالربوبية والتوحيد، وكذا النبوة والإمامة.

كذلك نرى في تعريف أدنى مراتب الضلال، أن لا يأتي التعريف من عند الله سبحانه وتعالى.

المراد من «لا يعرف حجة الله» نفي المعرفة القصورية، أي عدم إمكان المعرفة بالنسبة إليه، بأن لم يجعل الله سبحانه صنعه «المعرفة» بالنسبة إلى هذا العبد بشكل فعلي، ولم يعترفه حجته. فعدم الإقرار هنا بسبب عدم وصول التعريف الإلهي إليه، وفي الحقيقة تكون القضية سالبة بانتفاء الموضوع.

٢. المعرفة ليست اكتسابية

عن أبي بصير قال: سئل الإمام الصادق عليه السلام أنه مثل عن المعرفة:
 أَهِيَ مُكْتَسِبَةٌ؟ فَقَالَ: لَا.

فَقِيلَ لَهُ: فَمِنْ صُنْعِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمِنْ عَطَائِهِ هِيَ؟

قَالَ: نَعَمْ وَلَيْسَ لِلْعِبَادِ فِيهَا صُنْعٌ، وَهُمْ اِكْتِسَابُ الْأَعْمَالِ^٢.

كسابقه، يجعل النقص المعرفة فعلاً لله سبحانه وتعالى بصورة مطلقة، ومن

١. كتاب سليم بن قيس الهلالي، ج ٢، ص ٦١٥، ح ١٨٠ (راجع الكافي، ج ٢، ص ٢١٢ - ٢١٥، ح ١٤) بحوالا الكشيور، ج ٦٦،

ص ١٧، ح ٣ (الباب ٢٩ من أبواب الإيمان من كتاب الإيمان والكفر).

٢. التوحيد، ص ٢١٦، ح ١١٥ (إلياءات الهلالية، ج ١، ص ٧٠، ح ٢٩).

المعروف أن الإنسان بحاجة إلى معرفة في أي عمل من الأعمال، فيتبين من خلال ذلك، أن الله سبحانه لو أراد تكليف عبد من عباده بتكليف ما، فلا بد أن يرزقه المعرفة قبل ذلك، وإلا فإن التكليف بالأمر سوف يكون بما لا يطاق.

كذلك في حال صدور ذلك الفعل من العبد - إن لم يكن بالمعرفة - فإن نسبة العمل إليه سيكون مشكلاً فلا يسمى كسباً. ويديهى أن معرفة الله سبحانه تكون قبل كل المعارف، ومتى ما لم تتحقق هذه المعرفة فإن التكليف سيكون لغواً.

قال الإمام الصادق (ع):

سِتَّةُ أَشْيَاءَ لَيْسَ لِلْعِبَادِ فِيهَا صُنْعٌ: الْمَعْرِفَةُ وَالْجَهْلُ وَالرِّصَا وَالْقَصَبُ وَالنُّوْمُ وَالْيَقَظَةُ^١.

عن محمد بن حكيم: قلت لأبي عبد الله الصادق (ع):

المَعْرِفَةُ مِنْ صُنْعٍ مَنْ هِيَ؟ قَالَ: مَنْ صُنِعَ اللَّهُ، لَيْسَ لِلْعِبَادِ فِيهَا صُنْعٌ^٢.

في هذين النصين، عَدَّ الإمام الصادق (ع) المعرفة (مطلقاً) صنْعاً لله عز وجل. فلا مجال للشك والتردد في أن جميع المعارف إنما تعطى لنا من ناحية الله سبحانه وتعالى، ولكن السؤال هو: هل جميع المعارف في مستوى واحد وصنع واحد؟ وهل إن جميع المعارف يعطيها الله لنا بصورة واحدة؟

من الواضح أن الله سبحانه وتعالى جعل لبعض المعارف أسباباً ووسائل، يمكن للإنسان من خلال استعمالها بلوغ المعرفة، أي يعطيه الله معرفة تلك الأمور، ومن الممكن أن نقول في مثل هذه الأمور: نسبة الفعل إلى الله سبحانه فيها، من جهة أنه هيأ لنا الأسباب والأدوات الموصلة إليها، لا أن يكون الله قد أوجد ذلك الفعل في الناس، فمثلاً لمعرفة الأمور الحسّية، وهب الله المخلوق الحواس، فلو استفاد منها

١. الكافي، ج ١، ص ١٦٤، ح ١٤/التوحيد، ص ٢١١، ح ١٥/المحاسن، ج ١، ص ١٠، ح ١٢٩/بحار الأنوار، ج ٥، ص ٢٢١، ح ٢ (الباب التاسع من أبواب العدل من كتاب العدل والمعاد).

٢. الكافي، ج ١، ص ١٦٣، ح ١٢/التوحيد، ص ٢١٠، ح ١.

الإنسان - مع نور العلم الذي أعطاه الله إياه - يصير عالماً بالأمور الحسنية.

ولا يخفى أن الله سبحانه قادر على إعطاء هذه المعارف من دون الحاجة إلى الحواس، ولكن سنة الله سبحانه تقتضى أن يصير الإنسان عالماً بالمحسوسات - بنور العلم المعطى له منه - عبر الاستفادة من الحواس.

وهذا الأمر الذي قلناه بالنسبة إلى الحواس الظاهرية، يصدق على الحواس الباطنية وسائر القوى المدركة للإنسان أيضاً، وأعلى من هذه كلها، نور العلم والعقل اللذان يكون الكشف ذاتياً لهما، وحين يرزق الله أحداً هذا النور، فبمقدار ما يكون العبد واجداً له يكون واجداً للكشف، يعني امتلاكه لنور العقل عين المعرفة والعلم، وحيث كان العقل والعلم عطاء الله، كانت المعرفة أيضاً كذلك.

ولكن ينبغي الالتفات إلى أن عطاء الله نور العلم والعقل لأحد لا يعني عطاءاً للعلم والمعرفة بشيء خاص، إذ المعرفة المضافة إلى شيء خاص يكون بفعل الإنسان نفسه عبر الاستفادة من عطاء الله عز وجل. لكن بالنسبة إلى معرفة الله ومعرفة صفاته وأفعاله، فإن القوى المدركة لدى الإنسان - حتى نوري العلم والعقل - تعجز عن الوصول إليها؛ فلا مناص من أن يعطي الله سبحانه تلك المعرفة إلى عباده على نحو خاص.

فتبين لك الفرق بين عطاء الله للمعرفة في ما يرتبط بمعرفته هو عز وجل، وفيما يرتبط بسائر الأمور.

٣. عجز الخلائق عن كسب المعرفة

عن صفوان، قال: قلت للعبد الصالح (موسى بن جعفر) عليه السلام:

هَلْ فِي النَّاسِ اسْتَطَاعَةٌ يَتَعَاظُونَ بِهَا الْمَعْرِفَةَ؟

قَالَ: لَا، إِنَّمَا هُوَ تَطَوُّلٌ مِنَ اللَّهِ.

فُلْكَ: أَمَلَهُمْ عَلَى الْمَعْرِفَةِ ثَوَابٌ إِذَا كَانُوا لَيْسَ فِيهِمْ مَا يَتَعَاظُونَ بِمَنْزِلَةِ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ الَّذِي أَمُرُوا بِهِ فَعَلُوهُ؟

قَالَ: لَا إِنَّمَا هُوَ تَطَوُّلٌ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَيَتَطَوَّلُ بِالثَّوَابِ.^١

الكلام في هذا النص، عن الثواب على المعرفة، ومن المعلوم أن المراد ليس مطلق المعرفة، بل تلك المعارف التي تستتبع التكليف والثواب. وبالقسط، يمكن القول بأن معرفة الله سبحانه على رأس هذه المعارف.

وينبغي الإمام عليه السلام أي قدرة على المعرفة لدى الإنسان، بل هي صنع الله عز وجل، بالإضافة إلى ذلك فإن إعطاء الله سبحانه المعرفة ليس أمراً لازماً عليه، بل هو فضل منه وإحسان، كذلك الثواب على المعرفة هو مثله من الله سبحانه يمن به على خلقه فإنهم لا يستحقون أجراً أبداً.

قال معاوية بن حكيم، سألت الإمام أبا الحسن الرضا عليه السلام:

لِلنَّاسِ فِي الْمَعْرِفَةِ ضَنْعٌ؟ قَالَ: لَا.

قُلْتُ: لَهُمْ عَلَيْهَا ثَوَابٌ؟

قَالَ: يُتَطَوَّلُ عَلَيْهِمُ بِالثَّوَابِ كَمَا يُتَطَوَّلُ عَلَيْهِمُ بِالْمَعْرِفَةِ.^٢

ويدل هذا النص - كسابقه - على تطول الله بالمعرفة وتطوله بالثواب على العباد أيضاً.

قال الإمام الباقر عليه السلام:

لَيْسَ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَعْلَمُوا حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الْمُعَلِّمُ لَهُمْ؛ فَإِذَا عَلَّمَهُمْ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَعْلَمُوا.^٣

وهذا الحديث أيضاً يبين بوضوح أن المعرفة فعل الله وصنعه، وليس للعباد فيه صنع ولا تكليف.

١. المحاسن، ج ١، ص ٢٨١، ح ٤٢١؛ بحار الأنوار، ج ٥، ص ٢٢٣، ح ١٢ (الباب التاسع من أبواب العدل من كتاب العدل والمعاد).

٢. قرب الإسناد، ص ٣٢٧، ح ١٢٥٦؛ بحار الأنوار، ج ٥، ص ٢٢١، ح ١ (الباب التاسع من أبواب العدل من كتاب العدل والمعاد).

٣. المحاسن، ج ١، ص ٢٠١، ح ١٣٢؛ بحار الأنوار، ج ٥، ص ٢٢٢، ح ٩ (الباب التاسع من أبواب العدل من كتاب العدل والمعاد).

عن البرنطقي، قال قلت للإمام (عليه السلام):

أَصْلَحَكَ اللَّهُ إِنْ قَوْمًا مِنْ أَصْحَابِنَا يَزْعُمُونَ أَنَّ الْمَعْرِفَةَ مُكْتَسَبَةٌ، وَأَنَّهُمْ إِذَا نَظَرُوا مِنْ وَجْهِ النَّظَرِ أَذْرَكُوا، فَأَنْكَرَ (عليه السلام) ذَلِكَ.^١

٤. محضلة النصوص المذكورة

١. هذه المجموعة من النصوص، كالروايات في باب معرفة الله بالله، تنفي أي معرفة من قِبَل غير الله عز وجل.
٢. معرفة الله فعل مباشر له عز وجل، وليس للعباد أي وسيلة للوصول إليها.
٣. ليس لأحد القدرة للوصول إلى معرفة الله عز وجل.
٤. ليس هناك طريق لدى الخلق للوصول إلى المعرفة إلا الطريق الذي جعله الله عز وجل.
٥. معرفة الله صنع الله عز وجل، ويتناول على العباد بإعطائهم المعرفة، ومضافاً إلى ذلك يتناول عليهم بالشواب عليها.
٦. إعطاء المعرفة ليس أمراً لازماً على الله عز وجل، بل هو مئة وتفضل منه على عباده وهذا الأمر ليس واجباً عليه ولا الخلق يستحق ذلك.
٧. كل عبد كلف بشيء من قِبَل الله سبحانه، فلا بد أن يكون قادراً على أدائه، ولأن المعرفة أمر خارج عن اختيار البشر، فليس هناك من هو مكلف بها.
٨. أي تكليف من قِبَل الله سبحانه موقوف على المعرفة أولاً، فإذا لم يعرف العبد ربه، ليس على عاتقه أي تكليف.
٩. تختلف معرفة الله عن سائر المعارف، رغم أنها جميعاً من عند الله عز وجل، ولكن في سائر المعارف يهتدي الرب الأسباب والأدوات الموصلة إلى المعرفة،

١. أي نظروا عبر الطريق الصحيح. (المؤلف)

٢. محراب الإسناد، ص ٣٥٦، ح ١٢٧٢؛ بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ١٠١، ح ٥٨ (الباب ٣٧ من أبواب أحواله... من كتاب

فيُتبعها الإنسان ويوصل عبرها إلى المعرفة عن طريق قِوَاة الإدراكية، ولكن بالنسبة إلى معرفة الله سبحانه فتعجز القوى المدركة لديه، ولا بد أن يعرّف الله نفسه.

١٠. بعد أن يعرف الله نفسه للعباد، عليهم أن يحافظوا على هذه المعرفة والعمل على أساس العبودية والخضوع له، لتستمر هذه المعرفة أولاً ويزيدها الله سبحانه وتعالى.

٥. الهداية والمعرفة الأولى والثانوية

كان الحديث فيما سبق عن أن معرفة الله فعله عز وجل، فلا بد أن يعرف نفسه للعباد. والآن نقول أن هذه المعرفة - التي هي صنع الله - لها درجات^١ وترتب بعض التكاليف المعيّنة على كل مرتبة من تلك المراتب.

أما المرتبة الأولى فهي المعرفة الابتدائية التي يعطيها الرب لجميع عباده، وحينها على كل من اعطاه الله هذه المعرفة أن يخضع لله سبحانه ويظهر العبودية ويقوم بوظائفها، ويأذعانه وخشوعه لله عز وجل فإنه يعلن شكره لهذه النعمة العظيمة - أي نعمة المعرفة -

من جهة أخرى كتب الله على نفسه، أن يزيد على من شكر نعمته، فتستتبع الطاعة والتسليم مراتب أخرى من المعرفة التي يتفضل الله بها على العباد، وتلزم كل معرفة شكراً خاصاً وتكليفاً جديداً. وبسبب الشكر والطاعة يزداد العبد قرباً إلى الله عز وجل ويزداد معرفة به سبحانه. ويوصل إلى مرتبة لا يغفل العبد عنه، ويرى نفسه في كل حال محتاجاً ومفتقراً إليه، ولا يرى شيئاً مستقلاً عن الله سبحانه وتعالى.

وفيما يلي نشير إلى بعض الآيات التي تذكر نوعي المعرفة:

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِنَّمَا شَاكَرَ وَإِنَّمَا كَفُورًا﴾^٢

١. المقصود من كون المعرفة ذا درجات ومراتب أن المرتبة الثانية مترتبة على المرتبة الأولى حرماً أشار إليه القرآن الكريم من زيادة المعرفة بقوله: «وَاللَّيْنِ اخْتَلَفُوا وَاتَّخَذُوا عَدُوًّا» (محمد (٣٧)، الآية ١٧) فكيف تزداد المعرفة؟ هل المراد الشدة والضعف والكمال والنقص والظهور والإيهام أو الظهور والأظهرية وأفعال ذلك؟ الظاهر أن المراد من زيادة المعرفة التي هي فعل الله ليست هذه الأمور لأنها تكون في المعرفة الإحاطية والتي تكون عن طريق الأسباب ومعرفة الله لا تسامع الموارد المذكورة فإنها فعل الله وفعل الله لا يكتفى. (المؤلف)

يمكن حمل الآية على المعرفة الأوليّة، ولكن من خلال ما سبق ذكره يمكن أن نصل إلى أن الآية تشير إلى كلا الموردين، إذ أن كل مرتبة من المعرفة تلزم تكاليف خاصّة بالنسبة إلى العارف بها يعتبر شكراً لتلك المرتبة، وعدم الإتيان بالتكليف يعدّ كفراً بتلك النعمة، وعليه يمكن حمل الآية على الهداية بشكل مطلق.

ويبدو أن أكثر الآيات التي تشير إلى المعرفة الابتدائية (الأوليّة)، تتحدّث عن المعرفة الفطريّة.

والآيات التالية تشير إلى المرتبة الثانية من المعرفة؛ قال الله تعالى:

﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾^١

﴿الَّذِينَ جَاهَلُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^٢

﴿وَيَهْدِ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾^٣

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾^٤

﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^٥

لا تدلّ الآية الأخيرة على المعرفة الثانويّة بشكل مباشر، ولكن مع الالتفات إلى أن قبول الهداية والمعرفة يعدّ شكراً لتلك النعمة، فإن الشكر يلزم زيادة النعمة بنصّ الآية المباركة، كما أكّدت الآيات السابقة على زيادة الهدى للمهتدي.

ويقول ربنا سبحانه في آية أخرى:

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾^٦

ذكر الله عباده، ليس إلّا لطفاً وكرماً وإحساناً وإزدياداً لنعمة المعرفة، وقرباً منه سبحانه. ويذكر العبد ربه حينما يعرّف الله نفسه له.

١. الصافات (٦٢)، الآية ١١.

٢. العنكبوت (٢٩)، الآية ٦٩.

٣. مريم (١٩)، الآية ٧٦.

٤. محمّد (٢٧)، الآية ٧٦.

٥. إبراهيم (١٢)، الآية ٧.

٦. البقرة (٢)، الآية ١٥٢.

وَيُعَلِّمُ اللَّهُ عِبَادَهُ فِي سُورَةِ الْحَمْدِ، أَنْ يَطْلُبُوا الْهَدَايَةَ وَالْمَعْرِفَةَ مِنْ رَبِّهِمْ، مَهْمَا يَبْلُغُوا مِنْ دَرَجَاتِهِ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.^١

يقول الإمام الرضا (عليه السلام) في تفسير هذه الآية:

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ اسْتِرْشَادٌ لِأَكْبَدِهِ وَاعْتِصَامٌ بِخَيْلِهِ وَاسْتِزَادَةٌ فِي الْمَعْرِفَةِ بِرَبِّهِ وَتَعْظُمَتِهِ وَبِكِبَرِيَّتِهِ.^٢

فالمؤمن - في أي درجة كان في إيمانه - فإنه يطلب المزيد من ربه سبحانه، وأدب الحضور في محضره عز وجل.

وهكذا تبين أن المعرفة في أي درجة ومرتبة منها، تبقى فعلاً لله سبحانه، مع هذا الاختلاف بأن المرتبة الأولى تفضل محض من الله، إذ لم يتعهد الله عز وجل إعطاءها، ولكن في المراتب الأخرى فإن تسليم العبد وشكره لنعمة المعرفة، يستتبع المزيد لوعده الله عز وجل بإعطاء المزيد لمن شكر أنعمه واهتدى بهديه.

٦. ملخص الدرس

- أدنى مراتب الضلال أن لا يعرف الله نفسه.
- لا بد من المعرفة قبل أي فعل، فلو كان العمل من دون معرفة فلا ينسب الفعل إلى من صدر منه الفعل.
- كل المعارف من الله سبحانه، وقد جعل الله لبعضها أسباباً ووسائل.
- نور العلم والعقل عطاء الله سبحانه، وعليه فإن المعرفة أيضاً عطاء الله عز وجل.
- إعطاء نور العلم والعقل ليس يعني عطاءً يعلم خاص ومعرفة خاصة.
- كما أن المعرفة فضل وإحسان من الله سبحانه، كذلك إعطاء الثواب في قبالتها إحسان آخر منه عز وجل.

١- الفتاوى (١)، الآية ٦.

٢- صيغ أخبار الرضا (ع)، ج ٢، ص ١٠٢، ح ١١؛ بحار الأنوار، ج ٦، ص ٦٨، ح ١ (الباب ٢٣ من أبواب العقل من كتاب العدل والمعاد).

• للمعرفة - التي هي فعل الله - مراتب ودرجات، وتترتب على كل مرتبة منها تكاليف خاصة.

• للوصول إلى المراتب العليا من المعرفة لابد من المرتبة الأولى.

• إعطاء المرتبة الأولى من المعرفة ليس لازماً على الله سبحانه، ولكن إعطاء المراتب العليا وعد من الله سبحانه لمن آمن وسلّم وخضع للمعرفة الأولى.

٧. الاختيار ذاتي

١. «أدنى ما يكون به ضالاً أن لا يعرف حجة الله في أرضه...» اشرح هذه العبارة.

٢. المعرفة بشيء خاص، هل هي فعل الله أم يستند إلى فعل الإنسان؟ (أجب كاملاً).

٣. اشرح العبارة التالية «نور العلم والعقل عطاء الله سبحانه، وعليه فإن المعرفة أيضاً عطاء الله عز وجل».

٤. هل للعبد على المعرفة - التي هي فعل الله - ثواب؟

٥. ما المراد بالمعرفة الأولى والمعرفة الثانوية؟

٦. هل إعطاء الدرجات العليا من المعرفة أمر لازم على الله سبحانه؟ (أجب مفصلاً).

٧. هل يلزم للوصول إلى المراتب العليا من المعرفة وجود المرتبة الأولى منها؟ (أجب مفصلاً).

١٤ الدرس الرابع عشر

المعرفة صنع الله (الروايات المتعارضة ظاهراً)

- المعرفة رأس الدين
- رأس العبادة، المعرفة
- الأمر الإلهي بكسب العلم والمعرفة
- المعرفة، أفضل الاعمال وأوجب الفرائض
- حلّ التعارض الظاهري بين فئتين من
التصوص، ووجه الجمع





مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تلميح

بعد الانتهاء من مطالعة الدرس يتوقع من الطالب أن يكون له فهم صحيح للروايات المتعارضة ظاهراً مع كون المعرفة صنماً لله سبحانه؛ ويعرف التفسير الصحيح لكون المعرفة أول الدين، وكذا يتعرف على المراد من الأمر الإلهي بكسب وتعلم المعرفة، وفي النهاية يكون قادراً على حل التعارض الظاهريين هذه المجموعة من النصوص.

من خلال دراسة الآيات والروايات التي مرّت في الدرسين السابقين، تبين لك بوضوح أن معرفة الله هي صنعه، ولم يكلف العباد المعرفة؛ بل على الله أن يُعرّف نفسه ومن ثم على العباد أن يقبلوا التعريف ويؤمنوا به. وفي رواية بريد بن معاوية عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام تصريح بهذا الأمر حيث قال عليه السلام:

كَيْسَ لِلّٰهِ عَلَى خَلْقِهِ أَنْ يَعْرِفُوهُ، وَلِلْخَلْقِ عَلَى اللّٰهِ أَنْ يُعْرِفَهُمْ، وَلِلّٰهِ عَلَى الْخَلْقِ إِذَا عَرَفَهُمْ أَنْ يَقْبَلُوهُ^١.

١. الكافي، ج ١، ص ١٦٢، ح ١.

ولابدّ إلى الالتفات إلى أن المعرفة سواء الأولى أو الثانوية، إنما هي صنع الله عزّ وجلّ وفعله، مع الفرق بأنّ في الابتدائية يعرف الله نفسه من دون وجود أيّ أرضية وسابقة يستحقّ بها الإنسان المعرفة، أمّا في المعرفة الثانوية فإن أرضيتها القبول والإيمان بالتعريف الابتدائي: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾^١. كما ينبغي الإشارة إلى أنّ الروايات قد تسمّى «الإيمان والقبول» بالمعرفة، وسنتحدّث عن هذا الأمر خلال البحث عن الروايات المتعارضة. يبدو أنّ الأمور السالفة قرائن تمكننا من الوصول إلى المعنى الصحيح للروايات التي سنتحدّث عنها، وتكون بمثابة حلّ للتعارض الموجود بين الفئتين.

١. المعرفة وأسس الدين

قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ.^٢

يدلّ هذا النصّ على أنّ معرفة الله أصل أصول الدين، حيث لا دين من دونه.

ونظير هذا الحديث مع اختلاف بسيط قد روي عن الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام)

والإمام الرضا (عليه السلام)، فقد قال الإمام الكاظم (عليه السلام):

أَوَّلُ الدِّيَانَةِ بِهِ مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ تَوْحِيدُهُ.^٣

وقال الإمام الرضا (عليه السلام):

أَوَّلُ الدِّيَانَةِ مَعْرِفَتُهُ وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ تَوْحِيدُهُ.^٤

وعنه (عليه السلام)، أيضاً:

١. محمّد (٢٧)، الآية ١٧.

٢. نهج البلاغة، الخطبة الكول، ص ١٣٩ بحار الأنوار ج ٢، ص ٢٢٧، ح ٥ (الباب الرابع من أبواب أسمائه تعالى... من كتاب التوحيد).

٣. الكافي، ج ١، ص ١٢٠، ح ٦.

٤. التوحيد، ص ٥٧، ح ١٢، بحار الأنوار ج ٢، ص ٢٨٥، ح ١٧ (الباب الرابع من أبواب أسمائه تعالى من كتاب التوحيد).

لَا دِيَانَةَ إِلَّا بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ وَلَا مَعْرِفَةَ إِلَّا بِالْإِخْلَاصِ^١.

هل يمكن أن يستفاد من هذه الروايات أن معرفة الله سبحانه، شأنها شأن سائر الأفعال العبادية، هي فعل للإنسان، فمن أراد أن يكون متعبداً فلا بد له أن يقوم أولاً بتحصيل المعرفة؟ وفي هذه الحالة ألا تتعارض هذه الروايات مع النصوص الدالة على أن المعرفة صنع الله سبحانه؟

مع الالتفات إلى مجموع النصوص، لابد أن نقول بأن المعرفة التي هي رأس الدين وأوله وأوّل خطوة في سبيل التدين، تختلف عن تلك المعرفة التي ذكرت في روايات صنع الله عز وجل، وإن قلنا إنها هي تلك المعرفة فلا بد أن تكون داخلة في ضمن وظائف العباد، بل لابد أن تكون خارجة عن مجموعة التعاليم العقائدية التي كلف العباد كسبها والحصول عليها.

ويمكن أن يكون المراد من المعرفة نفس المعرفة التي هي فعل الله عز وجل، ولكن الدين يكون أعم من فعل الإنسان وكسبه، أو المعرفة التي يوجدها الله سبحانه بفضله وجوده وإحسانه في العباد.

والحاصل، فإن كان المراد من المعرفة التي هي رأس الدين، معرفة الله عز وجل بتوسط وتذكير الأنبياء والرسل والحجج، فهي ستكون بالتالي من الله عز وجل، وبهذا التقريب فإن الروايات هذه لا تتعارض أبداً مع النصوص الدالة على أن المعرفة صنع الله عز وجل وفعله.

بالرغم من ذلك، فلا إشكال في القول باختلاف هذه المعرفة عن تلك المعرفة الواردة في الروايات التي مرّت عليك في الدروس السابقة، ذلك لأن بعض النصوص تطلق على «القبول» و«الإيمان» بالمعرفة التي أعطاها الله للخلق، تطلق عليها اسم المعرفة أيضاً.

١- (الاحتجاج، ج ٢، ص ١٢٠؛ التوحيد، ص ٢٠، ح ٢ وفيه (بعد معرفة) بها والكتاب، ج ٢، ص ٢٣٠، ح ٣) (الباب الرابع من أبواب أسماؤه تعالى... من كتاب التوحيد).

ومن ذلك يستفاد أن المعرفة قد وردت على معنيين في الروايات؛ الأول: فعل الله عز وجل الذي يوجده في عباده، والثاني: فعل العباد بقبول التعريف المعبر عنه بالتسليم والتصديق والإيمان.

مع هذا البيان، اتضح أن الروايات الدالة على أن المعرفة التي هي رأس الدين، تحتل كلا المعنيين، وعلى المعنيين لا تعارض بينها وبين النصوص الدالة على أن المعرفة صنع الله سبحانه.

٢. رأس العبادة، المعرفة

قال الإمام الرضا عليه السلام:

أَوَّلُ عِبَادَةِ اللَّهِ مَعْرِفَتُهُ^١.

ونظيره وصية النبي صلى الله عليه وآله لأبي ذر:

يَا أَبَا ذَرٍّ اعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ كُنْتَ لَا تَرَاهُ، فَإِنَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) يَرَاكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَ عِبَادَتِهِ الْمَعْرِفَةُ بِهِ، بِأَنَّهُ الْأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ فَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ، وَالْقَرْدُ فَلَا تَأْتِي مَقَعَهُ^٢.

المعرفة التي تعتبر أول العبادة ورأسها، كالمعرفة في المجموعة الأولى من النصوص تتناسب مع كلا المعنيين المذكورين هناك، ذلك لأن من أراد أن يعبد الله فلا بد أن يكون عارفاً به، سواء قلنا بكونها منه أو من عند الله عز وجل.

أما إذا كانت المعرفة داخلية في العبادة - كما هو ظاهر عبارة «أول عبادة الله» فتكون المعرفة التي هي الخطوة الأولى من العبادة جزءاً من العبادة - في هذه الصورة ستكون المعرفة فعل العبد لا صنع الله. وفي هذه الصورة يكون المراد من المعرفة هو التصديق والإقرار والإذعان والإيمان الذي يكون من جهة العبد تجاه التعريف الإلهي؛

١. التوحيد، ص ٣٢، ح ١٢؛ حبيب أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ١٥٠، ح ٥١.

٢. الأمالي (للمطوسي)، ص ٥٢٦، ح ١ [١١٦٢]؛ بهار التوحيد ج ٢٤، ص ٧٢، ح ٣ (الباب الرابع من أبواب المواظ والحكم... من كتاب الروضة).

وليس المراد منها أصل المعرفة الذي هو فعل الله سبحانه.

٣. الأمر الإلهي بكسب العلم والمعرفة

قال الله سبحانه:

﴿وَعَلَّمَ اللَّهُ لَهَ الْإِلَهِ إِلَّا اللَّهَ﴾^١

وقد كتب الشيخ الطوسي رحمته الله في تفسير هذه الآية:

«فاعلم» يا محمّد «أنّه لا إله إلا الله»؛ أي لا معبود يحقّ العبادة إلا الله. وفي ذلك دلالة على أن المعرفة بالله اكتساب؛ لأنها لو كانت ضرورة لما أمر بها.^٢

وكذلك يقول في تفسير قوله تعالى:

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^٣

وفي الآية دلالة على أن المعرفة بالله وبصفاته ليست ضرورة، لأنها لو كانت ضرورة لما أمرنا بها. وليس لأحد أن يقول إنّما أمر على جهة التذكير والتنبيه، لأن ذلك ترك للظاهر.^٤

يقول الميرزا مهدي الإصفهاني رحمته الله في تفسير الآية الأولى:

ليس معناه: حصل العلم بذلك، بل معناه أنّه تنبّه أيها المخاطب بأنّه لا إله إلا هو.^٥

فكلمة «اعلم» في كلام العرب، تستخدم بالإضافة إلى تحصيل العلم، لتنبيه المخاطب، وهذا الاستعمال ورد كثيراً في كلامهم. ومن خلال الالتفات إلى هذا الأمر وكذا الالتفات إلى الآيات والروايات المتواترة التي تعدّ المعرفة صنع الله عزّ وجلّ، استفاد الميرزا الإصفهاني رحمته الله بأنّ الكلمة في الآية على معناها الشائع - أي

١. إبراهيم (١٣)، الآية ١٠.

٢. التبيان، ج ٩، ص ٣٠٠.

٣. المائدة (٥)، الآية ١٠١.

٤. التبيان، ج ٩، ص ٣٣.

٥. التفهيمات، مناقب النبي، ص ٢٢.

التنبّه - ولا ضير إذا كان ذلك مخالفاً لظاهر الآية لوجود القرائن المذكورة.^١

٣. المعرفة، أفضل الأعمال وأوجب الفرائض

قال الإمام الصادق (عليه السلام):

إِنَّ أَفْضَلَ الْفَرَائِضِ وَأَوْجَبَهَا عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَةُ الرَّبِّ وَالْإِهْرَارُ لَهُ
بِالشُّبُودِيَّةِ.^٢

وكذا نقل عنه (عليه السلام)، أنه سألَه البعض في مجلس: أيُّ الأعمال أفضل؟ فقال (عليه السلام):
تُوحِيدُكَ بِرَبِّكَ.^٣

لم يتطرق الحديث إلى المعرفة، ولكن باعتبار أن المعرفة هي عين التوحيد،
والتوحيد عين المعرفة، فإن هذه الرواية أيضاً تكون محل البحث والدراسة.

يقول آية الله الميرزا مهدي الاصفهاني (رحمته الله):

لا يقال: قد مر منك أن توحيد الله هو عين معرفته كما صرحت به الخطب
المنقولة، والمعرفة فعله تعالى، فكيف جعله الإمام (عليه السلام) من أعمال العباد؟ لأننا
نقول: إن الانفعال بفعل الله تعالى أمر اختياري يرجع إلى العبد. فمن هذه الحقيقة
يكون التوحيد من أفعال العباد. ومعنى توحيد العبد لله تعالى أن يفعل بتعريف
الله تعالى حتى يدخل في زمرة العارفين وفي فرقة الموحدين. وأما نفس التوحيد
فهو فعل الله تعالى كتعريفه نفسه.^٤

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) أيضاً:

لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي فَضْلِ مَعْرِفَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مَا مَدُّوا أَعْيُنَهُمْ إِلَى مَا مَنَعَ
اللَّهُ بِهِ الْأَعْدَاءَ مِنْ زَهْرَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَعِيمِهَا، وَكَانَتْ دُنْيَاهُمْ أَقْلَ عِنْدَهُمْ

١. القرائن العقلية والتقليدية فلو أمكن تحصيل معرفته لكان سببها بالخلق وعولس كمثلته في... .

٢. كافي (الكثير)، ص ١٢٦٢ بحار الأنوار، ج ٢، ص ٥٥، ح ٣٢ (الباب الخامس من أبواب تدويل الآيات من كتاب التوحيد).

٣. الأمالي (الطوسي)، ص ٦٨٧، ح ١ [١٢٥٨] بحار الأنوار، ج ٣، ص ٨، ح ١٨ (الباب الأول من كتاب التوحيد).

٤. التفسيرات، مناصب النبي (عليه السلام)، ص ٦٠.

يَمَّا يَنْظُرُونَهُ بِأَرْجُلِهِمْ^١.

سئل الإمام زين العابدين (ع):

أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟

فَقَالَ: مَا مِنْ عَمَلٍ بَعْدَ مَعْرِفَةِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ وَمَعْرِفَةِ رَسُولِهِ (ص) أَفْضَلَ مِنْ بَغْضِي الدُّنْيَا.^٢

وروي عن الإمام الرضا (ع):

أَيُّ أَفْضَلِ الْفَرَائِضِ - بَعْدَ مَعْرِفَةِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ - الصَّلَاةُ الْحَقِيقَةُ.^٣

سئل الإمام الصادق (ع):

أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ؟

فَقَالَ: إِدْخَالُ الشُّرُورِ عَلَى الْمُتَوَكِّلِينَ.^٤

قال الإمام علي بن الحسين (ع):

مَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ، مِنْ عِلْمِهِ بِطَنِي وَفَرَجِي.^٥

قال الإمام الباقر (ع):

ذُرُوءُ الْأَمْرِ وَسَنَامُهُ وَمِفْتَاحُهُ وَبَابُ الْأَشْيَاءِ وَرِضَا الرَّحْمَنِ الطَّاعَةُ لِلْإِمَامِ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ.^٦

١. الكافي، ج ٨، ص ٢٢٧، ح ٣٢٧.

٢. الكافي، ج ٢، ص ١٣٠، ح ١١ بهار الأنوار ج ٧، ص ٥٩، ح ٢٩ (الباب ١٢٢ من أبواب الكفر من كتاب الإيمان والكفر).

٣. مستدرک الوسائل، ج ٢، ص ٢٢، ح ١١ [٢٩٧٢] (الباب العاشر من أبواب أعداد الفرائض... من كتاب الصلاة)؛ راجع: الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا (ع)، ص ١٠٠: بهار الأنوار ج ٨، ص ٢٠، ح ٣٧ (الباب السادس من أبواب أهليتها... من كتاب الصلاة) وبهيهما «الصلوات» بدل «الصلاة».

٤. مستدرک الوسائل، ج ١٢، ص ٢٠٠، ح ٢٢ [١٣٢١٣] (الباب ٢٢ من أبواب فعل المعروف من كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

٥. تحف العقول، ص ١٢٨٢ بهار الأنوار ج ٧٥، ص ١٣١ (الباب ٢١ من أبواب المواعظ والحكم من كتاب الروضة).

٦. الكافي، ج ١، ص ١٨٥، ح ١١ وسائل الشريعة، ج ١، ص ١١٩، ح ٢ [٢٩٨] (الباب ٢٩ من أبواب مقدمة العبادات من كتاب الطهارة).

وتكون الرواية هذه محلًّا للبحث، إذا كان مرجع الضمير في قوله «بعد معرفته» عائداً إلى معرفة الله سبحانه، لا معرفة الإمام، والنصّ يحمل كلا المعنيين.

وقد أرجع المرحوم ملا صالح المازندراني الضمير إلى الله سبحانه وقال:

وإنما قال بعد معرفته للتنبيه على أن أصل معرفته تعالى أفضل منها، كيف لا وهي أصل لها؟ وإن كان كمال المعرفة إنما يحصل بها. وبالجمله نظام الطاعة موقوف على أصل المعرفة. وكمال المعرفة موقوف على نظام الطاعة.^١

قال الإمام الصادق (عليه السلام):

وَجَدْتُ عِلْمَ النَّاسِ كُلَّهُ فِي أَرْبَعٍ: أَوَّلُهَا أَنْ تَعْرِفَ رَبَّكَ، وَالثَّانِي أَنْ تَعْرِفَ مَا صَنَعَ بِكَ، وَالثَّالِثُ أَنْ تَعْرِفَ مَا أَرَادَ مِنْكَ، وَالرَّابِعُ أَنْ تَعْرِفَ مَا يُخْرِجُكَ مِنْ دِينِكَ.^٢

قد يتوهم للوهلة الأولى أن الحديث هذا يتعارض مع روايات كون المعرفة فعل الله سبحانه، وعدم تكليف العباد كسب المعرفة؛ ولكن التأمل في النصّ يبيّن - كما في النصوص السابقة - إن المعرفة هنا ناظرة إلى المعنى الثاني، أي التصديق والإيمان بالله، التصديق والإيمان بنعم الله سبحانه التي أودعها في الإنسان، التصديق والإيمان بما يريد الله منها، ومعرفة ما يخرج الإنسان من دين الله وصراطه.

هذه المعرفة هي فعل الإنسان، وتسمى علم الإنسان. بلى، يمكن أن يقال للعلم الواصل من الله للعبد أيضاً، أنه علم الإنسان، لأن الله أعطاه للإنسان فحمله العبد. فيتبين من ذلك، عدم وجود منافاة مع المعنى الأول للمعرفة أيضاً، ولكن إن أصّر أحد على أن المعرفة والعلم هنا فعل الإنسان، نقول: مع ملاحظة النصوص الأخرى لابد أن يقال إن المعرفة هنا بمعنى التصديق والإيمان.

١. شرح أصول الكافي، ج ٥، ص ١٨١.

٢. الكافي، ج ١، ص ٥٥، ح ١١١ معاني الأخبار، ص ٣٩٢، ح ١٢٩ الخصال، ج ١، ص ٢٣٩، ح ١٨٧ المحاسن، ج ١، ص ٢٣٣، ح ١٨٨.

والحاصل أن النصوص التي قد تظهر مخالفة مع النصوص الدالة على كون المعرفة صنع الله سبحانه، في الوهلة الأولى لا تخالفه مع الدقة وفي نهاية الأمر، إذ أنها تُحمل على معنى آخر للمعرفة وهو قبول المعرفة من قِبَل الإنسان، ولا يخفى أن إطلاق المعرفة على التصديق والتسليم في قبال المعرفة والتنبيه أمر متعارف في عرف التفاهم والتخاطب عند البشر، فمن لم يعمل على أساس معرفته يستمى جاهلاً وفاقدًا للمعرفة، والنصوص التي مرّت عليك تشير إلى هذه الحقيقة أيضاً، أي إن المعرفة هي الأساس للعمل، فلا عمل من دون وجود معرفة.

٥. حلّ التعارض الظاهري بين فكتين من النصوص، ووجه الجمع
يمكن أن يقال إن هذه النصوص تدلّ بوضوح، على أن المعرفة فعل الإنسان. وفي الجواب نقول: يرسم هذا التصوّر لمن قرأ هذه النصوص لوحدها ومن دون ملاحظة النصوص الأخرى، إذ لا بدّ أن نلاحظ سائر الروايات الواردة في الباب، كالنصوص الدالة بصراحة على كون المعرفة فعل الله سبحانه، وروايات «معرفة الله بالله» وروايات «المعرفة الفطرية» وكذا النصوص الدالة على عجز القوى المدركة لدى البشر على كسب المعرفة. وفي هذه الحالة (أي ملاحظة النصوص الأخرى) لا يستقيم عنده هذا الظهور وليس أمام من استفاد كسبيّة المعرفة من هذه النصوص إلا أحد طريقتين: إمّا أن يصرف النظر عن صراحة النصوص الأخرى، أو أن يصرف النظر عن الظهور في نصوص هذا الباب.

ولكن، حيث يوجد دليل آخر في المقام، فإننا لا نتنازل عن ظهور النصوص في البابين، ونقول بعد ملاحظة هذا الدليل إن المعرفة في الروايات تدلّ على معنيين، وكلّ مدلول يختلف عن الآخر، وبناءً عليه يحلّ الخلاف الظاهر؛ وذلك أن المعرفة قد أطلقت في النصوص على الإيمان والتصديق أيضاً.

ورد في كتاب فقه الرضا :

أُروِي أَنَّ الْمَعْرِفَةَ التَّصَدِيقِيَّةَ وَالْإِسْلَامِيَّةَ وَالْإِخْلَاصِيَّةَ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ وَأُروِي

أَنْ حَقَّ الْمَعْرِفَةُ أَنْ يُطِيعَ وَلَا يَعُصِيَ وَيَشْكُرَ وَلَا يَكْفُرُ^١

هنا تصريح بأن المعرفة هي التصديق والتسليم والإخلاص، وهنا يدل على وجود إطلاق ثانٍ للفظ المعرفة في نصوص أهل البيت عليهم السلام.

وكذا ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلْتَكْثِرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَلَاكُكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^٢، ورد عن الإمام عليه السلام:

الشكر المعرفة.

وفي قوله: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾^٣ ورد قوله عليه السلام:

الْكُفْرُ هَاهُنَا الْحِلَافُ وَالشُّكْرُ الْوَلَايَةُ وَالْمَعْرِفَةُ^٤.

في النص فُسر الشكر - الذي هو فعل الإنسان - بالمعرفة. أضف إليه أن الرواية التي وردت عن العمل والمعرفة عن الإمام الصادق عليه السلام تحل هذه الإشكالية، حيث قال عليه السلام:

لَا يَقْبَلُ اللَّهُ عَمَلًا إِلَّا بِمَعْرِفَةٍ وَلَا مَعْرِفَةً إِلَّا بِعَمَلٍ وَمَنْ يَعْمَلْ ذَلِكَ الْمَعْرِفَةُ عَلَى الْعَمَلِ وَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ، فَلَا مَعْرِفَةَ لَهُ إِنَّمَا الْإِيمَانُ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ^٥.

في الحديث الشريف، نفى عن إطلاق المعرفة على تلك المعرفة التي لا تستتبع العمل. وهذا الحديث يبين أن المعرفة أمر لا يتفك عن العمل، وإن لم يكن عملاً فلا معرفة.

نعم، المعرفة الابتدائية التي يعطيها الله سبحانه للإنسان، لا تلازم العمل دائماً،

١. الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام، ص ١٥٥ بحار الأنوار ج ٣، ص ١٢، ح ٣٢ (الباب الأول من كتاب التوحيد).

٢. البقرة (٢)، الآية ١٨٥.

٣. الزمر (٣٩)، الآية ٧.

٤. المحاسن، ج ١، ص ١٢٩، ح ١٥٥ بحار الأنوار ج ٢٢، ص ٦٠، ح ٢٩ (الباب ٢٩ من أبواب الآيات الناطقة فيهم من كتاب الإمامة).

٥. الكافي، ج ١، ص ٢٢، ح ١٢ المحاسن، ج ١، ص ١٩٨، ح ١٢٥ تحف العقول، ص ١٢٩٢ بحار الأنوار ج ١، ص ٢٠٦، ح ٢ (الباب الخامس من أبواب العلم وأماه... من كتاب العقل والعلم والجهل)، يختلف يسير.

قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَا السَّبِيلَ إِنَّمَا شَاكَرُوا وَإِنَّمَا كَفَرُوا﴾^١، وتدل هذه الآية على أن الهداية تصل من عند الله إلى المؤمن والكافر، وللعباد الحرية في اختيار طريق الله أي يبتعدوا عنه.

فتبين أن المعرفة الواردة في النصوص التي عدتها فعل الإنسان، إما أن تكون بمعنى التصديق والتسليم والإيمان، وإما بمعنى المعرفة التي تلازم عملاً يتناسب معها، ومن هذه الجهة يطلق عليها عبادة، أو شكر لله.

وفي روايات أخرى أطلقت المعرفة بمعنى التصديق والإيمان والتسليم، وإليك بعضاً منها:

عن أبي حمزة، قال الإمام الباقر (عليه السلام):

إِنَّمَا يَعْبُدُ اللَّهَ مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ فَأَمَّا مَنْ لَا يَعْرِفُ اللَّهَ فَأَمَّا يَعْبُدُهُ هَكَذَا ضَلَالًا
قُلْتُ: جُعِلَتْ فِدَاكَ، فَمَا مَعْرِفَةُ اللَّهِ؟

قَالَ: تَصْدِيقُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَصْدِيقُ رِسُولِهِ ﷺ وَمُؤَالَاهُ عَلَيْهِ ﷺ وَالْإِيتِمَامُ
بِهِ وَبِأَمْرِهِ الْمُنْدَى ﷻ وَالْبِرَاءَةُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عَدُوِّهِمْ هَكَذَا يُعْرِفُ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.^٢

في هذا الحديث، وردت المعرفة بمعنى تصديق الله ورسوله ووصيه والافتداء بالآئمة (عليهم السلام)، ومن البديهي أن هذه المعرفة هي فعل الإنسان لا فعل الله عز وجل. فائضح لك، أن المعرفة لو أطلقت باعتبارها تكليفاً وجعلت خيراً لعمل الإنسان، فإنما يراد منها التصديق والإيمان، ولا يراد منها المعنى الحقيقي الذي هو عبارة عن العلم والاطلاع والوجدان.

١. الإنسان (٧٦)، الآية ٣.

٢. الكافي، ج ١، ص ١٨٠، ح ٩١ وراجع بحار الأنوار، ج ٢٧، ص ٥٧، ح ١٦ (الباب الأول من أبواب الأئمة وحياتهم... من كتاب الإمامة).

قال الإمام الصادق (عليه السلام):

الإِيمَانُ عِلْمٌ فِيمَا بَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، فَمَنْ عَرَفَهُ كَانَ مُؤْمِنًا وَمَنْ
أُنْكِرَهُ كَانَ كَافِرًا^١.

وردت المعرفة في هذا النص في قبال الإنكار، وهذا التقابل يدل على أن المراد
من المعرفة هو الإيمان والتصديق، لا العلم والاطلاع.

وقد قال الإمام الصادق (عليه السلام) في حديث آخر، في مقام بيان جنود العقل وجنود
الجهل ما يتشابه مع النص السابق، حيث قال:

المعرفةُ وَضِدُّهَا الإنْكَارُ^٢.

وفي حديث ثالث:

... لَا يُعَدُّ النَّاسُ بِجَهْلِهِمَا مَنْ عَرَفْنَا كَانِ مُؤْمِنًا وَمَنْ أُنْكِرْنَا كَانِ كَافِرًا، وَمَنْ
لَمْ يَعْرِفْنَا وَلَمْ يُنْكِرْنَا، كَانِ ضَالًّا...^٣.

بديهي أن الإنكار، نتيجة المعرفة التي تكون بمعنى العلم، ولا يمكن للإنسان
أن ينكر ما لا يعرفه، وبناءً عليه، فإن الإنكار هنا لا يقابل المعرفة بمعنى العلم، بل
يكون المراد - كما في النصوص الأخرى - التصديق والإيمان بعد العلم.

٦. ملخص الدرس

- معرفة الله تعالى، أصل أصول الدين، ومن دونها لا يمكن للإنسان أن يكون متدينًا.
- أول العبادة معرفة الله سبحانه. إن كان المراد منها المعرفة قبل العبادة، فهي فعل الله

١. كمال الدين، ج ٢، ص ٢١٢، ح ٩٩؛ بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ٨٨، ح ٣٢ (الباب الرابع من أبواب جعل أحوال الأئمة... من كتاب الإمامة).

٢. الكافي، ج ١، ص ٢٢، ح ١١٢؛ بحار الأنوار، ج ١، ص ١١١، ح ٧ (الباب الرابع من أبواب العقل والجهل من كتاب العقل والعلم والجهل).

٣. الكافي، ج ١، ص ١٨٧، ح ١١١؛ بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ٣٢٥، ح ٣٠٦ (الباب الثامن من أبواب ما جرى بعد قتل عثمان... من كتاب الفتن والمحن).

- سبحانه، وإن كان المراد أول خطوة في العبادة، فالمراد منها التسليم والخضوع.
- انفعال الإنسان في قبال الفعل الإلهي أمراختياري، ومن هنا عدّ التوحيد - الذي هو عين المعرفة - فعلاً للعباد.
- أفضل الأعمال وأوجب الفرائض، المعرفة وتوحيد الله.
- المعرفة في الحقيقة العمل، وإن لم يكن هناك عمل فلا وجود للمعرفة.
- المعرفة الابتدائية تعطى للبشر، من دون أي عمل منهم يستحقّون به المعرفة.
- التسليم والتصديق والإيمان طريقاً للوصول إلى المراحل المتقدمة من المعرفة، ومن هنا فإنّ الروايات أطلقت على التسليم والإيمان لفظ المعرفة.
- تكون المعرفة تارةً في قبال الإنكار، ويدلّ ذلك على أنّ المراد من المعرفة هو الإيمان والتصديق لا العلم والاطلاع.

٧. اختبار ذاتي

١. المعرفة في قوله «أول الدين معرفته» بأيّ معنى؟ اذكر الاحتمالين وأجب بملاحظة نصوص كون المعرفة فعل الله.
٢. مع ملاحظة ورود المعرفة بأنّه «أول الدين معرفة الله» كيف يمكن أن يقال إنّها فعل الله عزّ وجلّ؟
٣. في قوله تعالى: ﴿قَاعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ما المراد من ﴿قَاعْلَمُ﴾؟
٤. كيف عدّت المعرفة والتوحيد - الذي هو عين المعرفة - أفضل الفرائض؟
٥. كيف الطريق إلى الجمع بين النصوص التي تصرّح على أنّ المعرفة فعل الله، والنصوص التي يظهر منها كون المعرفة فعل الإنسان؟
٦. في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلْيُشْكِرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاهُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾، فسر الشكر بأنّه المعرفة، بين هذا المعنى.
٧. هل يمكن جعل الإنكار في قبال المعرفة؟ لماذا؟ فسر عبارة: «المعرفة وضدّها الإنكار».



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الدرس الخامس عشر ١٥

انسداد طريق معرفة الله عند العباد

- التهي عن التفكر في الله
- عجز القوى البشرية عن معرفة الله
- دور العقل في معرفة الله سبحانه
- بداهة معرفة الله
- دور الأنبياء والأوصياء في معرفة الله





مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تلميح

بعد الانتهاء من مطالعة الدرس يتوقع من الطالب أن يعرف بأن الله نهى عباده عن التفكر في ذاته؛ وأن القوى المدركة لدى البشر عاجزة عن إدراك الله سبحانه؛ وإن معرفة الله سبحانه بديهية وليس للعقل إلا مسؤولية القبول والتسليم لها.

محصل ما مرّ عليك في الدروس السابقة، هو أن معرفة الله أمر فطري، وإن الله سبحانه عرّف نفسه على العباد في العوالم السابقة. وفي هذا العالم يعرف الجميع ربهم، ولكنهم غافلون عن هذه المعرفة؛ إلا أن يذكرهم الرسل والأوصياء بمعنى يعرفونه بالفطرة.

وكذلك تبين أن معرفة الله لا تتحصل إلا به سبحانه، أما معرفته بغيره فليس إلا معرفة ذلك الغير. المعرفة والهداية فعل الله سبحانه وليس لأحد فيها من دور حتى النبي ﷺ.

وإكمالاً للبحوث السابقة سنتحدث في هذا الدرس عن عجز البشرية وقواها المدركة عن معرفة الله سبحانه وتعالى، كما لا بدّ من الحديث عن مهمة العقل ودور الأنبياء والرسل في هذا المجال.

١. النهي عن التفكر في الله

الإنسان وما يملك من قوى مدركة مخلوق لله سبحانه وتعالى، وهو محدود ولا فرق في جهة المخلوقية بين أكمل الناس عقلاً وذكاءً وبين من هو أقلهم نصيباً وحقاً من هذه النعمة. ولهذا فإن الله سبحانه نهى جميع عباده عن التفكر في ذاته المقدسة، قال تعالى:

﴿وَأَن إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾^١

فإذا وصل الكلام إلى الحديث عن الله سبحانه فلا بد أن يتوقف المرء عنده؛ لأن التفكر في ذات الله يوجب للمرء التيه والحيرة.^٢ قال الإمام الصادق (عليه السلام):

فَإِذَا انْتَهَى الْكَلَامُ إِلَى اللَّهِ فَأَمْسِكُوا.^٣

جاء في حديث أن البعض كان يرى النهي عن الخوض في الحديث حول الذات الإلهية إنما يخص من لم يؤت نصيباً من علم الدين، أما من كان راسخاً في علوم الدين فلا بأس له بالخوض في هذا الأمر؛ وفي الرد على هذا الرأي قال الإمام (عليه السلام):

الْمُحْسِنُ^٤ وَغَيْرُ الْمُحْسِنِ لَا يَتَكَلَّمُ فِيهِ، فَإِنَّ إِمْنَهُ أَكْثَرُ مِنْ نَفْعِهِ.^٥

فإذا كان العباد قد نهوا عن إبداء الرأي في مسائل الدين وأحكام الشرع، فمن الواضح أن النهي أولى في الحديث عن الله - الذي هو الأساس في الدين -.

٢. عجز القوى البشرية عن معرفة الله

الخوض في معرفة الله بواسطة العقل، يكون دخولاً في ظلام دامس، يستحيل السير

١. لجم (٥٣)، الآية ٢٢.

٢. الكافي، ج ١، ص ٩٢، ح ١٦٠ وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ١٩٦، ح ٧ [٢١٣٣٠] (الباب ٢٣ من أبواب الأمر والنهي... من كتاب الجهاد).

٣. الكافي، ج ١، ص ٩٢، ح ١٦٠ بحار الأنوار، ج ٣، ص ٢٦٢، ح ٢٢ (الباب التاسع من كتاب التوحيد).

٤. المحسن أي العالم. (المؤلف)

٥. العوحيات، ص ٢٥٩، ح ١٢٦ وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٢٠١، ح ٢٦ [٢١٣٢٩] (الباب ٢٣ من أبواب الأمر والنهي... من كتاب الأمر بالمعروف و...).

فيه، فضلاً عن الوصول إلى هدف ما، فلا يؤدي إلا إلى الحيرة والضلالة، تقول الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام:

قَلَمْ تُدْرِكْهُ الْبَصَارُ وَلَمْ تُحِطْ بِهِ الْأَخْبَارُ وَلَمْ يَقْسُ مِقْدَارُ وَلَمْ يَكُوْهُمُ اعْتِبَارُ
لِأَمَّةِ الْمَلِكِ الْحَبَّارِ^١

يدل الحديث الشريف على أن سلطة الرب سبحانه تهيمن على أي سلطة أخرى فلا تملك أمام ملك الله عز وجل. وليس لعقل أو متفكر أن يحيط بالله علماً ولا يمكن لشعاع نور العقل أن يسمو إلى معرفته عز وجل. وبناءً على ذلك فلا يمكن أن يصل الإنسان إلى معرفة الله عبر طريق العقل والفكر. تقول الصديقة الكبرى عليها السلام في حديث آخر:

قَالَتْ أَعَزُّ وَأَكْرَمُ وَأَجَلُّ وَأَعْلَمُ مِنْ أَنْ... تَهْتَدِيَ الْقُلُوبُ إِلَى كُنْهِ عَظَمَتِهِ^٢
فلا يمكن لقلب المرء أو روحه - مهما بلغت في الصفاء والنقاء - أن تصل إلى حقيقة عظمة الله عز وجل بنفسها، وتبقى عاجزة عن إدراك الله سبحانه، قال الإمام الرضا عليه السلام:

إِنْ أَوْهَامَ الْقُلُوبِ أَكْبَرُ مِنْ أَبْصَارِ الْعُيُونِ، فَهَوَ لَا تُدْرِكُهُ الْأَوْهَامُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَوْهَامَ^٣.

فمن خلال التأمل في أحاديث الصديقة الكبرى والأئمة عليهم السلام نعرف أن الله سبحانه بعيد عن الأوهام والعقول، ومعرفته ليست ميسرة بالعقل أبداً، وكما قال الإمام الصادق عليه السلام:

كُلُّ مَا وَقَعَ فِي الْوُجْهِ، فَهُوَ بِخِلَافِهِ^٤.

١. فلاح السائل ومباح المسائل، ص ١٢٠٢ بحار الأنوار، ج ٨٣، ص ٨٥، ح ١١ (الباب ٢٠ من كتاب الصلاة).

٢. مصباح المتعبد، ج ١، ص ١٢٢ بحار الأنوار، ج ٨٣، ص ١٦٥، ح ٢٢ (الباب ٢٣ من كتاب الصلاة).

٣. الكافي، ج ١، ص ٩٩، ح ٤١٠ بحار الأنوار، ج ٢، ص ٣٩، ح ١٦ (الباب الخامس من أبواب تأويل الآيات والآثار من كتاب التوحيد).

٤. التوحيد، ص ٨٠، ح ١٣٦ بحار الأنوار، ج ٣، ص ٢٩٩، ح ٣٠ (الباب ١٣ من كتاب التوحيد).

وقال الإمام الرضا عليه السلام:

مَا تَوْهَّمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ، فَتَوَهَّمُوا اللَّهَ غَيْرَهُ^١.

يدل هذا الكلام، بصراحة، على أن ما يصل إليه وهم الإنسان وعقله، فهو ليس الله، ولا يجوز أن يُعَدَّ ذلك ربّاً، بل إن الله خلاقه، ويعني ذلك أن مهمة العقل ليست إلّا تنزيه الله سبحانه وتعالى، ووظيفة المتأمل والمتفكر هي أن ينزه الله عز وجل عن كل ما يتوهمه ويظنه إلهاً، قال الإمام الرضا عليه السلام:

كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ^٢.

بمعنى أن ما يمكن لعقل البشر أن يصل إلى معرفته ويحيط به علماً، يكون مصنوعاً له لا صانعاً، قال أمير المؤمنين عليه السلام:

لَيْسَ بِإِلَهِ مَنْ عُرِفَ بِنَفْسِهِ^٣.

والحاصل، أن القوى المدركة للإنسان عاجزة عن معرفة الله سبحانه، وما يصل إليه العقل في مجال معرفته عز وجل، هو تنزيهه سبحانه وإخراجه عن حدود الوهم والفكر، لأن ما يدركه العاقل بعقله ليس خالقاً، بل يكون مخلوقاً.

٣. دور العقل في معرفة الله سبحانه

قلنا إن القوى المدركة عند الإنسان - حتى العقل - عاجزة عن إدراك الله سبحانه، وتبين كذلك أن أي تفكر وتعقل في الله منهية عنه وبشدة في روايات أهل البيت عليهم السلام؛ ولكن هذا لا يعني عدم وجود أي دور للعقل في المعرفة - بصورة عامة - ومعرفة الله - بصورة خاصة - لأن للعقل الدور الرئيسي في تلقي جميع المعارف،

١. للتوحيد، ص ١١٢، ح ١١٣ للكلام، ج ١، ص ١٠١، ح ١٣ بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٠، ح ١٨ (الباب الخامس من أبواب تأويل الآيات والأخبار... من كتاب التوحيد).

٢. الأمالي (المفيد)، ص ٢٥٢ للتوحيد، ص ٣٥، ح ١٢ بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٢٨، ح ٣ (الباب الرابع من أبواب أسمائه تعالى... من كتاب التوحيد).

٣. الاحتجاج، ج ١، ص ١٢٠ بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٥٢، ح ٧.

ويصدق ذلك أيضاً بالنسبة إلى معرفة الله سبحانه. يعني أن معرفة الله سبحانه تتحقق بالتعريف الإلهي واستقبال العقل. فبنور العقل يمكن للإنسان تلقي التعريف الإلهي، والعقول بما هي عقول مغطورة على معرفة الله سبحانه وتعالى، قال الإمام الصادق (عليه السلام):

أَسْأَلُكَ بِتَوْحِيدِكَ الَّذِي فَطَرْتَ عَلَيْهِ الْعُقُولَ.^٢

ونقرأ في دعاء الفرج في صبح يوم الجمعة:

يَا مَنْ فَتَحَ الْعُقُولَ بِمَعْرِفَتِهِ.^٣

الآن ومن خلال ما سبق، يتضح لنا مراد الصديقة الطاهرة (عليها السلام) في كلمتها عن التوحيد في الخطبة التي أنف ذكرها، حيث تقول:

وَأَتَأَتِي فِي الْفِكْرِ مَعْقُولَهَا.^٤

يعني: إن ما هو معقول للإنسان في أمر التوحيد، يكون واضحاً في عقله وفكره، وليس فيه مجال للشك والتردد، وليس لعقل إذا تأمل وتدبر في آيات الله وآثار قدرته وعظمته في مخلوقاته، أن ينكر الخالق والمصانع؛ لأنه من خلال التأمل في آيات الله، يتذكر الله سبحانه؛ الذي فطر على معرفته.

ومن هنا يقول الإمام الرضا (عليه السلام):

بِضَنْعِ اللَّهِ يُسْتَدَلُّ عَلَيْهِ وَبِالْعُقُولِ يُعْتَقَدُ مَعْرِفَتُهُ وَبِالْفِطْرَةِ تُبَيَّنُّ حُجَّتُهُ.^٥

١. لا ينبغي أن لفظة العقل إذا جاءت بصورة الجمع (العقول) يراد منها العقلاء الذين تنزوا بنور العقل لكن هذا التعبير يدل على أن من فطر على المعرفة كان عاقلًا (المؤلف).

٢. معجم الصحاح، ص ١٨٠، بحار الأنوار، ج ٩١، ص ٢٧٥، ح ١ (الباب ٢٢ من أبواب أحراز النبي والآئمة (عليهم السلام) من كتاب الذكر والدعاء).

٣. مصباح المتعبد، ج ١، ص ١٥٦، مستدرك الوسائل، ج ١٣، ص ٣٢، ح ١٠ [١٢٦٨٦] (الباب ١٢ من أبواب مقدماتها من كتاب التجارة) بحار الأنوار، ج ٨٢، ص ٢٧٧، ح ٧٠ (الباب ١٢ من أبواب التوفيق من كتاب الصلاة).

٤. بحار الأنوار، ج ٢٩، ص ٢٥٣ (الباب ١١ من كتاب الفتن والمحن) كشف الغطاء، ج ١، ص ٢٨٢، وليه: دايان، بدل فأنا.

٥. الترحيم، ص ٣٥، ح ١٢ بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٣٨، ح ٣ (الباب الرابع من أبواب أسمائه تعالى... من كتاب التوحيد).

يعني حتى العقل، لو لم يفطر على المعرفة، لما كان قادراً على إتمام الحجة على الإنسان، بل تكتمل الحجة حينما يُعرَف الله نفسه، وبعد أن يتعرَف الإنسان على ربه بتعريفه، يعتقد به بمعونة العقل، أي يعقد قلبه على معرفة الله سبحانه.

فمهمة الإنسان ومسؤوليته تكمن في التسليم التام تجاه المعرفة الواصلة إليه من عند ربه سبحانه، وكذلك التأمل والتحقيق والتفكير والتأمل في آثار قدرة الله سبحانه وأفعاله.

فإذا توقّف الإنسان في هذه الحدود، فإن فضل الله وإحسانه - طبقاً لسننه في الخلق - ستشمله ويعرفه الله نفسه أكثر فأكثر.

الشيخ المظهري يرى أن التفكير والتدبر في المخلوقات هو تنبيه وتذكّر بالمعرفة الفطرية ويقول :

لابدّ من التنبيه إلى أن القرآن يسمّى الآثار بالآيات، ويسمّى الالتفات الحاصل منها «تذكّراً». ويريد منا القرآن الكريم أن تكون مطالعنا في الخليقة وسيلة للتنبيه إلى الفطرة ويقصّنها لها؛ يعني أن القرآن الكريم يرى المطالعة في الخلق تأييداً لطريق الفطرة. والهدف من الدعوة إلى التأمل في الخليقة هو التنبيه والتذكّر، لا الاستدلال والاستنتاج^١.

وينفي الملاح صالح المازندراني المعرفة الحاصلة عن طريق برهان «الإن»، أي الوصول من المخلوق إلى الخالق بالاستدلال المنطقي، ويقول:

«عُرِفَ بغير رويّة... الرويّة... التفكير والنظر. يعني: عرف وجوده من غير نظر واستدلال لأنّه بديهى كما صرّح به بعض المحقّقين، أو لأنّ الاستدلال لا يفيد معرفته بخصوصه؛ لأنّ اللّقى غير ممكن، أو ليس له علّة والإتي لا يفيد لأنّه استدلال من الأثر، والأثر لا يفيد إلّا مؤثراً ما على وجه كلّى. لا مؤثراً معيّناً^٢.

١. أصول فلسفه وروش و تاليسم، ج ٥، ص ٧١.

٢. شرح أصول الكافي، ج ١، ص ١٣.

٤. بدهة معرفة الله

يعتقد البعض أن معرفة الله بديهية عقلية، وبإمكان الفرد أن يصل إليها بسهولة عبر الآثار، ولا يكون محتاجاً إلى الاستدلال. من المعلوم إن هذه البدهة تتحقق بعد المعرفة الفطرية، والتوجه إلى تعاليم الأنبياء، لأن العقول - كما مر - مغلورة على توحيد الله سبحانه، ويتذكر الإنسان ربه إذا نظر إلى الآثار والآيات.

ومن هنا فإن مسؤولية الأنبياء تجاه الأمم، هي التذكير ورفع الغفلة والنسيان وإرجاع الناس إلى آيات الخلق والعظمة، ومن هنا فإن القرآن الكريم ينقل كلام الأنبياء إلى أمهم كما يلي:

﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^١

٥. دور الأنبياء والأوصياء في معرفة الله

ذكرنا سابقاً أن معرفة الله فعل الله، والهداية قضية تختص به سبحانه، ولا يمكن لأحد أن يهدي أحداً في عرضه جلّ وعلا يخاطب الربّ نبيه قائلاً:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ﴾^٢

يوصي الإمام الصادق (عليه السلام) شيعته أن يقرأوا هذا الدعاء في زمن الغيبة:

اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي نَفْسَكَ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفْ نَبِيَّكَ، اللَّهُمَّ
عَرِّفْنِي رَسُولَكَ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي رَسُولَكَ لَمْ أَعْرِفْ حُجَّتَكَ، اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي
حُجَّتَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي.^٣

فبالإضافة إلى معرفة الله، فإن معرفة النبي والوصي وكذلك معرفة كل شيء،

١- إبراهيم (١٢)، الآية ١٠.

٢- القصص (٢٨)، الآية ٥٦.

٣- الكافي، ج ١، ص ٢٣٧، ح ١٥ بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ١٢٦، ح ٧٠ (الباب ٢٢ من أبواب النصوص... من كتاب تاريخ الإمام الثاني عشر (عليه السلام)).

تكون معرفة حقيقية إذا كانت المعرفة من قِبَل الله سبحانه وتعالى.

وفي نهاية هذا المقال، نذكر كلمة قيمة للصدّيقة الطاهرة عليها السلام التي ترويه عن أبيها رسول الله ﷺ، في حق الإمام أمير المؤمنين وأولاده المعصومين عليهم السلام :
 لَا يَعْرِفُ اللَّهُ إِلَّا بِسَبِيلِ مَعْرِفَتِهِمْ.^١

وفي نصوص أخرى تأكيد على هذا المعنى، حيث قال الإمام الباقر عليه السلام :
 بِنَا غَيْدَ اللَّهِ، وَبِنَا غَرَفَ اللَّهِ، وَبِنَا وَجَدَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.^٢

إن أراد الله أن يُعرف نفسه لعباده من دون وسائط، لكان ذلك يسيراً عليه، ولكنه شاء - بحكمته - أن تكون المعرفة عبر طريق خاص، كما أن الشفاء فعل الله سبحانه، ولكن سنة الله تقتضي أن يكون عبر الذهاب إلى الطبيب وأخذ الدواء، قال أمير المؤمنين عليه السلام :

إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَوْ شَاءَ لَعَرَّفَ الْعِبَادَ نَفْسَهُ وَلَكِنْ جَعَلَنَا أَبْوَابَهُ وَصِرَاطَهُ وَسَبِيلَهُ وَالْوَجْهَ الَّذِي يُؤْتَى مِنْهُ.^٣

نبيّن إذاً أن المعرفة فعل الله دواماً وعطاءه أبدياً ولا يشترك فيه أحد، ولكن هذا الفعل الإلهي وبناءً على سنن الباري عز وجل مشروط بشروط خاصة. وكونه مشروطاً لا يعني أن الله لا يقدر على تجاوز الشرط سبحانه، بل هو القادر على ما يريد.

وهكذا اتضح دور الأنبياء والأوصياء في طريق المعرفة، واتضح أنه لا تعارض بين هذه الروايات وتلك التي دلّت على كون المعرفة فعل الله سبحانه، بل ليست هذه مخصصة لتلك. والروايات الدالة على أن الله عَرَفَ بهم عليهم السلام صحيحة أيضاً، إذ إن الله

١. بصائر الدرجات، ص ٢٩٦، ح ٢ (الباب ١٦ من الجزء العاشر) بحار الأنوار ج ٣٦، ص ٣٥١، ح ٢٢٠ (الباب ٣١ من أبواب النصوص على أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام).

٢. الكافي، ج ١، ص ١٢٥، ح ١٠٠٠ بحار الأنوار ج ٢٣، ص ١٠٢، ح ٨ (الباب السادس من أبواب جعل أحوال الأنفة من كتاب الإمامة).

٣. الكافي، ج ١، ص ١٨٢، ح ١٩٠ بحار الأنوار ج ٢٢، ص ٢٥٣، ح ١٦ (الباب ٦٢ من أبواب الآيات الدالة فيهم من كتاب الإمامة).

يجعل فعله من خلال الأنبياء والأوصياء وتعاليمهم، وكما قلنا سابقاً أن تعاليم الأنبياء لاتنشئ المعرفة ولكنها - المعرفة - مشروطة بتذكير الأنبياء وتعليمهم.

٦. ملخص الدرس

- الإنسان وما يملك من قوى مدركة مخلوق لله محدودٌ بحدود، ومن هنا فإنَّ التفكير والتعقل في الله أمر منهى عنه.
- ليس لعاقل أو متفكر أن يحيط بالله فكراً وعلماً.
- لا يمكن لقلب المرء أو روحه - مهما بلغت في الصفاء والنقاء - أن تصل إلى حقيقة عظمة الله عز وجل بنفسها، وتبقى عاجزة عن إدراك الله سبحانه.
- ما يتوقمه الإنسان، فهو بخلاف الله سبحانه.
- معرفة الله سبحانه تتحقق بتعريفه سبحانه وقبول العقل وتسليمه.
- لا يمكن للعقل أن يتمَّ الحجَّة على الإنسان من دون وجود المعرفة الفطرية.
- نتيجة التأمل في المخلوقات هو التنبيه والتذكير بالمعرفة الفطرية.
- المعرفة، فعل الله، لكن هذه المعرفة وبناءً على سنة الله، تكون عملية بعد اتباع تعاليم الأنبياء.

٧. اختبار ذاتي

١. فسر قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾.
٢. ماذا تعني الرواية: «كلُّ ما وقع في الوهم فهو بخلافه»؟ (أجب مفصلاً).
٣. وضح «كُلُّ مَعْرُوفٍ بِتَقْسِيهِ مَصْنُوعٌ».
٤. بيِّن دور العقل في معرفة الله سبحانه وتعالى.
٥. على ماذا ترتفع حججة العقل في معرفة الله؟
٦. ما هو دور الأنبياء والأوصياء في معرفة الله سبحانه وتعالى؟



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١٦ الدرس السادس عشر

التوحيد

- التوحيد هو المعرفة الفطرية
- أنواع التوحيد





مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تلميح

بعد الانتهاء من مطالعة الدرس؛ يتوقع من الطالب معرفة أن التوحيد عمن المعرفة الفطرية؛ ويتعرف على أنواع التوحيد، كما يطلع على الفرق بين التوحيد الذاتي والتوحيد الصفاتي، وكذا يطلع على معنى التوحيد الأفعالي والتوحيد العبادي.

١. التوحيد هو المعرفة الفطرية

بناءً على ما مرّ في البحث عن معرفة الله سبحانه وتعالى، يتضح أن معرفة الله هي توحيدة. وقد ورد الحديث عن فطرية التوحيد في بعض نصوص المعرفة الفطرية سابقاً، مضافاً إلى الآيات التي دلّت على تذّكر الإنسان بالمعرفة الفطرية أثناء الشدّة والابتلاءات الصعبة، كلّ تلك مرتبطة بالتوحيد في الربوبية والخالقية والألوهية، قال تعالى:

﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^١

وقال سبحانه:

﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^٢

١. لقمان (٣١)، الأية ٢٥؛ الزمر (٣٩)، الأية ٣٨.

٢. العنكبوت (٢٩)، الأية ٦٣.

الكلام في هذه الآيات والكثير من النصوص الأخرى الواردة بنفس المضمون، عن المعرفة التي يجدها الجميع. وإن سئلوا عنها، سيجيبون - جميعاً - في قلوبهم على أن خالق السماء والأرض والرازق للعباد والمحافظ لهم هو الله؛ حتى لو لم يظهروا الإجابة على أسئلتهم، وهذا جواب فطرة جميع الناس.

وليس المراد من الفطرة هنا المعنى المنطقي منه - أي الأمر الواضح والقريب إلى البدهة - بل الفطرة تعني، أن الله سبحانه عزّ نفسه على الإنسان من قبل أن يخلق هذا العالم، وامتزجت الحقائق والمعارف بفطرة الإنسان، ولكن الحجب تمنع ظهور هذه المعرفة. وحينما تنجلي تلك الحجب بسبب أو بآخر، فإن الجميع يقرون ويعترفون به في سُرهم؛ وإن أنكروا ظاهراً:

﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ • وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُظُمًا﴾^١

في إطار الحديث عن المعرفة الفطرية أوردنا نصّاً سئل فيه الإمام الجواد عليه السلام عن المعرفة الفطرية، فأجاب عليه السلام، بإيراد آيات البأساء والضراء، وجعل الإمام التوحيد أمراً عامّاً شاملاً للجميع، وواضحاً للعيان؛ أي أن الجميع يعترفون بالتوحيد ويقرون به. إلا أن هذا الاعتراف كان في عالم الدنّ وفي هذه الدنيا يعترف الإنسان بذلك عبر تذكير الأنبياء والرسل، أو الأخذ بالبأساء والضراء.

يتضح من جميع ما ذكرنا أن التوحيد هو معرفة الله سبحانه، وهي فطرية والناس يجدونها، وليس لأحد أن ينكرها. فما ورد في الآيات المباركات والأحاديث الشريفة من بيان توحيد الله وذكر صفاته ونفي الأنداد عنه، كلّ ذلك إنما جاء تذكيراً بهذه المعرفة الفطرية واستثارة لها بعد أن لفتها حجب الغفلة والنسيان.

إذاً ورد في ظاهراً في الكتاب، استدلال على التوحيد، فلا يظنّ أنه في مجال إثبات التوحيد بالبراهين المنطقية؛ بل المراد والمقصود منه هو إثارة الفطرة البشرية

والتنبيه بكون التوحيد أمراً قد فطر الإنسان عليه، وتأكيده على أن ادعاء خلاف التوحيد أمر غير معقول ولا يتفق مع العقل والمنطق؛ بمعنى أن من فطر على التوحيد، فإنَّ الشرك - بأي نوع من أنواعه - يتعارض وفطرته، وفي النتيجة، سوف لا يحيد عن معتقده، حتى لو ضعف بيانه أمام من يشكك في عقيدته، إلا أن قلبه سيبقى مطمئناً إلى ما وصل إليه من عقيدة.

٢. انواع التوحيد

قسم التوحيد في المصادر الكلامية، بلحاظ بعض الجهات، إلى التوحيد الذاتي، الصفاتي، الأفعالي والعبادي. وبالرغم من أن التوحيد في حقيقته لا يتجاوز القسمين «التوحيد الذاتي والصفاتي»، إلا أننا نقسمه كما قسمه المشهور:

١.٢. التوحيد الذاتي

قد وصفت النصوص الشرعية الله سبحانه بصفتي «الواحد» و«الأحد». والمادة الأصلية لكلا اللفظين هو «وحد»، ولا يختلف اللفظان في معناهما كثيراً. صرح الإمام الباقر (عليه السلام) بهذه الحقيقة حين قال:

الْأَحَدُ وَالْوَّاحِدُ يَتَعَيَّ وَاحِدٌ وَهُوَ الْمُتَفَرِّدُ الَّذِي لَا تَقْطِرُ لَهُ وَالْتَّوْحِيدُ الْإِفْرَادُ بِالْوَحْدَةِ وَهُوَ الْإِفْرَادُ وَالْوَّاحِدُ الْمُتَبَايِنُ الَّذِي لَا يَتَبَعُهُ مِنْ شَيْءٍ وَلَا يَتَّحِدُ بِشَيْءٍ.^١

فالتوحيد الذاتي يعني، الاعتقاد بأن الله سبحانه ليس له نظير أو شبيه من حيث ذاته، ولم يخلق من شيء، ولا يتحد بشيء. وبعبارة أخرى؛ فتوحيد الذات يعني القول بالبينونة التامة بين الله وسائر الأشياء؛ بمعنى أنه خلوع عن خلقه وخلقه خلوعه، وليس هناك وجه شبهة واشتراك بينه وبين مخلوقاته. وفي غير هذه الصورة فإنَّ حذَّ البينونة سيهدم بين الخالق والمخلوقات، وتزلزل أحدية الله ووحدانيته بل أصل وجوده جل وعلا، لأنَّ الإله الذي يعرفه جميع الخلق بتعريفه

١. التوحيد، ص ٩٠، ج ١٢ بهار العلوم، ج ٣، ص ٢٢٢ و ٢٢٣، ح ١٢ (الباب السادس من كتاب التوحيد).

نفسه لهم، ليس له وجه اشتراك وشباهة مع خلقه ولا سنخية في وجوده معهم، فأحديته تعني عدم إمكانية الإحاطة به بواسطة الوهم أو العقل أبداً وبالتالي استحالة توصيفه، وكما قالت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام:

المُتَنَبِّح... مِنَ الْأَلْسُنِ حِفَّتُهُ، وَمِنَ الْأَوْهَامِ كَيْفِيَّتُهُ.^١

بمعنى: لو كان للألسن أن تصفه، وللعقول والأوهام أن تدرك كَيْفِيَّتَهُ، لم يكن بينه وبين خلقه بينونة، وبذلك لم يكن هناك توحيد ذاتي له سبحانه، بل كان نظيراً لخلق، يمتاز عن خلقه ويشترك معهم بأمور، وبذلك كان للعقل أن يفرض نظيراً وشبهاً ومثلاً له سبحانه وتعالى، في حال أن فرض الشريك له أمر باطل، ذلك لأنَّ العقول حين تعجز عن توهمه وإدراك كَيْفِيَّتِهِ والإحاطة بكنهه، فأى لها أن تفرض له شريكاً؟ ومن هنا يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

التَّوْحِيدُ أَنْ لَا تُتَوَهَّمُ.^٢

فكل ما توهمته ليس الله سبحانه، بل هو مخلوق لك ومردود عليك، فما يمكنك أن تصنعه في ذهنك، فبإمكانك أن تخلق له شريكاً ونظيراً أيضاً، قال الإمام الحسين عليه السلام:

مَا نُصَوِّرُ فِي الْأَوْهَامِ، فَهُوَ خِلَافُهُ.^٣

لا يصل المرء إلى توحيد الله إلا بتعريفه هو سبحانه، وفكر الإنسان وكل قواه المدركة عاجزة عن الوصول إلى التوحيد، وإن كان طريق العقل والفكر مفتوحاً للوصول إلى معرفة الله وتوحيده، فحينها لا ينعدم للتوحيد.

وهكذا يظهر أن توحيد الله سبحانه وتعالى يأبى أن يثبت بالعقل والإدراك؛ لأنَّ ما

١. الاحتجاج، ج١، ص ٩٨، بحار الأنوار، ج ٢٩، ص ٢٢١، ح ٨ (الباب ١١ من كتاب الفتن والمعن).

٢. نهج البلاغة، الحكمة ٢٧٠، ص ٥٥٨، أملاط الدين، ص ٣١٨، بحار الأنوار، ج ٥، ص ٥٢، ح ٨٦ (الباب الأول من أبواب العدل من كتاب العدل والمعاد).

٣. تحف العقول، ص ١٢٢٢، بحار الأنوار، ج ٢، ص ٣٠١، ح ٢٩ (الباب الرابع من أبواب أسمائه تعالى.... من كتاب التوحيد).

يثبت بالعقل إنما يثبت بعد تمكّن العقل من الإحاطة به، وجعله في محدودة إدراكه، ويطبق عليه الكبرى الكليّة عنده؛ ويقيّن نقول إنّ تلك الكبرى الكليّة لا تنطبق على العقل فكيف بخالق العقل؟ لأنّه من الواضح أنّ كلّ شيء يعرف بالعقل فهو معقول العقل لا العقل ذاته، والعقل محيط بالمعقولات، لا جزءاً منها أو مصداقاً من مصدايقها.

٢-٢. التوحيد الصفاتي

تقسم صفات الله سبحانه من جانب، إلى قسمين: صفات أزليّة، وصفات حادثّة. والمراد من الأول هي تلك الصفات التي لا يصحّ نفيها عن الله سبحانه في حال من الأحوال، كأن يقال: «كان الله ولم يكن عالماً سبحانه عن ذلك علوّاً كبيراً». أمّا الصفات الحادثّة فهي تلك التي يصحّ سلبها عن الله؛ كما كان الله سبحانه ولم يكن مريداً.

وبناءً عليه، فإنّ التوحيد الصفاتي يشمل الصفات الأزليّة والحادثّة، فالتوحيد الأفعالي الذي هو بمعنى «لا مؤثّر في الوجود إلّا الله» أو «لا خالق إلّا الله» أو «لا فاعل إلّا الله»، في الحقيقة هو توحيد في الصفات أيضاً. وكذا «لا معبود إلّا الله» الدالّ على التوحيد العبادي، هو الآخر إثبات التوحيد في صفة معبوديّة الله.

بناءً على ذلك، نقول: إنّنا سنسمّي الصفات المرتبطة بتوحيد الأفعالي، أي التوحيد في الفاعليّة، نسمّيها بـ«توحيد الأفعالي»؛ أي صفات كصفة المشيئة والإرادة والمخالقة والفاعليّة والراقيّة وألّه سبحانه الشافي والمحبي والمميت وأمثالها، التي يمكن أن تكون فعلاً للإنسان أيضاً. ونسمّي الصفات والكمالات التي لا تستلزم فعلاً، نسمّيها «التوحيد في الصفات»؛ مثل العالميّة والقادريّة، وألّه سبحانه حيّ، وأمثالها من الصفات. ونسمّي صفة «معبوديّة الله» بالتوحيد العبادي.

الآن وقد تبيّن لك التقسيم، نشرع في الحديث عن التوحيد الصفاتي. التوحيد الصفاتي يعني: كما أنّ الله سبحانه واحد أحد ذاتاً، كذلك فإنّه أحد في

صفاته الكمالية. بمعنى أن العالم وحده هو، وهو وحده القادر، وهو الحي وحده سبحانه. وليس لأحد أمام علمه وقدرته وحياته، علم أو قدرة أو حياة، ليكون شبيهاً بالله ونظيراً له سبحانه؛ بل به يعلم العالم، وبه يكون المرء قديراً، وبه يحيى الناس؛ ولكن علمه وحياته وقدرته تعالى ليست من غيره، بل هو قادر وعالم وحي بذاته، قالت الصديقة الزهراء عليها السلام:

سُبْحَانَ مَنْ يَرَى أَثَرَ التَّمَلُّلِ فِي الصَّقَا، سُبْحَانَ مَنْ يَرَى وَقَعَ الطَّيْرِ فِي الْهَوَاءِ.
سُبْحَانَ مَنْ هُوَ هَكَذَا لَا هَكَذَا غَيْرُهُ.^١

سبحان الله الذي هذه صفته وليس غيره هكذا، وهذا نفي لوجود العلم الذاتي لغيره، لا نفي الخصوصيات المذكورة، ومعنى ذلك أن لا يرى مخلوق شيئاً إلا به سبحانه، ولكنه يرى ويعلم بلا حاجة لغيره.

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

كُلُّ عَزِيزٍ غَيْرُهُ ذَلِيلٌ وَكُلُّ قَوِيٍّ غَيْرُهُ ضَعِيفٌ وَكُلُّ مَالِكٍ غَيْرُهُ تَمْلُوكٌ وَكُلُّ عَالِمٍ غَيْرُهُ مُتَعَلِّمٌ، كُلُّ قَادِرٍ غَيْرُهُ يَقْدِرُ وَيَعْجَزُ وَكُلُّ سَمِيعٍ غَيْرُهُ يَصْغُمُ عَنْ لَطِيفِ الْأَصْوَاتِ وَيَصْغُو كَيْبَرُهَا وَيَذْهَبُ عَنْهُ مَا بَعْدَ مِنْهَا وَكُلُّ بَصِيرٍ غَيْرُهُ يَعْمَى عَنْ خَفِيِّ الْأَلْوَانِ وَلَطِيفِ الْأَجْسَامِ.^٢

إن هذه الكلمات - ككلمات الصديقة الزهراء عليها السلام - تحكي عدم وجود كمال لمخلوق بشكل مستقل، ووحده الله سبحانه الكامل بذاته، وليس له شبيه أو نظير ولا بد من الالتفات إلى أن علم المخلوق ليس جزءاً من علم الخالق أبداً، ولا قدرته من قدرة الرب؛ بل هو أحد في العلم والقدرة وليس ثمة سنخية بين علمه وقدرته وعلم سائر المخلوقات وقدرتهم وكذا سائر الكمالات؛ كما مر في الحديث عن

١. مصباح المتعجل، ج ١، ص ٣٠١؛ بحار الأنوار ج ٨٨، ص ١٨٠، ح ٧ (الباب الأول من أبواب الصلوات السنوية... من كتاب الصلاة).

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٦٥، ص ١٩٦؛ بحار الأنوار ج ٢، ص ٣٠٨، ح ٣٧ (الباب الرابع من أبواب أسمائه تعالى... من كتاب التوحيد).

التوحيد الذاتي، لأن من الواضح أنه لا اختلاف بين الذات والكمالات الذاتية من هذه الجهة.

٣-٢. التوحيد الأفعالي

المراد من التوحيد الأفعالي، هو أن أي فعل أعم من المشيئة والإرادة والعزم والقصد والرضا والغضب و... كل الأفعال الصالحة والطالحة، لا تبدر من أي شخص إلا إذا تعلقت به إرادة الله سبحانه ومشيئته، وأذن الله سبحانه بصدور ذلك الفعل من فاعله. يعني أن الفاعل المختار يحتاج إلى إذن الله في أموره الاختيارية، وبناءً على ذلك، فإن الفاعل الحقيقي والخالق الواقعي الذي لا يحتاج في فعله وخلقه إلى من سواه هو الله وحده، أما الإنسان فإن كان مختاراً ومريداً وفاعلاً فإنه ياذن الله سبحانه.

فالبشر يشاقون بمشيئته وإرادته سبحانه، وليس لأحد أن يفعل أمراً في الواقع من دون مشيئة الله وإرادته، إلا أن هذا لا يعني الجبر، وأن لا يكون الإنسان مختاراً في فعله ومجبوراً عليه، وتكون جميع الأفعال صادرة من الله، كل بل المراد من ذلك أن الله سبحانه هو الذي أعطى المشيئة والإرادة للإنسان، ويقوم الإنسان بأفعاله ويشاء بتلك المشيئة والإرادة التي أعطها الله سبحانه ومنحه إياه، ومتى ما كان الفعل مطابقاً للمصلحة والحكمة والتدبير لم يمنعه الله من إتيائه، والآمنه من إتيان الفعل.

فالتوحيد الأفعالي ليس يعني عدم وجود إرادة لأحد غير الله، أو أن الإرادة والمشيئة عند البشر هي إرادة الله ومشيئته، وفي النتيجة، عدم وجود فاعل سوى الله سبحانه، وأن الفاعل والموجد الوحيد هو الله - كما يستفاد من بعض بل إن البشر كلهم يملكون المشيئة والإرادة وهم من يقومون بما يقومون به، والله سبحانه هو من يقدر ويأذن بتحقيق ما يفعلونه. ومن هنا، فإن أفعال الإنسان تنسب إليه لا إلى الله سبحانه.

ومن الجدير بالذكر القول إن التوحيد الأفعالي، كما يعتقد به العرفاء ليس

صحيحاً، يقول العرفاء:

حينما يتجلى الحق بتوحيده الأفعالي للسالك، ويتجلى للسالك أن جميع الأفعال والأشياء فانية في أفعال الحق، ولا يرى شيئاً في أي مرتبة فاعلاً غير الحق ولا يرى مؤثراً غيره فإثمه وصل إلى مقام المحو.^١

إن الله سبحانه أحد في الخالقية والفاعلية والمؤثرية، إلا أن ذلك لا يعني أن الموجودات الأخرى لا تكون كذلك ياذنه؛ بل إن توحيده في الفاعلية والخالقية والمؤثرية لا يتنافى وفاعلية الناس ومؤثرتهم وخالقيتهم ياذنه. وهذا لا يعني أن فاعلية غير الله هي في عرض الله، وأن الله غافل عنه أو لا يملك سلطاناً على فعله، سبحانه؛ بل إن جميع أفعال العباد خاضعة لسلطانه سبحانه وهو الذي يهيمن عليها جميعاً أنا بأن، وهو الذي شاء أن يفعل العباد أفعالهم بالقدرة والعلم الذي منحهم، قالت الصديقة الطاهرة عليها السلام:

اللَّهُمَّ إِنَّكَ لَسْتَ بِرَبِّ اسْتَحْدَثْنَاكَ وَلَا مَعَكَ إِلَهٌ فَيَسْرُكَ فِي رُبُوبِيَّتِكَ وَلَا مَعَكَ إِلَهٌ أَغَاثَكَ عَلَى خَلْقِنَا. أَنْتَ رَبُّنَا كَمَا تَكُونُ وَفَوْقَ مَا يَقُولُ الْفَاقِلُونَ.^٢

فليس لله سبحانه شريك في الربوبية والخالقية، والربوبية والخالقية صفة له وحده، وإذا كان لأحد في موارد خاصّة ربوبية وخالقية، فذلك لا يكون إلا ياذنه وإرادته ومشيتته؛ لا أن يكون ذلك في عرض الله سبحانه وفي مقابله، فالتوحيد الأفعالي يعني: رغم أن الخلق يتصفون بالفاعلية كالله سبحانه، إلا أن فاعلية الله عز وجل لا تشابه فاعلية الخلق بأي وجه من الوجوه، وهو أحد في الفاعلية؛ كما هو واحد أحد في ذاته وصفاته الذاتية، وليس له شبيه ونظير في أي جهة من الجهات، لأن الذات والصفات والأفعال الإلهية ليست قابلة للتصور.

١. غرر الحكم اصطلاحات وتعبيرات عرفاني، ص ٢٦٩.

٢. (المصباح) (للكفعمي)، ص ١٧٦ بحار الأنوار، ج ٨٢، ص ١٦٨، ح ٢٢ (الباب ٢٢ من أبواب مكان المصلي... من كتاب الصلاة).

٢-٤. التوحيد العبادي

التوحيد العبادي يعني: أن لا أحد غير الله سبحانه يستحق العبادة والطاعة، والمعبود الحقيقي والواقعي هو الله وحده، تقول الصديقة الزهراء عليها السلام:

سُبْحَانَ مَنْ تَوَاصَعَ كُلُّ شَيْءٍ لِعَظَمَتِهِ، سُبْحَانَ مَنْ ذُلُّ كُلِّ شَيْءٍ لِعِزَّتِهِ،
سُبْحَانَ مَنْ خَضَعَ كُلُّ شَيْءٍ بِأَمْرِهِ وَمُلْكِهِ، سُبْحَانَ مَنْ انْقَادَتْ لَهُ الْأُمُورُ
بِأَرْزُقَتِهَا.^١

فالناس لابد أن يتوجهوا إلى الله بأعمالهم، ولا يعبدوا أو يطيعوا أو يقدسوا أحداً سوى الله سبحانه، لأن الطاعة هي العبادة في حقيقة أمرها. نعم؛ هذا لا يعني أن لا يمكن لأحد أن يكون له سلطة ومقام الأمر والنهي، بل المراد إن مقام الأمر والنهي والتسلط هو لله وحده، وإذا تسلط أحد على الآخرين، فلا بد أن يكون ذلك من قبل الله عز وجل، لا أن يكون مستقلاً في ذلك وفي مقابل حكم الله عز وجل. وقد روت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام عن أبيها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله عن انحصار العبودية في الله قوله:

إِلَهِي إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَعْبُودُ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ
وَأَنْتَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ وَأَنَّ كُلَّ مَعْبُودٍ مِمَّا دُونَ عَرْشِكَ إِلَى قَرَارِ
أَرْضِكَ السَّابِقَةِ الشُّفْلَى، بَاطِلٌ مُضْمَعِلٌ مَا خَلَا وَجْهَكَ الْكَرِيمَ.^٢

يبدو أن تعبير فاطمة الزهراء عليها السلام في بيان كلمة التوحيد، يشير بوضوح إلى هذا المعنى، بأن مرجع قول «لا إله إلا الله وحده لا شريك له» إلى أن يتوجه الإنسان إلى الله وحده، ويطلب منه العون؛ ويعبده دون سواه، ويطيعه ولا يخاف أحداً غيره، ولا يتوكل شيئاً من غيره.

١. فلاح السالك، ص ٢٥١، بحار الأنوار، ج ٨٣، ص ١١٥، ح ٢ (الباب ٢٢ من أبواب مكان المصلي من كتاب الصلاة).

٢. مسند فاطمة عليها السلام، ص ٢٢٢-٢٢٣، بحار الأنوار، ج ٨٣، ص ١٦٥، ح ٢٢ (الباب ٢٢ من أبواب مكان المصلي ... من

معنى ذلك، أن من يشهد بتوحيد الله سبحانه وينفي عنه كل شرك، ولكنه يقول مثلاً: «لو لم يكن فلان لكنت هالكاً» أو يقول: «أولاً الله ثم فلان»، فإن في شهادته بالتوحيد خلل، إلا أن يكون قصده: «إن لم يكن الله يسخر فلاناً لحل مشكلتي لكنت هالكاً» ففي هذه الحالة فإن هذا الكلام لا ينافي التوحيد فحسب، بل هو التوحيد بعينه.

٣. ملخص الدرس

- معرفة الله هي توحيد.
- التوحيد أمر عام، وتعتز به جميع الألسنة.
- التوحيد في حقيقته على قسمين: التوحيد الذاتي، والتوحيد الصفاتي.
- التوحيد الذاتي يعني الاعتقاد بالبينونة القائمة بين الله سبحانه وخلق، وعدم توصيفه أو توهمه أو تعقله.
- صفات الله سبحانه تنقسم بلحاظ إلى صفات أولية وأخرى حادثة.
- الصفات الأولية هي الصفات التي لا يصح نفيها عن الله، ولكن لا بأس بنفي الصفات الحادثة.
- في الحقيقة التوحيد في الصفات أي «لا مؤثر في الوجود إلا الله» أو «لا خالق إلا الله» هو التوحيد الأفعالي.
- الصفات المرتبطة بالتوحيد الأفعالي، أي التوحيد في الفاعلية، يطلق عليها التوحيد الأفعالي، مثل الراضية والفاعلية والخالقية و....
- نسمي الصفات والكمالات التي لا تسمى فعلاً نسميها «التوحيد في الصفات»؛ مثل العالمية والقادرية، وإِنَّه سبحانه حيٌّ، و....
- التوحيد الصفاتي يعني أن الله سبحانه وتعالى أحد من حيث صفاته.
- المراد من التوحيد الأفعالي، هو أن لا فاعل في عرض فاعلية الله سبحانه، وأي فاعل غير الله يفعل بمشيئته عز وجل؛ أما الله فهو فاعل بالاستقلال.

- كل الناس يملكون الإرادة والمشية والاختيار، والله سبحانه يُعَدِّرُ لَهُمْ وَيَأْذَنُ لَهُمْ بتحقيق إراداتهم؛ ومن هنا فإن أفعال الإنسان تنسب إليه لا إلى الله.
- التوحيد العبادي يعني أن غير الله لا يستحق العبادة والطاعة.

٤. اختبار ذاتي

١. هل توحيد الله أمر عام؟ أجب مفضلًا.
٢. ماذا يعني التوحيد الذاتي؟
٣. عبارة «التوحيد أن لا تتوهمه» ناظرة إلى أي نوع من أنواع التوحيد؟ فسر العبارة.
٤. على كم قسم يكون التوحيد الصفاتي؟ وضح معنى كل قسم.
٥. ماذا يعني التوحيد الأفعالي، وما علاقته بالتوحيد الصفاتي؟
٦. ما هو المراد من التوحيد العبادي؟



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١٧ الدرس السابع عشر

الأسماء والصفات (١)

- المعنى اللغوي للاسم والصفة
- معنى الاسم والصفة في روايات أهل البيت عليه السلام
- أصناف الروايات في الأسماء والصفات
- مرجع الصفات إلى التنزيه





مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تلميح

بعد الانتهاء من الدرس يتوقع من الطالب أن يعرف
المعنى اللغوي للفظتي «الاسم» و«الصفة»، ويتعرف
على معنى الاصطلاحين في نصوص أهل البيت (عليه السلام)،
ويعرف المجموعات المختلفة من الروايات الواردة
حول هذا الموضوع، ويعرف أيضاً دليل القول بالمعنى
التنزيهي والسلبى لصفات الله سبحانه.

١. المعنى اللغوي للاسم والصفة

الاسم في اللغة، مأخوذ من «وسم» بمعنى العلامة والدلالة، فأصل الاسم يكون
مشتقاً من «وَسَمَ» وأبدلت الواو همزة؛ وقيل إنه مأخوذ من «السمو» بمعنى العلو
والرفعة، بحذف واو آخره وإضافة الهمزة في أوله بدلاً عن الواو.^١

أما الصفة فمصدرها مادة «وَصَفَ»، حذفت واو أولها وأبدلت بتاء في آخرها.

وقد عرّف السيّد شريف الجرجاني الصفة:

بأنّها العلامة الملازمة للموصوف وبها يعرف الموصوف.^٢

١. راجع: لسان العرب، ج ١٢، ص ٢٠١.

٢. التعريفات، ص ٥٨؛ راجع: معجم مقاييس اللغة، ج ٦، ص ٥.

فلا خلاف في المعنى بين الاسم والصفة من الناحية اللغوية، فالاسم علامة بشكل مطلق، أما الصفة فهي الأخرى علامة ولكنها بشكل خاص تلازم الموصوف وبها يُعرف الموصوف.

٢. معنى الاسم والصفة في روايات أهل البيت (عليه السلام)

استعمل الأئمة (عليهم السلام) لفظي «الاسم» و«الصفة» في نفس معناهما اللغوي بمعنى العلامة بصورة مطلقة أو العلامة الخاصة.

فمن الإمام الرضا (عليه السلام) قال في من يجري «بسم الله» على لسانه:

أَسْمُ عَلَى نَفْسِي سَمَةٌ مِنْ سَمَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هِيَ الْعِبَادَةُ قَالَ: قُلْتُ: لَهْ مَا السَّمَةُ؟ فَقَالَ: الْعَلَامَةُ.^١

وفي حديث آخر أجاب الإمام (عليه السلام) عن معنى الاسم قائلا:

صِفَةٌ يُوصُوفُ.^٢

وقد عرّف الإمام الباقر (عليه السلام)، كل أسماء الله بأنها صفات، حيث قال:

إِنَّ الْأَسْمَاءَ صِفَاتٌ وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ.^٣

وقال الإمام الصادق (عليه السلام)، عن عبادة الله سبحانه:

مَنْ عَبَدَ اللَّهَ بِإِقْبَاعِ الْأَسْمَاءِ عَلَيْهِ بِصِفَاتِهِ الَّتِي وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ، فَقَعَدَ عَلَيْهِ قَلْبُهُ... وَتَطْلُقُ بِهِ لِسَانُهُ فِي سَرَائِرِهِ وَعَلَانِيَتِهِ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) حَقًّا.^٤

في هذه النصوص تصريح بأن أسماء الله سبحانه صفات بها وصف الرب

١. التوحيد، ص ٢٢٩، ح ٤١ معاني الأخبار، ص ٣، ح ١١ بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ٢٣٠، ح ٩ (الباب ٢٩ من أبواب فضائل سور القرآن من كتاب القرآن) وفيه باختلاف يسير.

٢. صيون أخبار الرضا (عليه السلام)، ج ١، ص ١٢٩، ح ١٢٥ الكافي، ج ١، ص ١١٣، ح ٣؛ بحار الأنوار، ج ٢، ص ١٥٩، ح ٣ (الباب الأول من أبواب أسمائه تعالى... من كتاب التوحيد).

٣. الكافي، ج ١، ص ٨٨، ح ١٢٣ القصور المحمّدية، ج ١، ص ١٦٥، ح ٢ (٩٨).

٤. الكافي، ج ١، ص ٨٧، ح ١١ بحار الأنوار، ج ٣، ص ١٦٦، ح ٧ (الباب الأول من أبواب أسمائه تعالى من كتاب التوحيد).

نفسه. ومع الالتفات إلى إطلاق الاسم على أي علامة أما الصفة هي العلامة الخاصة اللازمة للموصوف، يتبين أن أسماء الله سبحانه كلها من نوع خاص، وفي الحقيقة فإنها جميعاً صفات لله سبحانه، فليس له اسم إلا وفيه معنى وصفياً. إلا أن هناك رواية عن الإمام الصادق عليه السلام يظهر منها خلاف المعنى السابق حيث قال عليه السلام:

لَهُ عَزَّ وَجَلَّ لُغُوتٌ وَصِفَاتٌ، فَالْصِّفَاتُ لَهُ وَأَسْمَاؤُهَا جَارِيَةٌ عَلَى الْمَخْلُوقِينَ
مِثْلُ السَّمِيعِ وَالْبَصِيرِ^١

حيث ورد «السميع» و«البصير» بمعنى الاسم الذي يصدق على الخالق والمخلوقين، إلا أن هذه الأسماء هي صفات مختصة به سبحانه وليس لخلقه شيء منها.

فعلم مما سبق أن أسماء الله سبحانه، تكون اسمائه حينما تستخدم في الصفات الخاصة التي وصف نفسه بها.

قال هشام بن سالم: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام، فقال:

أَتَكْتُمُ اللَّهَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: هَاتِ. فَقُلْتُ: هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ. قَالَ: هَلِ هِيَ صِفَةٌ يَشْتَرِكُ فِيهَا الْمَخْلُوقُونَ.^٢

ومن المعلوم أن مراد الإمام من الاشتراك هو الاشتراك في الاسم (كما مر في النص السابق)، وهذان النضان - حيث تبادل فيهما معنى اللفظين - يدلان على اقتران معنى الاسم والصفة.

٣. أصناف الروايات في الأسماء والصفات

٣-١. تنزيه الله من توصيف العباد

١. التوحيد، ص ١٢٠، ح ١٢٤ بحار الأنوار ج ٢، ص ٦٨، ح ١٢ (الباب الأول من أبواب الصفات... من كتاب التوحيد).

٢. التوحيد، ص ١٢٦، ح ١٢٤ بحار الأنوار ج ٢، ص ٧٠، ح ١٦ (الباب الأول من أبواب الصفات... من كتاب التوحيد).

قال الله سبحانه:

﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾^١

قال الإمام الرضا (عليه السلام):

جَلَّ عَمَّا وَصَفَهُ الْوَاصِفُونَ وَتَعَالَى عَمَّا يَنْعَنُهُ النَّاعِثُونَ.^٢

وقال الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام):

تَعَالَى عَنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ غُلُوءًا كَبِيرًا.^٣

وقال الإمام الصادق (عليه السلام):

اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُوصَفَ.^٤

حقاً لا يقدر مخلوق على أن يصف الله سبحانه، لأن توصيف الشيء نتيجة معرفته، وما دام الإنسان جاهلاً بحقيقة شيء فلا يمكنه وصفه، ومن جهة أخرى فإن طريق معرفة الله سبحانه مسدود - كما مر سابقاً - لأنه اسمى من أن تدركه الأوهام والأفكار وتحيطه العقول لأنه خالقها، فالنتيجة هي عجز العقول والأفكار من أن تصف الله سبحانه وتعالى، قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

اللَّهُ أَجَلُّ مِنْ أَنْ يُدْرِكَ الْوَاصِفُونَ قَدْرَ صِفَتِهِ الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ، وَإِنَّمَا يَصِلُهُ الْوَاصِفُونَ عَلَى قَدْرِهِمْ، لَا عَلَى قَدْرِ عَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ. تَعَالَى اللَّهُ عَنْ أَنْ يُدْرِكَ الْوَاصِفُونَ صِفَتَهُ غُلُوءًا كَبِيرًا.^٥

١. الأسماء (٦)، الآية ١٠٠.

٢. الكافي، ج ١، ص ١٣٧، ح ٢٣؛ بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٩٠، ح ٢١ (الباب الرابع من أبواب أسمائه تعالى... من كتاب التوحيد).

٣. التوحيد، ص ٧٧، ح ١٣٢؛ بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٩٦، ح ٢٤.

٤. التوحيد، ص ٣١٣، ح ١٢١؛ الكافي، ج ١، ص ١١٧-١١٨؛ بحار الأنوار، ج ١، ص ٢٥٢، ح ٥٢ (الباب ١٦ من أبواب مكان المصلي من كتاب الصلاة).

٥. التوحيد، ص ٢٣٨-٢٣٩، ح ١١؛ بحار الأنوار، ج ١، ص ١٣٢، ح ٢٤ (الباب ١٣ من أبواب مكان المصلي من كتاب الصلاة).

٣-٢. توصيف الله بما وصف به نفسه

قال الإمام الحسين عليه السلام :

أَصِفَ إِلَهِي بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ.^١

وقال أمير المؤمنين عليه السلام :

شَبَّاحَاتُهُ هُوَ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ.^٢

وقال الإمام الباقر عليه السلام :

... إِنَّ الْأَسْمَاءَ حِفْظَاتٌ وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ.^٣

وقال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام :

فَصَلُّوهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَكَلِّمُوا عَمَّا سِوَى ذَلِكَ.^٤

هذه المجموعة من النصوص تأمر الناس - بصراحة - أن يصفوا الله سبحانه بما وصفه به نفسه، وأن يحذروا من توصيفه كيفما يحلو لهم، وذلك لعدم مقدرة أحد على أن يصف الله كما هو شأنه، ومن هنا فلا بد أن يكون التوصيف بما وصف الله به نفسه، كما أن معرفته من دون تعريفه نفسه مستحيلة.

وبناءً على ما سبق؛ فإن المؤمن الحقيقي هو من يصف الله بما ورد في آيات القرآن الكريم ونصوص أهل البيت عليهم السلام ولا يتعدّ هذين المصدرين. وليس هذا القول عجباً، بل هو مطابق لما يحكم به عقل كل إنسان، حيث ينهى العقل المرء من أن يدخل في الظلمات بلا ضياء ونور، وكل من جعل هدى الله نبراساً له في ظلمات الحياة فلن يتيه، ويصل إلى بر الأمان ويكتشف الحقائق؛ أمّا من يخالف كشف العقل ووضع قدمه في طريق من دون معرفة أهلك نفسه بيده.

١. التوحيد، ص ٨٠، ح ١٣٥ بحار الأنوار ج ٢، ص ٢٩٧، ح ٢٢ (الباب الرابع من أبواب أسمائه تعالى... من كتاب التوحيد).

٢. التوحيد، ص ٢٩، ح ١٣ الكافي، ج ١، ص ١٣٥، ح ١٤ بحار الأنوار ج ٢، ص ٢٩٩، ح ١٥ (الباب الرابع من أبواب أسمائه تعالى... من كتاب التوحيد).

٣. الكافي، ج ١، ص ٨٨، ح ٣.

٤. الكافي، ج ١، ص ١٠٢، ح ١٦ بحار الأنوار ج ٢، ص ٢٦٦، ح ٣١ (الباب التاسع من كتاب التوحيد).

٣-٣. نفي الصفات عن الله سبحانه

قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

نِظَامُ تَوْحِيدِهِ، نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ.^١

وقال أيضاً:

كَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ، نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ، لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمُوصُوفِ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ.^٢

وقال الإمام الرضا (عليه السلام):

نِظَامُ تَوْحِيدِ اللَّهِ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ لِشَهَادَةِ الْعُقُولِ، أَنَّ كُلَّ صِفَةٍ وَمَوْصُوفٍ مَخْلُوق.^٣

من خلال التأمل والتوجه إلى النصوص التي مررت في الفئتين السابقتين، يمكن معرفة المراد من نفي الصفات الوارد في هذه الروايات بنحو مطلق. فطريق الجمع بين الروايات يكون عبر الروايات نفسها، فالفئة الأولى تنزه الله عن الصفات التي يجعلها الناس بقولهم وأفكارهم وأوهامهم له سبحانه. أما الفئة الثانية فتثبت لله الصفات التي وصف بها نفسه.

وبالالتفات إلى الروايات في الفئة الأولى والثالثة، يتبين أن النصوص في الفئة الثانية أجازت لنا أن نصف الله سبحانه بما وصف به نفسه، وليس ذلك بمعنى كون الأوصاف هذه معروفة لعقولنا ومفاهيمنا حتى نصف الله بها، لأن ذلك يؤدي إلى كون الصفة والموصوف مخلوقات لنا، ومشمولة في نفي الصفات التي قال عنها الإمام الرضا (عليه السلام): «نظام توحيد الله نفي الصفات عنه، لشهادة العقول أن كل صفة وموصوف مخلوق». وهكذا، بدلالة الفئة الأولى، يلزم تنزيه الله عن أوصاف كهذه.

١. الاحتجاج، ج ٢، ص ١٣٩٨ بحار الأنوار، ج ٤، ص ٢٥٣، ح ٦ (الكتاب الرابع من أبواب أسمائه تعالى... من كتاب التوحيد).

٢. نهج البلاغة، الخطبة الأولى، ص ١٣٩ الاحتجاج، ج ١، ص ١٩٩ بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٢٧، ح ٥.

٣. التوحيد، ص ٣٢-٣٥، ح ١٢ بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٢٨، ح ٢.

وعليه، فلا يجوز إشراك عقولنا وأوهامنا وتخييلاتنا في التوصيف، بل لابد أن نأخذ من الله وحده، وبخلفية المعرفة الفطرية؛ الأوصاف التي وصف بها الرب سبحانه نفسه.

وبالتالي، ليس الاجتناب من توصيف الله بما لم يصف به نفسه، أمراً ضرورياً وواجباً فحسب، بل أن الاجتناب عن إدخال العقل والفهم حتى في الأوصاف التي وصف الله نفسه بها واجب أيضاً. وفي غير هذه الحالة، فإن الأوصاف المذكورة والموصوف بها ستكون مخلوقة للعقول والأوصاف التي خلقناها بعقولنا لا تمت إلى الخالق الذي عرفناه بالفطرة بصلة، والنتيجة ستكون المغايرة بين الموصوف والصفة، لأن الصفة مخلوقة لعقولنا، أما الموصوف فهو خالقنا نحن وعقولنا. وإذا توهمنا الموصوف أيضاً فإنه الآخر سيكون مخلوقاً لعقلنا ومردوداً إلينا، وهذا ليس ذلك الموصوف الذي عرفناه بفطرتنا.

عن محمد بن مسلم قال، قلت للإمام الباقر (ع):

يَرَعْمُونَ اللَّهَ بَصِيرَةً عَلَى مَا يَعْقِلُونَهُ؟ قَالَ: فَقَالَ: تَعَالَى اللَّهُ. إِنَّمَا يَعْقِلُ مَا كَانَ بِصِفَةِ الْمَخْلُوقِ وَلَيْسَ اللَّهُ كَذَلِكَ.^١

وقال الإمام الرضا (ع):

مَا تَوَهَّمُوا مِنْ شَيْءٍ، فَتَوَهَّمُوا اللَّهَ غَيْرُهُ.^٢

وقال الإمام الصادق (ع):

كُلُّ مَا وَقَعَ فِي التَّوَهُّمِ، فَهُوَ بِخِلَافِهِ.^٣

١. التوحيد، ص ١٢٢، ح ١٩، الكافي، ج ١، ص ١٠٨، ح ١٦ بحار الأنوار، ج ٢، ص ٦٩، ح ١٢ (الباب الأول من أبواب الصفات من كتاب التوحيد).

٢. التوحيد، ص ١١٢، ح ١١٣، الكافي، ج ١، ص ١٠١، ح ١٢ بحار الأنوار، ج ٢، ص ٦٠، ح ١٨ (الباب الخامس من أبواب تأويل الآيات... من كتاب التوحيد).

٣. التوحيد، ص ٨٠، ح ٣٦، بحار الأنوار، ج ٣، ص ٢٩٠، ح ٢ (الباب ١٣ من كتاب التوحيد).

٤. مرجع الصفات إلى التنزيه

قال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام:

أَنَّ الْحَيَّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْقَادِرُ الَّذِي لَا يَعْجُزُ، وَالْقَاهِرُ الَّذِي لَا يُغْلَبُ،
وَالْحَلِيمُ الَّذِي لَا يَعْجَلُ، وَالذَّائِمُ الَّذِي لَا يَبِيدُ، وَالْبَاقِي الَّذِي لَا يَفْقُ،
وَالثَّابِتُ الَّذِي لَا يَزُولُ، وَالْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَفْتَكِرُ، وَالْقَزِيرُ الَّذِي لَا يَزِلُّ،
وَالْعَالِمُ الَّذِي لَا يَجْهَلُ، وَالْعَدْلُ الَّذِي لَا يَجُورُ، وَالْجَوَادُ الَّذِي لَا يَسْخَلُ^١.

وقال الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام:

فَقَوْلُكَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدِيرٌ» حَبَّرْتَ أَنَّهُ لَا يَعْجُزُهُ شَيْءٌ، فَكُنَيْتَ بِالْكَلِمَةِ الْعَجْزِ،
وَجَعَلْتَ الْعَجْزَ سَوَاءً، وَكَذَلِكَ قَوْلُكَ: «عَالِمٌ» إِنَّمَا كُنَيْتَ بِالْكَلِمَةِ الْجَهْلِ،
وَجَعَلْتَ الْجَهْلَ سَوَاءً^٢.

وقال الإمام الرضا عليه السلام:

إِنَّمَا سَمِيَ اللَّهُ عَالِمًا، لِأَنَّهُ لَا يَجْهَلُ شَيْئًا^٣.

في هذه المجموعة من الروايات، يقرن الأئمة عليهم السلام كل صفة من الصفات الثبوتية
لله سبحانه، بوصف تنزيهي، ويبين الإمام الجواد عليه السلام أن عالمية الله تعني نفي الجهل
عنه، ويبدوا أن السبب في تفسير الأوصاف بهذه الطريقة، هو أن فهم الإنسان لهذه
الصفات مأخوذ من فهمه لنفسه ونوعه، ذلك لأن الناس - عادة - في غفلة عن المعرفة
الفطرية، ومعرفة الله بالله، ولذلك فإن الأئمة عليهم السلام يريدون بهذه الطريقة أن يفهموا
المخاطبين عدم صحة هكذا تصورات، ويضم الصفات إلى أوصاف تنزيهية وسلبية

١. التوحيد، ص ٧٦، ح ٣٢٦ بحار الأنوار ج ٤، ص ٢٩٦، ح ٢٣ (الباب الرابع من أسمائه تعالى... من كتاب التوحيد)،
روضه المواقفين، ج ١، ص ٣٥.

٢. التوحيد، ص ١٩٣، ح ١٧ الكافي، ج ١، ص ١١٦-١١٧، ح ١٧ بحار الأنوار ج ٢، ص ١٥٣-١٥٤، ح ١ (الباب الثقل من
أبواب أسمائه تعالى... من كتاب التوحيد).

٣. الكافي، ج ١، ص ١٢١، ح ١٢ بحار الأنوار ج ٢، ص ١٧٧، ح ٥ (الباب الثاني من أبواب أسمائه تعالى... من كتاب
التوحيد).

أرادوا سلب هذا التصور من الناس، وأن يقربونهم إلى المعاني الحقيقية والواقعية للأسماء والصفات الإلهية، التي عرفوها بتوصيفه هو عز وجل، ولذكروهم بالمعرفة الفطرية التي تنزه كل تشبيه بين الخالق وخلقه في المعنى.

٥. ملخص الدرس

- الاسم، إما مأخوذ من «وَسَمَّ» بمعنى العلامة وإما من مادة «السَّمَّ» بمعنى العلق والرفعة.
- الاسم علامة مطلقاً، أما الصفة فهي علامة خاصة لازمة للموصوف.
- أسماء الله سبحانه، هي الصفات التي وصف بها نفسه.
- ليس لله اسم إلا وفيه معنى وصفتاً.
- لا يقدر البشر على توصيف الله.
- يجب أن تكون أوصاف الله بتوصيفه هو عز وجل.
- يجب الحذر من توصيف الله بما لم يصف به نفسه، كما يجب الابتعاد عن إدخال العقل والفكر في توصيفه عز وجل.
- بيان المعنى التنزيهي والسلبى للأوصاف الإلهية، كان لجهة تحذير العباد من التشبيه وسوقهم إلى المعرفة الفطرية.

٦. اختبار ذاتي

١. ما معنى الاسم والصفة؟ وما هو وجه الاشتراك ووجه الاختلاف بينهما؟
٢. لماذا يشترك الاسم والصفة بالنسبة إلى أسماء الله سبحانه؟ وضح ذلك.
٣. اشرح قوله ﷺ: «جَلَّ عَمَّا وَصَفَهُ الْوَاصِقُونَ».
٤. كيف يمكن الجمع بين عبارة: «أَصِفْ إِلَهِي بِمَا وَصَفَهُ بِهِ نَفْسُهُ» و«جَلَّ عَمَّا وَصَفَهُ الْوَاصِقُونَ»؟
٥. ما معنى «كَمَالَ الْإِخْلَاصِ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ»؟
٦. ما هو الوجه في ضم المعاني السلبية والتنزيهية إلى الصفات الثبوتية لله سبحانه وتعالى؟



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١٨ الدرس الثامن عشر

الأسماء والصفات (٢)

- الاشتراك اللفظي في الأسماء والصفات
- الأسماء والصفات مخلوقة وهي غير الله
- صفات الذات وصفات الفعل





مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تلميح

بعد الانتهاء من مطالعة الدرس، يتوقع من الطالب أن يعرف نوع الاشتراك في الأسماء والصفات بين الخالق والمخلوق، ويتعرف على معنى الاشتراك اللفظي في الأسماء والصفات، ويحجب على الإشكالات الواردة في المقام، ويعرف أيضاً أن الأسماء مخلوقات، كما يستطيع التمييز بين صفات الذات وصفات الفعل.

قلنا في الدرس السابق أن الاسم والصفة يشتركان في المعنى بالنسبة إلى الله سبحانه؛ بمعنى أن الأسماء التي سُميَ البارئ بها نفسه، كلها تحوي معاني وصفية وصف بها البارئ نفسه. وإذا لم يكن ثم وجه تشابه بين الخالق وخالقه فلا بد أن ننزه الله سبحانه من أوصاف المخلوقين.

ومن جهة أخرى نجد أن بعض الأسماء والصفات مشتركة بين الخالق والمخلوق، وفي هذا الدرس سنتطرق إلى هذا الموضوع.

١. الاشتراك اللفظي في الأسماء والصفات

قال الإمام الصادق (عليه السلام):

فَن قَالَ لِلْإِنْسَانِ وَاحِدٌ، فَهَذَا لَهُ اسْمٌ وَلَهُ شَيْءٌ، وَاللَّهُ وَاحِدٌ وَهُوَ لَهُ اسْمٌ
وَلَا شَيْءَ لَهُ شَيْءٌ وَلَيْسَ الْمَعْنَى وَاحِدًا وَأَمَّا الْأَسْمَاءُ، فَهِيَ دَلَالَتُنَا عَلَى
الْمُسَمَّى^١.

وقال الإمام الرضا (عليه السلام):

سُمِّيَ رُبُّنَا سُمِيْعًا لَا يَجُزُّ فِيهِ يَسْمَعُ بِهِ الصَّوْتُ لَا يُبْصِرُ بِهِ، كَمَا أَنَّ جُزْءَنَا
الَّذِي نَسْمَعُ بِهِ لَا تَقْوَى عَلَى النَّظَرِ بِهِ وَلَكِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَخْبَرَ أَنَّهُ لَا تَخْفَى
عَلَيْهِ الْأَصْوَاتُ لَيْسَ عَلَى حَدِّ مَا سُمِّيْنَا بِهِ عَيْنٌ، فَقَدْ جَمَعْنَا الْاسْمَ بِالسَّمِيعِ
وَاخْتَلَفَ الْمَعْنَى وَهَكَذَا الْبَصِيرُ^٢.

هذه النصوص تنفي أي تشبيه بين الخالق والمخلوق وتبين بصراحة عدم وجود
اشتراك معنوي بين الخالق والمخلوق، فبالرغم من الاشتراك اللفظي إلا أن المعاني
تختلف.

إن البشر يعجز عن السمع بألة البصر ولا يقدر على الإبصار بواسطة آلة السمع،
ولكن هذا الأمر لا يصدق على الله سبحانه.

قال الإمام الرضا (عليه السلام):

إِنَّهُ يَسْمَعُ بِمَا يُبْصِرُ وَيَرَى بِمَا يَسْمَعُ، بَصِيرٌ لَا يَحِيقُ بِمِثْلِ عَيْنِ الْمَخْلُوقِ
وَسَمِيعٌ لَا يَمِثِلُ سَمْعَ السَّامِعِينَ، لَكِنْ لَمَّا لَمْ يَخَفْ عَلَيْهِ خَافِيَةٌ^٣.

ولا يتصور وجود اشتراك بين الخالق والمخلوقين في أصل السمع والأبصار كما

١. بحار الأنوار ج ٣، ص ١٩٥ (الباب الثامن من كتاب التوحيد)؛ الأمل في النجاة، ص ١٥٦.

٢. التوحيد، ص ١٨٨، ح ٤٢ بحار الأنوار ج ٣، ص ١٧٧، ح ٥ (الباب الثاني من أبواب أسمائه تعالى...) من كتاب
التوحيد.٣. التوحيد، ص ٦٥، ح ١٨٨ بحار الأنوار ج ٣، ص ٢٩٢، ح ٢١ (الباب الرابع من أبواب أسمائه تعالى...) من كتاب
التوحيد.

هو مفهوم عندنا؛ لأن الله سبحانه خالق للعقل والفهم البشري، فلا يمكن أن يكون معقول البشر ومفهومهم صفة لله سبحانه فيوصف الله به.

ولابد من الالتفات إلى أن هذا لا يعني التعطيل في معرفة الله؛ بل هو تعطيل للمعرفة الحاصلة من المفاهيم والتصورات والتوصيفات البشرية؛ ذلك لأن البشر يعجزون عن الوصول إلى معرفة الله بشكل مستقل ومن دون تعريفه، بمعنى أن تحصيل المعرفة خارج عن دائرة عقل الإنسان.

إن طريق معرفة الله سبحانه لا يكون إلا عبر تعريفه هو عز وجل، وبالتالي حقيقة الأسماء والصفات أيضاً لابد أن تُعرف بتعريفه هو سبحانه.

قال الإمام الحسين (عليه السلام):

لَا تُدْرِكُهُ الْعُلَمَاءُ بِأَلْبَابِهَا وَلَا أَهْلُ التَّفَكِيرِ بِتَفَكِيرِهِمْ إِلَّا بِالْحَقِيقِ إِيقَانًا بِالْقَيْسِ لِأَنَّهُ لَا يُوصَفُ شَيْءٌ مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ وَهُوَ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ مَا تَصَوَّرَ فِي الْأَوْهَامِ فَهُوَ خِلَافُهُ... احْتَجَبَ عَنِ الْعُقُولِ كَمَا احْتَجَبَ عَنِ الْأَبْصَارِ... بِهِ تُوصَفُ الصِّفَاتُ لَا بِهَا يُوصَفُ وَبِهِ تُعْرَفُ الْمَخَارِفُ لَا بِهَا يُعْرَفُ^١.

وبهذا البيان اتضح أن المراد من الاشتراك اللفظي هنا ليس بمعنى أن اللفظ الواحد يحمل معنيين مفهوميين. بل المراد هو أن اللفظ إن أطلق على المخلوق فللعقل أن يدرك معناه وحدوده، ولكن إن أطلق اللفظ عينه على الخالق فإن فهم معناه يتعذر إلا عبر تعريف الله والمعرفة الفطرية.

إن الله سبحانه اختار لنفسه أسماء وصفاتاً أمر الناس أن يدعوه بها، وإن لم يكن الله يفعل ذلك لكان العباد يواجهون مشكلة فيما إذا أرادوا مناجاته وعبادته، ولم يعلموا كيف يتنادونه وبأي الأسماء يدعونه، سئل الإمام الجواد (عليه السلام) عن أسماء الله وصفاته في الحديث التالي:

١- تحف العقول، ص ١٢٢٢ بحار الأنوار، ج ٢، ص ٣٠، ح ٢٩ (الباب الرابع من أبواب أسمائه تعالى و... من كتاب التوحيد).

أَخْبِرْنِي عَنِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ اسْمَاءٌ وَصِفَاتٌ فِي كِتَابِهِ، وَاسْمَاؤُهُ وَصِفَاتُهُ هِيَ هُوَ؟

فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: ... إِنْ كُنْتَ تَقُولُ هِيَ هُوَ أَيْ إِنَّهُ دُوْعَدِيدٌ وَكَثْرَةٌ فَتَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ وَإِنْ كُنْتَ تَقُولُ: هَذِهِ الصِّفَاتُ وَالْأَسْمَاءُ لَمْ تَزَلْ، فَإِنَّ لَمْ تَزَلْ تُحْتَمِلُ مَعْنَتَيْنِ: فَإِنْ قُلْتَ: لَمْ تَزَلْ عِنْدَهُ فِي عِلْمِهِ وَهُوَ مُسْتَحِقُّهَا فَتَعَمَّ، وَإِنْ كُنْتَ تَقُولُ: لَمْ تَزَلْ تَصَوِّرُهَا وَهَجَاؤُهَا وَتَكْطِيبُ حُرُوفَهَا فَتَعَادَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ شَيْءٌ غَيْرُهُ بَلْ كَانَ اللَّهُ وَلَا خَلْقَ، ثُمَّ خَلَقَهَا وَسَيَلَّةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ يَتَضَرَّعُونَ بِهَا إِلَيْهِ وَيَعْبُدُونَهُ. وَهِيَ ذِكْرُهُ، وَكَانَ اللَّهُ وَلَا ذِكْرَ، وَالتَّذَكُّورُ بِالذِّكْرِ هُوَ اللَّهُ الْقَدِيمُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ. وَالْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ مَخْلُوقَاتٌ، وَالْمَعَانِي وَالْمَعْنَى بِهَا هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا يَخْلُقُ بِهِ الْاِخْتِلَافَ وَلَا الْاِجْتِلَافَ.^١

إشكال

قِيلَ إِنَّ الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتَ لَا تَشْتَرِكُ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ إِلَّا مِنْ جِهَةِ الْأَلْفَاظِ دُونَ الْمَعْنَى وَهَذَا لَيْسَ صَحِيحاً، إِذْ أَنَا نَرَى بَعْضَ اسْمَاءِ الْخَالِقِ وَرَدَّتْ بِصِغَةِ «أَفْعَلُ» التَّفْضِيلِ، وَهَذَا الْوِزْنُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَصْلَ مَعْنَى الْأَسْمَاءِ وَالْمَعْنَى تَشْتَرِكُ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ، وَالْفَرْقُ إِنَّمَا هُوَ فِي الْمَرَاتِبِ وَالدرجات.

الجواب

صَحِيحٌ أَنَّ «أَفْعَلُ» التَّفْضِيلِ، يَدُلُّ عَلَى اشْتِرَاكِ الْمَفْضُلِ وَالْمَفْضَلِ عَلَيْهِ فِي أَصْلِ الْفِعْلِ وَالصِّفَةِ، وَلَكِنْ لَا كَلِيَّةَ لِهَذِهِ الْقَاعِدَةِ، فَإِنَّا نَجِدُ فِي الْكَثِيرِ مِنَ الْمَوَاقِعِ أَنَّ مَعْنَى التَّفْضِيلِ يَسْلُبُ مِنْ هَذَا الْوِزْنِ، وَتَكُونُ بِمَعْنَى اسْمِ الْفَاعِلِ أَوِ الصِّفَةِ الْمُشْتَبِهَةِ.

مِثْلًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾^٢، حَيْثُ وَرَدَ «أَحَبُّ» عَلَى وَزْنِ «أَفْعَلُ» فَالسَّجْنُ يَكُونُ «مَفْضُلاً» وَتَلْبِيَةً طَلَبِ النِّسْوَةِ «مَفْضُلًا»

١. الكافي، ج ١، ص ١١٦، ح ١٧٧ والعوحيد، ص ١٩٢، ح ١٧٦، بحار الأنوار، ج ٤، ص ١٥٣، ح ١ (الباب الأول من أبواب أسمائه تعالى و... من كتاب العوحيد).

٢. يوسف (١١٢)، الآية ٣٣.

عليه، وإن قلنا إنها جاءت بمعنى التفضيل فاللزام هو حب النبي يوسف كلا العاملين - والعياد بالله - ولكنه فضل السجن، والحال أن الأمر لم يكن كذلك قطعاً، حيث لم يكن النبي يوسف يميل إلى ذلك الفعل أبداً.

والأمر عينه يصدق على أسماء الله سبحانه الواردة بصيغة «أفعل» والشاهد على ذلك النصوص الشريفة منها قول الإمام الصادق (ع) في معنى «الله أكبر» حيث روي:

قَالَ رَجُلٌ عِنْدَهُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ؟

فَقَالَ: مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (ع): حَدِّثْنِي فَقَالَ الرَّجُلُ: كَيْفَ أَقُولُ؟ قَالَ: قُلِ اللَّهُ

أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُوصَفَ^١.

وحينما يقول الراوي الله أكبر من كل شيء، قال:

وَكَانَ ثُمَّ شَيْءٌ فَيَكُونُ أَكْبَرَ مِنْهُ؛ فُلْتُ: وَمَا هُوَ فَقَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ

يُوصَفَ^٢.

٢. الأسماء والصفات مخلوقة وهي غير الله

قال الإمام الجواد (ع):

لَمْ يَزَلْ تَصَوِّرُهَا وَهَجَاؤُهَا وَتَقْطِيعُ حُرُوفِهَا فَتَعَاذَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ شَيْءٌ

غَيْرُهُ. بَلْ كَانَ اللَّهُ وَلَا خَلْقٌ، ثُمَّ خَلَقَهَا وَسِبْطَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ يَتَصَرَّعُونَ

بِهَا إِلَيْهِ وَيَعْبُدُونَهُ وَهِيَ ذِكْرُهُ وَكَانَ اللَّهُ وَلَا ذِكْرَ^٣.

وقال الإمام الصادق (ع):

إِنَّمَا عَرَفَ اللَّهُ مَنْ عَرَفَهُ بِاللَّهِ فَكُنْ لَمْ يَعْرِفْهُ بِهِ فَلَيْسَ يَعْرِفُهُ إِنَّمَا يَعْرِفُ غَيْرَهُ

١. الكافي، ج ١، ص ١١٧، ح ١٨؛ التوحيد، ص ٣١٣، ح ١١؛ بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ٢١٩، ح ٢ (الباب التاسع من أبواب أكتار وفضلها... من كتاب التوحيد).

٢. الكافي، ج ١، ص ١١٨، ح ١٩؛ بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ٢١٨، ح ١ (الباب التاسع من أبواب الأكتار... من كتاب القرآن).

٣. التوحيد، ص ١٩٣، ح ١٧؛ الكافي، ج ١، ص ١١٦، ح ١٧؛ بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ١٥٣، ح ١ (الباب الأول من أبواب أسمائه تعالى... من كتاب التوحيد).

لَيْسَ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ شَيْءٌ، وَاللَّهُ خَالِقُ الْأَشْيَاءِ لَا مِنْ شَيْءٍ كَانَ،
وَاللَّهُ يُسَمَّى بِأَسْمَائِهِ وَهُوَ غَيْرُ أَسْمَائِهِ وَالْأَسْمَاءُ غَيْرُهُ.^١

وقال ﷺ أيضاً:

الِاسْمُ غَيْرُ الْمُسَمَّى. فَمَنْ عَبَدَ الْإِسْمَ دُونَ الْمَعْنَى فَقَدْ كَفَرَ، وَلَمْ يَعْبُدْ شَيْئاً.
وَمَنْ عَبَدَ الْإِسْمَ وَالْمَعْنَى فَقَدْ كَفَرَ وَعَبَدَ اثْنَيْنِ وَمَنْ عَبَدَ الْمَعْنَى دُونَ الْإِسْمِ
فَذَلِكَ... إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً فَلَوْ كَانَ الْإِسْمُ هُوَ الْمُسَمَّى لَكَانَ كُلُّ
اسْمٍ مِنْهَا إِلَهاً وَلَكِنَّ اللَّهَ مَعْنَى يُدُلُّ عَلَيْهِ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ وَكُلُّهَا غَيْرُهُ.^٢

المراد من الاسم في هذه الروايات هو الأسماء اللفظية التي جعلها الله سبحانه
علامات تدلُّ عليه، وخلقها ليدعوه ويعبدوه بها، ويهدون الآخرين إليه عبرها. إنَّ
هذه الأسماء ذكر الله سبحانه وبها يتوجه الإنسان إلى خالقه فيذكره.

فلا موضوعية للاسم في قضية العبادة، وعلى الإنسان أن لا يرى لها موضوعية
في عبادة الله سبحانه، بل لابد أن يصل إلى المعنى بتوسطها - وهو المعروف
بالفطرة والذي عرفه به - فيعبده ويخضع ويخشع له. وينبأ على قول الإمام
الصادق ﷺ، فَإِنَّ اللَّهَ الْمَعْبُودَ «مَعْرُوفٌ عِنْدَ كُلِّ جَاهِلٍ»^٣، ولكن هذه الأسماء
ليست سوى ألفاظ، وبالتالي فلا معنى لعبادتها وقد قال ﷺ: «إِنَّ مَنْ عَبَدَ الْإِسْمَ
دُونَ الْمُسَمَّى بِالْأَسْمَاءِ، فَقَدْ أَشْرَكَ وَكَفَرَ وَجَحَدَ وَلَمْ يَقْبُذْ شَيْئاً».

٣. صفات الذات وصفات الفعل

عن أبي بصير: قلت لأبي عبد الله ﷺ:

١. التوحيد، ص ١٢٣، ح ٤٧ بحار الأنوار ج ٢، ص ١٦١، ح ٦ (الباب الأول من أبواب أسمائه تعالى و... من كتاب
التوحيد).

٢. الكافي، ج ١، ص ٨٧، ح ٤٢ بحار الأنوار ج ٢، ص ١٥٧، ح ٢ (الباب الأول من أبواب أسمائه تعالى و... من كتاب
التوحيد).

٣. الكافي، ج ١، ص ٩١، ح ١٢ بحار الأنوار ج ٢، ص ٢٨٦، ح ١٨ (الباب الرابع من أبواب أسمائه تعالى و... من كتاب
التوحيد).

قَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ مُتَكَلِّمًا؟ قَالَ: فَقَالَ إِنَّ الْكَلَامَ صِفَةٌ مُخَدَّئَةٌ لَيْسَتْ بِأَرْثِيَّةٍ. كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا مُتَكَلِّمًا^١.

عن عاصم بن حميد: سألت الإمام الصادق (عليه السلام):

قُلْتُ لَمْ يَزَلِ اللَّهُ مُرِيدًا؟ قَالَ: إِنَّ الْمُرِيدَ لَا يَكُونُ إِلَّا لِإِرَادَةِ مَعَهُ لَمْ يَزَلِ اللَّهُ عَالِمًا قَادِرًا ثُمَّ أَرَادَ^٢.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله:

الْمُشِيشَةُ مُخَدَّئَةٌ^٣.

وقال الإمام الرضا (عليه السلام) لسليمان المروزي عن الإرادة:

هِيَ مُخَدَّئَةٌ. يَا سَلِيمَانُ، فَإِنَّ الشَّيْءَ إِذَا لَمْ يَكُنْ أَرْثِيًّا كَانَ مُخَدَّنًا... ثُمَّ قَالَ الرِّضَا (عليه السلام): يَا سَلِيمَانُ، أَلَا تُخْبِرُنِي عَنِ الْإِرَادَةِ فِعْلٌ هِيَ، أَمْ غَيْرُ فِعْلٍ؟ قَالَ: بَلْ هِيَ فِعْلٌ. فَقَالَ (عليه السلام): فَبِهِي مُخَدَّئَةٌ لِأَنَّ الْفِعْلَ كُلَّهُ مُخَدَّنٌ^٤.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام):

كَانَ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا مُتَكَلِّمًا وَلَا مُرِيدًا وَلَا مُعْتَرِكًا وَلَا قَاعِلًا. جَلَّ وَعَزَّ رَبُّنَا، فَجَمِيعُ هَذِهِ الصِّفَاتِ مُخَدَّئَةٌ عِنْدَ حُدُوثِ الْفِعْلِ مِنْهُ^٥.

بالالتفات إلى هذه النصوص يتضح معنى صفات الذات وصفات الفعل عند أهل البيت (عليهم السلام)، فميزة صفات الفعل أن الله سبحانه لا يتصف بها منذ الأول، بل بحدوث الفعل اتصف بها؛ بخلاف صفات الذات التي لا يمكن سلبها في حال

١. التوحيد، ص ١٣٩ بهار العلوم ج ٢، ص ٧٢، ح ١٨ (الباب الأول من أبواب أسمائه تعالى و... من كتاب التوحيد).

٢. الكافي، ج ١، ص ١٠٩، ح ١٤ بهار العلوم ج ٥٢، ص ١٤٣، ح ١٠١ (الباب الأول من أبواب كليات أحوال العالم من كتاب السماء والعالم).

٣. الكافي، ج ١، ص ١١٠، ح ١٧ بهار العلوم ج ٢، ص ١٢٢، ح ١٢ (الباب الرابع من أبواب الصفات... من كتاب التوحيد).

٤. التوحيد، ص ٢٢٥، ح ١١ بهار العلوم ج ١٠، ص ٣٣٣، ح ٢ (الباب ١٩ من أبواب احتجاجات أمير المؤمنين (عليه السلام) ... من كتاب الاحتجاج).

٥. التوحيد، ص ٢٢٧، ح ١٧ بهار العلوم ج ٥، ص ٣٦، ح ١٣٩ (الباب الأول من أبواب العدل... من كتاب التوحيد).

من الأحوال عن الله سبحانه.

وتبين أيضاً أن صفات الفعل تنتج شيئاً غير الله بخلاف صفات الذات، فمثلاً لابدّ للمشيئة من متعلّق ولابدّ للإرادة من مراد، في حال أن العلم لا يحتاج إلى معلوم، والقدرة لا تحتاج إلى مقدورة، كما أن الحياة لا تستوجب وجود أمر في عرض الله سبحانه.

وقد اختلفت تعابير أهل البيت عليهم السلام في الحديث عن صفات الذات، ننقل فيما يلي بعضاً منها:

قال الإمام الرضا عليه السلام:

قُلَّم يَزَلِ اللَّهُ عَرْزَ وَجَلِّ عِلْمُهُ سَابِقاً لِلْأَشْيَاءِ قَدِيماً قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهَا، فَتَبَارَكَ رَبُّنَا تَعَالَى عُلُوّاً كَبِيراً، خَلَقَ الْأَشْيَاءَ وَعِلْمُهُ بِهَا سَابِقٌ لَهَا كَمَا شَاءَ كَذَلِكَ، لَمْ يَزَلْ رَبُّنَا عَلِيماً سَمِيحاً بَصِيراً.^١

ونقرأ في مناظرة الإمام الرضا عليه السلام مع سليمان المروزي:

قَالَ سُلَيْمَانُ: إِنَّمَا [أَيْ الْإِرَادَةُ] كَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْعِلْمِ؟

قَالَ الرِّضَا عليه السلام: ... فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْعِلْمِ أَمْصُوعٌ؟

قَالَ سُلَيْمَانُ: لَا.

قَالَ الرِّضَا عليه السلام: فَكَيْفَ تَقِيْمُوهُ قَرَرٌ قُلَّم لَمْ يَزِدْ، وَمَرَّةٌ قُلَّم أَرَادَ وَلَيْسَتْ بِمَفْعُولٍ لَهُ؟

قَالَ سُلَيْمَانُ: إِنَّمَا ذَلِكَ كَقَوْلِنَا مَرَّةً عَلِمَ وَمَرَّةً لَمْ يَعْلَمْ.

قَالَ الرِّضَا عليه السلام: لَيْسَ ذَلِكَ سَوَاءً. لِأَنَّ نَفْيَ الْمَعْلُومِ لَيْسَ بِنَفْيِ الْعِلْمِ وَنَفْيِ الْمُرَادِ نَفْيُ الْإِرَادَةِ أَنْ تُكُونْ، لِأَنَّ الشَّيْءَ إِذَا لَمْ يَزِدْ لَمْ يَكُنْ إِزَادَةً وَقَدْ يَكُونُ الْعِلْمُ قَائِماً وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَعْلُومُ بِمَنْزِلَةِ الْبَصَرِ فَقَدْ يَكُونُ الْإِنْسَانُ بَصِيراً وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمُبْصَرُ.^٢

١. التوحيد، ص ١٣٧، ح ٨؛ بهار العلوم، ج ٢، ص ٧٩، ح ١ (الباب الثاني من أبواب الصفات... من كتاب التوحيد).

٢. التوحيد، ص ٢٢٩، ح ١؛ بهار العلوم، ج ١٠، ص ٣٣٤، ح ٢ (الباب ١٩ من أبواب احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب الإحجاج).

قال الإمام الصادق عليه السلام:

لَمْ يَزَلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَبَّنَا وَالْعِلْمُ ذَاتُهُ وَلَا مَعْلُومٌ، وَالسَّمْعُ ذَاتُهُ وَلَا مَسْمُوعٌ،
وَالْبَصَرُ ذَاتُهُ وَلَا مُبْصَرٌ، وَالْقُدْرَةُ ذَاتُهُ وَلَا مَقْدُورٌ^١

ويقول عليه السلام في رواية أخرى:

لَمْ يَزَلِ اللَّهُ عَلِيماً سَمِيعاً بَصِيراً ذَاتٌ عَلَامَةٌ سَمِيعَةٌ بَصِيرَةٌ^٢

ويقول أيضاً:

رَبَّنَا نُورِي الذَّاتِ، حَيِّ الذَّاتِ، عَالِمِ الذَّاتِ، صَمَدِي الذَّاتِ^٣.

وقد سأل تذييق الإمام الصادق عليه السلام:

أَقُولُ إِنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ؟

قَالَ عليه السلام: هُوَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، سَمِيعٌ بِغَيْرِ جَارِحَةٍ وَبَصِيرٌ بِغَيْرِ آلَةٍ، بَلْ يَسْمَعُ بِنَفْسِهِ
وَيُبْصِرُ بِنَفْسِهِ، لَيْسَ قَوْلِي إِنَّهُ سَمِيعٌ يَسْمَعُ بِنَفْسِهِ وَبَصِيرٌ يُبْصِرُ بِنَفْسِهِ، أَنَّهُ
شَيْءٌ وَالنَّفْسُ شَيْءٌ آخَرٌ وَلَكِنْ أَرَدْتُ عِبَارَةً عَنْ نَفْسِي إِذْ كُنْتُ مَسْئُولاً
وَأَفْهَاماً لَكَ إِذْ كُنْتُ سَائِلاً فَأَقُولُ إِنَّهُ سَمِيعٌ بِكَالِهِ لَا أَرَى الْكُلَّ مِنْهُ، لَهُ بَعْضٌ
وَلِكُنِّي أَرَدْتُ إِفْهَامَكَ وَالتَّعْبِيرُ عَنْ نَفْسِي وَلَيْسَ مَرْجِعِي فِي ذَلِكَ إِلَّا إِلَى أَنَّهُ
السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الْعَالِمُ الْخَبِيرُ بِلَا اخْتِلَافِ الذَّاتِ وَلَا اخْتِلَافِ الْمَعْنَى^٤.

الحديث في هذه النصوص، عن كون الله سبحانه عالماً قادراً، حياً، بصيراً
سميعاً صمداً .. ذاتاً. وحينما يكون العلم ذاته فلا معنى للجهل فيه وحينما يكون
قدرة ذاتاً فلا مجال للعجز فيه. وحينما يكون حياً بذاته فلا سبيل للموت عليه،

١. التوحيد، ص ١٣٩، ح ١١ بحار الأنوار ج ٢، ص ٧١، ح ١٨ (الباب الأول من أبواب صفات... من كتاب التوحيد).

٢. التوحيد، ص ١٣٩، ح ١٢ بحار الأنوار ج ٢، ص ٧٢، ح ١٩ (الباب الأول من أبواب صفات... من كتاب التوحيد).

٣. التوحيد، ص ١٤٠، ح ١٤ بحار الأنوار ج ٢، ص ٦٨، ح ١٢ (الباب الأول من أبواب صفات... من كتاب التوحيد).

٤. التوحيد، ص ١٣٥-١٣٦، ح ١١ بحار الأنوار ج ٢، ص ٦٩-٧٠، ح ١٥ (الباب الأول من أبواب صفات... من كتاب

وحينما يكون نوراً بذاته فسوف لا يكون للظلمة فيه مجال، لأن من البديهي وجود التنافي والتضارب بين العلم والجهل، والنور والظلمة، والحياة والموت، كما أن العلم غير الجهل والنور مغاير للظلمة.

وحين نقول إنه عالم ذاتاً وقادر وحي وبصير... ذاتاً، فإن ذلك لا يعني أن الذات شيء والعلم شيء ثان لازم للذات، وهكذا الأمر بالنسبة إلى سائر الصفات الذاتية، كما أنه لا يعني أن الاختلاف في مفاهيم هذه الأسماء والصفات موجب لاختلاف الذات والمعنى؛ بل المراد من هذه التعابير والأسماء والصفات، التذكير وتوجيه الناس إلى معرفة الله وكلماته، التي يعرفها الإنسان بالتعريف الإلهي والتي فطر عليها.

فإذا أراد أحد أن يبني أسس معرفة الله على مفاهيمه وتصوراتهِ ومن جهة أخرى يجعل صفات الرب عين ذاته، فمن الواضح ستكون النتيجة أن اختلاف مفاهيم الأسماء والصفات سيسري إلى المعنى والذات أيضاً، وقد قلنا سابقاً أن الله منزّه عن توصيف عباده والمفاهيم والتصورات حتى لو كانت عقلية تبقى مخلوقة للإنسان مباينة مع الخالق عز وجل الخالق للإنسان وتصوراتهِ. قال الإمام الحسن (عليه السلام) :

فَلَا تُدْرِكُ الْقَوْلُ وَأَوْهَامُهَا، وَلَا الْفِكْرُ وَخَطَرَاتُهَا، وَلَا الْأَكْبَابُ وَأَذْهَابُهَا صِفَتُهُ^١.

إن المفاهيم - مهما بلغت سعة - تبقى محدودة، والمفهوم العام للعلم يختلف عن المفهوم العام للقدرة، وهكذا فإن المفهوم العام لوجود الشيء مغاير لمفهوم الحياة، وهكذا بالنسبة إلى سائر المفاهيم، والحال أن الله لا يحدّ بحدّ، فإذا أراد أحد أن يعرف الله بالمفاهيم فإنه سينزله في حدود المفاهيم وبالتالي سيحدّه سبحانه وتعالى. وبناءً على ذلك، فلا بدّ من الخروج من حدود المفاهيم في إطلاقنا للأسماء والصفات بالنسبة إلى الله سبحانه، ونجعلها (أي الأسماء والصفات) علامات وآيات دالة على الله عز وجل.

١- التوحيد، ص ٢٥، ح ٥٥؛ بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٨٩، ح ٢٠ (الباب الرابع من أبواب أسمائه تعالى... من كتاب التوحيد).

وذلك لا يعني أن البشر جعلوا الأسماء علامات تدل على الله بأنفسهم، بل إن الله سبحانه هو من جعل هذه الأسماء وأجاز لنا أن ندعوه بهذه الأسماء والعلامات. وكما مر سابقاً إن الاسم والصفة بمعنى العلامة ومن الواضح أن علامة كل شيء مغاير لذاته ولا يستلزم هذا القول تعطيل معرفة الله وكماله، لأن كل إنسان يعرف الله وكماله بالفطرة وهذه الألفاظ إنما وجدت للتذكير والتوجه إليه سبحانه. ويدهي أن كون الشيء علامة وآية لشيء آخر، فرع معرفة الشئيين ومعرفة الارتباط المجعول بينهما.

وبالتأمل في هذه النقطة، فصل إلى علة توقيفية أسماء الله سبحانه، فحين تكون المعرفة ممكنة بتعريفه هوفقط، في هذه الحالة فإنه هو من يجعل الشيء آية له وعلامة دالة عليه.

لولا بحث الرسل وتوجيههم الناس إلى الله سبحانه ولولا تعليمهم هذه الأسماء لمناجاة الرب ودعوته، لاحتار الناس في اختيار الأسماء في مقام ذكرهم لله ودعائهم وعبادتهم. فحينما يريد شخص أن ينادي أحداً فإنه سيتفق معه على اسم معين بأن يقول إني سأناديك بالاسم الفلاني، أو يقول المنادي ادعني بكذا، وحيث أننا لا نملك تلك المعرفة لله التي تسمح لنا أن نختار له اسماً أو علامة، أو نستشير في هذا المجال، لذلك فإن الله تفضل علينا وأحسن إلينا بأن علمنا - عبر أنبياءه - أسماء التي ندعوه بها.

وينبغي التذكير إلى أن ما قلناه سالفاً حول صفات الذات - إنها خارجة عن حدود المفاهيم والتصورات - يجري بالنسبة إلى صفات الفعل أيضاً. ولا بد من الالتفات إلى أن فعل الله سبحانه مثل ذاته لا طور له ولا كيف، ولذلك فإنه ليست قابلة للبيان العقلي والإدراك، وأن نور العقل لا يقدر على إضاءة هذا المجال. فكما يجب الرجوع إلى الآيات والروايات فيما يرتبط بصفات الذات، كذلك لا بد أن يرجع الإنسان إلى مصادر الوحي فيما يتعلق بصفات الفعل وأن لا يتعداها.

٤. ملخص الدرس

- ليس هناك ثم اشتراك معنوي بين الخالق والمخلوق، فبالرغم من اشتراك اللفظ إلا أن المعاني مختلفة.
- ما هو مفهوم عقل لا يمكن أن يكون صفة الله سبحانه.
- المعرفة الحاصلة من ناحية المفاهيم والتصورات والأوصاف المفهومية هي عين تعطيل الله.
- الأسماء والألفاظ بالنسبة إلى الله لا مفهوم لها ومعناها هو الله المعروف بالقطرة.
- يسلب معنى التفضيل من وزن «أفعل» في الأسماء والصفات الإلهية ويتحول إلى اسم الفاعل أو الصفة المشتبهه.
- الأسماء اللفظية لله مخلوقة ويتوجه الناس بها إلى الله ويدعونه بها.
- ليس للاسم أي موضوعية في عبادة الله سبحانه، والمعنى والمستوى - المعروف عند الإنسان - لابد أن يعبد بواسطة الأسماء.
- الرب سبحانه ليس موصوفاً بصفات الفعل من الأزل أما صفات الذات فلا يمكن سلبها عنه في حال من الأحوال.
- في إطلاق الأسماء والصفات لله سبحانه لابد أن نخرج من حدود المفاهيم ونجعلها علامات لله.
- أسماء الله توقيفية، لأن معرفته لا تمكن إلا بتعريفه، لذلك لا يكون شيء علامة وآية عليه إلا إذا جعلها سبحانه كذلك.

٥. اختبار ذاتي

١. ما نوع الاشتراك في الأسماء والصفات بين الخالق والمخلوقين؟ لماذا؟
٢. أيهما يجر إلى التعطيل: القول بالاشتراك اللفظي أو القول بالاشتراك المعنوي؟
٣. ما هو دور الأسماء والصفات في معرفة الله سبحانه؟
٤. هل يدل وزن «أفعل» في بعض الأسماء الحسنى على وجود إشترك معنوي؟ (أجب مفصلاً).

٥. ما هو المراد من كون الأسماء والصفات مخلوقة؟
٦. هل للأسماء والصفات موضوعية في عبادة الله سبحانه؟ (أجب بالتفصيل).
٧. لو كانت صفات كالعلم والقدرة عين الذات، فما هو الضير من القول بالإشتراك المعنوي؟
٨. ما هي الإشكالات المترتبة على تأسيس معرفة الله على مباني التصورات والمفاهيم العقلية؟
٩. ماذا يعني القول بأن أسماء الله سبحانه توقيفية؟



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفهارس

- فهرس الآيات الكريمة
- فهرس الروايات الشريفة
- فهرس مصادر التحقيق



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فهرس الآيات الكريمة

الصفحة	الآية	الماتحة (١)
١٥٦	٦	اهلينا الصراط المستقيم
		البقرة (٢)
٣٥	١٣٥	وقالوا كثرنا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة...
٣٥	١٣٦	قلوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى...
٣٥	١٣٧	فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا...
٣٥	١٣٨	صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة...
١٥٦	١٥٢	فأذكروني أذكركم...
١٦٧	١٨٥	ولم يكذبوا الله على ما هداهم ولم يكفهم تشكرون
٥٢، ٥٣	٢١٣	كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين...
١٧١	٢٧٢	ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من...
١٧٣، ١٧٤	٢٨٦	لا يكلف الله نفساً إلا وسعها...
		آل عمران (٣)
٣٠	١٩	إن الذين عند الله الإسلام...
٣٠	٦٧	ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن...
٤٠	٨٣	أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السماوات...
٣٠	٨٤	قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على...
٣٠	٨٥	ومن يشق حيز الإسلام ديناً فلن يقبل منه...
٦٩	٩٥	فألبسوا ملة إبراهيم حنيفاً...

الآية	الصفحة	مآلحه (٥)
١٠١	١٩٨	اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم
٢٠	٥٧، ٥٨	الاعلام (٦)
٢١	٥٧، ٥٨	قل أريدكم إن أنتم عذاب الله أو أتيتكم الساعة...
٧٧	٥٢	بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء...
١٠٠	٢٣٩	لئن لم يهدني ربِّي لأكونن من الخاسرين
١٥٢	١٧٣	سبحانه وتعالى عما يصفون
		لا تكلف نفساً إلا وسعها...
		الاصراف (٩)
١٧٢	١٠٦، ١١٠، ١٢٢	وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم...
١٧٣	١٠٦	أو تقولوا إنما أشرك آبائنا من قبل وكنا ذرية...
٧٤	١١٩، ١٢٩	يونس (١٠)
		فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل...
١١٩	١٧	هود (١١)
		إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم...
٣٣	٢٥١	يوسف (١٢)
٩٠	١٣٧	قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه...
		إلك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي...
		إبراهيم (١٣)
٧	١٨٩	لئن شكرتم لأزيدنكم...
٩	٢٣	ألم يأتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح...
١٠	٢٣	قالت رسلهم أهي الله فك...
٣٢	١٦١	وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها...
		الحل (١٤)
١٢٣	٦٩	والتبع ملة إبراهيم حنيفاً...
		الإسراء (١٥)
١٥	٦٠	ما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
٢٢	٧٥	ولكن لا نفقهون نسيحهم...
٦٧	٦٠	فلما تجأتم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا

الصفحة	آية	مريم (١٤)
١٨٩	٧٦	وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى...
		الحق (٢٢)
١٢١	٥	يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَحْثِ فَاثْنُوا...
٢٢	٣٠	فَاجْعَلُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْتَانِ وَاجْعَلُوا قَوْلَ الرُّورِ
٢٢	٣١	مُخْتَلَفًا لَهُ فَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ...
		المؤمنون (٢٣)
٥١	٨٢	قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
٥١	٨٥	سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
٥١	٨٦	قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ
٥١	٨٧	سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ
٥١	٨٨	قُلْ مَن يَدِينُهُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَاوِزُ...
٥١	٨٩	سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ
		النور (٢٤)
٥٩، ٦١	٣٩	وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَّةٍ...
١٧١	٢٠	مَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ
		النمل (٢٥)
٧٠، ٢٢٣	١٣	فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ
٧٠، ٢٢٣	١٤	وَجَعَلُوا بِهَا وَأَسْخَفْتَنَاهَا أَنْفُسَهُمْ ظُلُمًا وَعُتُلًا...
٥٧	٦٢	أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ...
		القصص (٢٦)
١٧١	٥٦	إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ...
		العنكبوت (٢٧)
٥٠، ٥١، ٥٢، ٦٨، ٢٢٢	٦١	وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ...
٥٠	٦٢	اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ...
٥١، ٢٢٢	٦٣	وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَن نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ...
٦٠	٦٥	فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ
١٨٩	٦٩	الَّذِينَ جَاءُوا فَيَدِينُهُمْ لَنُفِيقَهُمْ شَيْئًا...

الصفحة	الآية	الروم (٣٠)
٣٩	٣٠	فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتِ اللَّهِ...
		يعن (٣٦)
٦٧	٦١	أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ...
٦٧	٦١	وَأَنْ اغْتَبِلُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ
		الصالحات (٣٨)
٦٩	٨٣	وَيَرْاكَ مِنْ شِمْعَيْنِهِ لِبَرَاهِيمَ
		الزمر (٣٩)
٢٠٣	٧	وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ...
١٢٧	٦٧	وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ...
		طه (٣٠)
٥٦	١٣	هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقاً...
		شورى (٤٢)
٦٩	١٣	مُسْرِعَ لَكُمْ مِنَ الَّذِينَ مَا وُصِيَ بِهِ لَوْحاً...
		محمّد (٣٨)
١٨٨، ١٨٩، ١٩٥	١٧	وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى...
١٩٨، ٢٠٦	١٩	فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ...
		الحجرات (٥١)
٢٣، ٣٥	٥٦	وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ
		الحجم (٥٣)
٢١١	٢٢	وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى
١١٩، ١٢٠	٥٦	هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّارِ الْأُولَى
		التغابن (٦٤)
١٨٩	١١	وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ...
		الحجرات (٦٥)
١٧٣، ١٧٤	٧	لَا يَكْفِيكَ اللَّهُ تَعْساً إِلَّا مَا آتَاهَا...

الآية	الصفحة	الإنسان (١٤)
٣	١٧٧	إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِنَّمَا شَاكَرَ وَإِنَّمَا كَفَّورًا
		الغاشية (٨٨)
١٧	٥٥	أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْرَهِيمَ كَيْفَ خُلِقَ
١٨	٥٥	وَالِى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَ
١٩	٥٦	وَالِى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ
٢٠	٥٦	وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ
٢١	٥٦	فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ
٢٢	٥٦	لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ
		الليل (٩٢)
١٢	١٧١	إِنِّ عَلَيْنَا لِلْهَدَى
		الإطلاس (١١٢)
١	٦٩	قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فهرس الروايات الشريفة

الصفحة	الرواية	المعصوم
٢٢٠	أَتَمَعْتُ اللَّهَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: هَاتِ. قُلْتُ: هُوَ...	الإمام الصادق عليه السلام
١٨٢	أَمِي مُكَتَسِبَةٌ؟ قَالَ: لَا. قَوْلٌ لَهُ: فَمَنْ صَنَعَ اللَّهُ...	الإمام الصادق عليه السلام
٢٥٨	أَتَقُولُ إِنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ؟ قَالَ ﷺ: هُوَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ...	الإمام الصادق عليه السلام
٢٢٦	الْأَخَذَ وَالْوَاحِدَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ وَهُوَ الْمُنْفَرِدُ الَّذِي...	الإمام الباقر عليه السلام
٢٥٣	أَخْبِرْنِي عَنِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ أَسْمَاءٌ وَصِفَاتٌ...	الإمام الجواد عليه السلام
١١٩	أَخْرَجَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ ذُرِّيَّةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَخَرَجُوا...	الإمام الباقر عليه السلام
١٢٢	إِذَا خَرَجْتَ الرُّوحَ مِنَ الْبَدَنِ، خَرَجَتْ اللَّطْفَةُ الَّتِي...	الإمام الباقر عليه السلام
٢٠٥	أَرَوِي أَنَّ الْمَعْرِفَةَ الْغَصْبِيَّةَ وَالْإِسْلِيمَ وَالْإِخْلَاصَ...	الإمام الرضا عليه السلام
٧٢-٢١٢	أَسَأَلْتُكَ بِعُوجِيذِكَ الَّذِي فَطَرْتَ عَلَيْهِ الْقَوْلَ...	الإمام الصادق عليه السلام
٢٣٩	أَسِمَ عَلَى نَفْسِي سِمَةً مِنْ سِمَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هِيَ...	الإمام الباقر عليه السلام
٢٥٥	الْإِسْمُ غَيْرُ الْمُسَمَّى. فَمَنْ عَبَدَ الْإِسْمَ دُونَ الْمَعْنَى...	الإمام الصادق عليه السلام
٢٢٢	أَصَفْتُ إِلَهِي بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ...	الإمام الحسين عليه السلام
١٨٨	أَصْلَحَكَ اللَّهُ إِنَّ قَوْمًا مِنْ أَصْحَابِنَا يَزْعُمُونَ أَنَّ...	الإمام عليه السلام
١٣٥، ١٥٢، ١٦١	أَعْرِقُوا اللَّهَ بِاللَّهِ...	الإمام الصادق عليه السلام
٣٠	أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ الْعِلْمُ بِاللَّهِ	الإمام الصادق عليه السلام
١٧٥	أَصْلَحَكَ اللَّهُ هَلْ جَعَلَ فِي النَّاسِ أَدَاءَ يَنَالُونَ بِهَا...	الإمام الصادق عليه السلام
٢٣١	إِلَهِي إِلَهِي أَشْهَدُ أَنَّكَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَعْبُودُ...	حضرت زهرا عليها السلام

الإمام العسكري عليه السلام	إِلَهِي بِكَ عَزَّتْكَ وَبِكَ اهْتَدَيْتَ إِلَى أَمْرِكَ، وَوَلَا ...	١٣٨
الإمام السجاد عليه السلام	إِلَهِي وَتَسْبِيحِي بِكَ عَزَّتْكَ وَبِكَ اهْتَدَيْتَ إِلَى ...	١٣٨
الإمام الصادق عليه السلام	الإمام عَلِمَ فِيهَا نَبِيَّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَنَبِيَّ خَلْقِهِ. فَمَنْ ...	٢٠٦
الإمام الرضا عليه السلام	أَنَّ أَفْضَلَ الْفَرَائِضِ - تَعَدُّ مَعْرِفَةَ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ - ...	٢٠١
الإمام الصادق عليه السلام	إِنَّ أَفْضَلَ الْفَرَائِضِ وَأَوْجِبَهَا عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَةُ ...	٢٠٠
أمير المؤمنين عليه السلام	إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَقَّضَ بِهِ الْمُتَوَقِّضُونَ إِلَى اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ ...	٧١
الإمام الصادق عليه السلام	أَنَّ الْأَرْوَاحَ فِي شَرْفِهَا وَعِلْوِيَّتِهَا، مَتَى مَا مَرَّكَتْ عَلَى ...	١٠٦
الإمام الباقر عليه السلام	إِنَّ الْأَسْمَاءَ صِفَاتٌ وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ	٢٣٨
الإمام الصادق عليه السلام	إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا أَخَذَ مَوَالِيكَ الْعِبَادَ أَمَرَ ...	١٢٢
الإمام الصادق عليه السلام	إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا ذَرَأَ الْخَلْقَ فِي الدُّنْيَا الْكُلِّ ...	١٢١
أمير المؤمنين عليه السلام	إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَوْ شَاءَ لَعَرَفَ الْوَيْدَ نَفْسَهُ ...	٢١٨
الإمام الباقر عليه السلام	إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَةَ الْأُخْرَى ...	١٢٥
الإمام الصادق عليه السلام	إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ النَّاسَ عَلَى الْفِطْرَةِ الْيُسْرَى ...	٥٥
الإمام الكاظم عليه السلام	إِنَّ النَّاسَ أَتَبَهُمْ فَحَقَّ كَسْبُهُ عَلَى عَهْدِ سُلَيْمَانَ بْنِ ...	٧٥
الإمام الصادق عليه السلام	إِنَّ أَمْرَ اللَّهِ كُلَّهُ عَجِيبٌ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ احْتَجَّ عَلَيْكُمْ ...	١٧٦
الإمام الرضا عليه السلام	إِنَّ أَوْفَاءَ الْقُلُوبِ أَكْثَرُ مِنْ أَبْصَارِ الْعَيْنِ ...	٢١٣
الإمام الصادق عليه السلام	أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَهُوَ مَعَ أَصْحَابِهِ ...	٨٤
الإمام الصادق عليه السلام	إِنَّ لِمُحِبِّيَّيْنَا فِي السَّيْرِ وَالْعَلَاتِيَةِ عِلَاقَاتٍ يُعْرَفُونَ بِهَا ...	١٦٢
الإمام عليه السلام	إِنَّ مَعْرِفَةَ حَقِيقَةِ الشَّاهِدِ قَبْلَ قَبْوِهِ وَمَعْرِفَةُ صِفَتِهِ ...	١٥١
الإمام الصادق عليه السلام	إِنَّ مَنْ عَبَدَ الْإِسْمَ دُونَ الْمُسَمَّى بِالْأَسْمَاءِ فَقَدْ ...	٢٥٢
الإمام الصادق عليه السلام	أَنَّ مِنْ قَوْلِنَا إِنَّ اللَّهَ يَحْتَجُّ عَلَى الْعِبَادِ بِالَّذِي آتَاهُمْ ...	١٧٦
الإمام الصادق عليه السلام	إِنَّ نُطْقَةَ الْمُؤْمِنِ لَتَكُونُ فِي صَلْبِ الْمُشْرِكِ، فَلَا ...	١٢٥
الإمام الصادق عليه السلام	إِنَّمَا احْتَجَّ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ بِمَا آتَاهُمْ وَعَزَّوَلَّهُمْ	١٧٦
الإمام الرضا عليه السلام	إِنَّمَا سَمَّيَ اللَّهُ عَالِمًا، لِأَنَّهُ لَا يَجْهَلُ شَيْئًا ...	٢٤٢
الإمام الصادق عليه السلام	إِنَّمَا عَرَفَ اللَّهُ مَنْ عَرَفَهُ بِاللَّهِ فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ بِهِ فَلَيْسَ ...	٢٥٣
الإمام الباقر عليه السلام	إِنَّمَا يَعْرِفُ اللَّهُ مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ فَأَمَّا مَنْ لَا يَعْرِفُ اللَّهَ ...	٢٠٥
الإمام الكاظم عليه السلام	أَنَّ الْحَقَّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْقَادِرَ الَّذِي لَا يَعْجُزُ ...	٢٤٢

الإمام الرضا عليه السلام	إِنَّهُ يَسْمَعُ بِمَا يُبْصِرُ وَيَسْمَعُ بِمَا يَسْمَعُ، بَصِيرًا لَا يَحْتِجُ ...	٢٥٠
الإمام الصادق عليه السلام	إِلَى نَظَرْتِ قَوْمًا، فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ ...	١٣٠
الإمام الكاظم عليه السلام	أَوَّلُ الدِّيَانَةِ بِهِ مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ تَوْجِيهُهُ ...	١٩٦
أمير المؤمنين عليه السلام	أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ ...	١٧، ١٩٦
الإمام الرضا عليه السلام	أَوَّلُ عِبَادَةِ اللَّهِ مَعْرِفَتُهُ ...	٢٣، ١٩٨
الإمام الرضا عليه السلام	أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ اسْتِزَادَ لِأَذْيِهِ وَاحْتِصَامَ ...	١٩١
الإمام الصادق عليه السلام	أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ؟ ...	٢٠١
الإمام السجاد عليه السلام	أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَهُ: مَا مِنْ ...	٢٠١
الإمام الحسين عليه السلام	أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ذِكْرُهُ مَا خَلَقَ الْعِبَادَ ...	٢٢
الإمام الرضا عليه السلام	بِالْعُقُولِ يُعْتَقَدُ مَعْرِفَتُهُ وَبِالْفِطْرَةِ تُثَبِّتُ حُجَّتُهُ ...	٧٠
الإمام الرضا عليه السلام	بِالْفِطْرَةِ تُثَبِّتُ حُجَّتُهُ ...	١٣٧، ١٧٧
الإمام الرضا عليه السلام	بِصْنَعِ اللَّهِ يُسْتَدَلُّ عَلَيْهِ وَبِالْعُقُولِ يُعْتَقَدُ مَعْرِفَتُهُ ...	٢١٦
الإمام السجاد عليه السلام	بِكَ عَرَفْتُكَ وَأَنْتَ ذَلِكَ لَنِي حَلِيكَ وَذَعْوَتِي إِلَيْكَ ...	١٣٧
أمير المؤمنين عليه السلام	بِمَ عَرَفْتُ رَبِّيكَ؟ قَالَ: بِمَا عَرَفْتَنِي نَفْسَهُ، قِيلَ: وَكَيْفَ ...	١٣٦
الإمام الباقر عليه السلام	بِمَا عَرَفَ اللَّهُ، وَبِمَا عَرَفَ اللَّهَ، وَبِمَا وَجَدَ اللَّهُ تَبَارَكَ ...	٢١٨
الإمام الكاظم عليه السلام	تَعَالَى عَنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ خَلُقُوا كَبِيرًا	٢٣٠
أمير المؤمنين عليه السلام	الْكَوْجِيْدُ أَنْ لَا تُكْوَهَمَةُ ...	٢٢٦
الإمام الصادق عليه السلام	تَوْجِيْدُكَ يَرْتَكُ	٢٠٠
الإمام الصادق عليه السلام	ثَلَاثٌ مِنْ خَلَايَاتِ الْمُؤْمِنِ، عِلْمُهُ بِاللَّهِ وَمَنْ يُحِبُّ ...	٣٠
الإمام الباقر عليه السلام	ثُمَّ دَعَاهُمْ إِلَى وَلَايَتِنَا فَأَقْرَبَهَا وَاللَّهُ مِنْ أَحَبِّ وَأَنْكَرَهَا ...	١٢٠
الإمام الباقر عليه السلام	ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكَينَ خَلَائِقَيْنِ يَخْلُقَانِ فِي الْأَرْحَامِ ...	١٢٣
الإمام الباقر عليه السلام	تَجَوَّلْتُ فِذَاكَ زَيْنًا حَزِنْتُ مِنْ غَيْرِ مُصِيبَةٍ تُصِيبُنِي ...	٨٢
الإمام الرضا عليه السلام	جَلَّ عَمَّا وَصَفَهُ الْوَاضِعُونَ وَتَعَالَى عَمَّا يَنْعَثُهُ ...	٢٣٠
الإمام الرضا عليه السلام	الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُلْهِمِ عِبَادَتَهُ حَمْدُهُ، وَقَاطِرُهُمْ عَلَى ...	٧٣
الإمام السجاد عليه السلام	الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا عَرَفْتَنَا مِنْ نَفْسِهِ، وَأَلْهَمْتَنَا مِنْ ...	١٣٨
الإمام الباقر عليه السلام	الْحَقِيقَةُ مِنَ الْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيْهَا ...	٢٥
رسول الله صلى الله عليه وآله	خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْوَاحَ قَبْلَ الْأَجْسَادِ بِالْفَيِّ عَامٌ، ثُمَّ ...	٨٢

٢٠٢	ذُرِّيَّةُ الْأَمْرِ وَمَسْنَأُهُ وَمِفْتَاحُهُ وَبَابُ الْأَسْمَاءِ وَرِضَا...	الإمام الباقر عليه السلام
١٦٣	رَأَى رَبَّهُ عَلَى أُنْجَى وَرَوْاهُ؟ وَعَنِ الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ...	رسول الله صلى الله عليه وآله
٢٥٧	زَيْنًا ثَوْرِيَّ الذَّاتِ، حَرَمِ الذَّاتِ، عَالِمِ الذَّاتِ، مَلِيٍّ...	الإمام الصادق عليه السلام
١٧	رَجَمَ اللَّهُ أَمْرَهُ أَهْدَى لِنَفْسِهِ وَاسْتَعَدَّ لِرَسُولِهِ وَهَلَمَّ مِنْ...	أمير المؤمنين عليه السلام
١٧٧	سَأَلْتُ عَنِ الْمَعْرِفَةِ مَا هِيَ؟ فَأَعْلَمَ رَجَمَكَ اللَّهُ أَنْ...	الإمام الصادق عليه السلام
٢٣١	شَبَحَانِ مَنْ تَوَاضَعَ كُلُّ فَمٍ لِعَظَمَتِهِ، شَبَحَانِ مَنْ...	حضرت زهرا عليها السلام
١٦٢	شَبَحَانِ مَنْ لَمْ يَجْعَلْ فِي أَحَدٍ مِنْ مَعْرِفَةِ نَعْمِهِ إِلَّا...	الإمام السجاد عليه السلام
٢٢٨	شَبَحَانِ مَنْ بَرَى أَمْرًا لَمْ يَلِ فِي الصَّفَاءِ شَبَحَانِ مَنْ...	حضرت زهرا عليها السلام
٢٣١	شَبَحَانِ هُوَ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ...	أمير المؤمنين عليه السلام
١٨٥	سَيِّئَةُ أَشْيَاءٍ لَيْسَ لِلْعِبَادِ فِيهَا صَنْعٌ الْمَعْرِفَةُ...	الإمام الصادق عليه السلام
٢٥٠	شَبَّيْ زَيْنًا سَبْعًا لَا يَجْزِيهِ فِيهِ يَسْمَعُ بِهِ الصَّوْتُ...	الإمام الرضا عليه السلام
٢٠٢	الشُّكْرُ الْمَعْرِفَةُ...	الإمام عليه السلام
٢٣٨	صَفَةً لِمَوْصُوفٍ	الإمام عليه السلام
١٢٣	فَإِذَا أَكْمَلَ اللَّهُ لَهُ الْأَجَلَ بَعَثَ اللَّهُ مَلَكًا، فَجَزَعَهُ جَزَعًا...	الإمام عليه السلام
٢١٢	فَإِذَا انْقَضَى الْكَلَامُ إِلَى اللَّهِ فَأَمْسِكُوا...	الإمام الصادق عليه السلام
١٣٨	فَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي ظَهَرَتْ بِهِ لِحَاةُ أَوَّلِيائِكَ...	أمير المؤمنين عليه السلام
١٦٥	فَإِنْ قَالُوا: فَأَنْتُمْ الْآيَةُ تَقُولُونَ مِنْ قَوْلِ الْعِلْمِ عَنْهُ وَقَالَ...	الإمام الصادق عليه السلام
٢١٣	فَإِنَّهُ أَهْوَأُ وَأَكْرَمُ وَأَجَلُ وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ...	حضرت زهرا عليها السلام
٢٣١	فَصَفُوهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَكُنُوا عَمَّا يَرَى ذَلِكَ	الإمام الكاظم عليه السلام
٢١	فَطَرَهُمْ جَمِيعًا عَلَى التَّوْحِيدِ	الإمام الصادق عليه السلام
٣١	فَطَرَهُمْ عَلَى التَّوْحِيدِ عِنْدَ الْمِيثَاقِ عَلَى مَعْرِفَتِهِ...	الإمام الباقر عليه السلام
٢٣٢	فَقُولُكَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدِيرٌ خَبِيرٌ اللَّهُ لَا يَعْجُزُهُ شَيْءٌ...	الإمام الجواد عليه السلام
٢٥٨	فَلَا تُدْرِكُ الْقَوْلُ وَأَوْهَاتُهَا، وَلَا الدِّكْرُ وَخَطَرُهَا...	الإمام المجتبي عليه السلام
٢١٣	فَلَمْ تُدْرِكْهُ الْأَبْصَارُ وَلَمْ تُحِطْ بِهِ الْأَخْبَارُ وَلَمْ يَحْصُ...	حضرت زهرا عليها السلام
٢٥٦	فَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ جِلْمُهُ سَابِقًا لِلْأَشْيَاءِ قَدِيمًا...	الإمام الرضا عليه السلام
٢٥٥	فَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ مُتَكَلِّمًا؟ قَالَ: فَقَالَ إِنَّ الْكَلَامَ صَفَةٌ...	الإمام الصادق عليه السلام
١٦٠	فَلَيْسَ اللَّهُ عَرَفَ مِنْ عَرَفَ بِالْغَيْبِ ذَاتَهُ، وَلَا يُبَاهَى...	الإمام الرضا عليه السلام

٢٥٠	فَمَنْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ وَاحِدٌ، فَهَذَا لَهُ اسْمٌ وَلَهُ سَبِيَّةٌ...	الإمام الصادق عليه السلام
٢٣	فَمِنْهَا قَلْبُهُ الَّذِي بِهِ يَعْقِلُ وَيَفْقَهُ وَيَهْتَمُّ وَهُوَ أَمِينٌ...	الإمام عليه السلام
٢٥٣	قَالَ رَجُلٌ عِنْدَهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ، اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ أَيْ...؟	الإمام الصادق عليه السلام
٢٥٦	قَالَ سَلِمَتَانِ: [أَيِ الْإِزَادَةِ] كَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ...	الإمام الرضا عليه السلام
١٨٣	قَالَ: قَدْ سَأَلْتُ فَاسْمِعِ الْجَوَابَ. أَدْنَى مَا يَكُونُ بِهِ...	أمير المؤمنين عليه السلام
١٢٠	قُلْتُ لِأَخِي جَعْفَرٍ عليه السلام أَصْلَحَكَ اللَّهُ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ...	الإمام الباقر عليه السلام
٢٥٥	قُلْتُ لَمْ يَزَلِ اللَّهُ مُرِيدًا؟ قَالَ: إِنَّ الْمُرِيدَ لَا يَكُونُ...	الإمام الصادق عليه السلام
١٢٢	قُلْتُ لَهُ: أَرَأَيْتَ تَحَوَّلَهُ فِي بَعْدِهَا إِلَى خَالٍ أَوْ بَوَاحٍ...	الإمام السجاد عليه السلام
١٧٨	قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا الْإِيمَانُ وَمَا الْإِسْلَامُ؟...	أمير المؤمنين عليه السلام
٧٢	كَانَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام فِي شَيْبَتَيْهِ عَلَى الْفِطْرَةِ الْخَيْرِ فَطَرَهُ...	الإمام الصادق عليه السلام
٥٢	كَانَ ذَلِكَ قَبْلَ نُوحٍ. قِيلَ: فَعَلَى هَذِي كَانُوا؟...	الإمام الصادق عليه السلام
٢٥٥	كَانَ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا تَتَكَلَّمُ وَلَا مُرِيدَ وَلَا مُتَحَرِّكَ...	الإمام الصادق عليه السلام
١٢٣	كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ع لَا يَرَى بِالْعَرَبِ بَأْسًا يَهْرَأُ...	الإمام الصادق عليه السلام
٧٢	كَانَتْ قِسْمَتُهُ نُوْحٍ عليه السلام أَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ بِالْجَوَادِ...	الإمام الباقر عليه السلام
٥٢	كَانُوا ضَالِّينَ، كَانُوا لَا مُؤْمِنِينَ وَلَا كَافِرِينَ وَلَا مُشْرِكِينَ	الإمام الصادق عليه السلام
٢٠٢	الْكُفْرَ هَاهُنَا الْخِلَافَ وَالشُّكْرَ الْوَلَايَةَ وَالْمَعْرِفَةَ...	الإمام عليه السلام
٢٢٨	كُلُّ عَزِيزٍ غَيْرُهُ ذَلِيلٌ وَكُلُّ قَوِيٍّ غَيْرُهُ ضَعِيفٌ وَكُلُّ...	أمير المؤمنين عليه السلام
٢١٢	كُلُّ مَا وَفَّقَ فِي الزَّوْمِ، فَهُوَ بِخِلَافِهِ	الإمام الصادق عليه السلام
٦٩	كُلُّ مُؤَلَّدٍ يُؤَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ يَعْنِي الْمَعْرِفَةَ، بِأَنَّ اللَّهَ...	الإمام الباقر عليه السلام
٣٧، ٥١، ٥٩، ٦٩، ٧٥، ٧٨، ٨٢	كُلُّ مُؤَلَّدٍ يُؤَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ...	رسول الله صلى الله عليه وآله
٢٢٢	كَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ، تَكْفِي الصِّفَاتِ عَنْهُ، لِيَهْدَاهُ...	أمير المؤمنين عليه السلام
٢٥١	لَا تُدْرِكُهُ الْعُلَمَاءُ بِأَلْبَانِيهَا وَلَا أَهْلُ التَّفَكِيرِ بِتَفَكِيرِهِمْ...	الإمام الحسين عليه السلام
١٩٧	لَا دِيَانَةَ إِلَّا بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ وَلَا مَعْرِفَةَ إِلَّا بِالْإِخْلَاصِ...	الإمام الرضا عليه السلام
٢٠٦	لَا يُعَدُّ النَّاسُ بِجَهَالَتِنَا مَنْ عَرَفْنَا كَانَ مُؤْمِنًا...	الإمام الصادق عليه السلام
٢١٨	لَا يَعْرِفُ اللَّهُ إِلَّا بِتَسْبِيلِ مَعْرِفَتِهِمْ	رسول الله صلى الله عليه وآله
٢٠٢	لَا يَقْبَلُ اللَّهُ حَمَلًا إِلَّا بِمَعْرِفَةٍ وَلَا مَعْرِفَةَ إِلَّا بِعَقْلِ...	الإمام الصادق عليه السلام
١٢٧	لَا تُكَلِّمُ نَدْعُونَ مَنْ لَا تَعْرِفُونَهُ	الإمام عليه السلام

١٨٧	الإمام الرضا عليه السلام	لِلنَّاسِ فِي الْمَعْرِفَةِ نَحْ؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: لَهم عَلَيْهَا...
٨٣	الباقين عليه السلام	لَمْ تَكُونُوا خَرًا عَلَى هَذَا الْأَمْرِ إِلَّا مَا تَعَارَفْتُمْ عَلَيْهِ
٢٥٧	الإمام الصادق عليه السلام	لَمْ يَزَلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَكْبًا وَالْعِلْمُ ذَاتُهُ وَلَا مَعْلُومٌ...
٢٥٧	الإمام الصادق عليه السلام	لَمْ يَزَلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ سَجِيحًا بِصِيرًا ذَاتَ حَلَاةٍ سَجِيحَةً...
١٧٥	الإمام الصادق عليه السلام	لَمْ يَكْلُفِ اللَّهُ الْعِبَادَ الْمَعْرِفَةَ، وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ إِلَيْهَا...
١٦٣	رسول الله صلى الله عليه وآله	لَوْ عَرَفْتُمْ اللَّهَ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ، لَزَيْلَتْ بِذُعَائِكُمُ الْجِبَالُ...
٢٥٠، ٢٠١	الإمام الصادق عليه السلام	لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي فَضْلِ مَعْرِفَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ...
٢٣٠	أمير المؤمنين عليه السلام	اللَّهُ أَجَلٌ مِنْ أَنْ يُدْرِكَ الْوَاصِقُونَ فَكُنْ صَغِيرًا الَّذِي هُوَ...
٢٣٩	الإمام الصادق عليه السلام	لَهُ عَزَّ وَجَلَّ ثَعُوبٌ وَصَفَاتٌ، فَالْصَّفَاتُ لَهُ وَأَسْمَاؤُهَا...
٢٣٠	حضرت زهرا عليها السلام	اللَّهُمَّ إِنَّكَ لَسْتَ بِرَبِّ اسْتَحْدَثْنَاكَ وَلَا مَعَكَ إِلَهٌ...
٧٢	الإمام الصادق عليه السلام	اللَّهُمَّ خَلَقْتَ الْقُلُوبَ عَلَى إِرَادَتِكَ، وَقَطَرْتَ الْعُقُولَ...
١٣٠	الإمام الصادق عليه السلام	اللَّهُمَّ عَرِّضِي نَفْسَكَ لِقَائِكَ، إِنْ لَمْ تُعَرِّضِي نَفْسَكَ لَمْ...
١٥٩، ٢١٢	أمير المؤمنين عليه السلام	لَيْسَ بِاللَّهِ مَنْ عَرَفَ بِنَفْسِهِ هُوَ الدَّلِيلُ بِالْذَّلِيلِ عَلَيْهِ...
١٨٧	الإمام الباقر عليه السلام	لَيْسَ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَعْلَمُوا، حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ...
١٩٦	الإمام الصادق عليه السلام	لَيْسَ لِلَّهِ عَلَى خَلْقِهِ أَنْ يَعْرِفُوا، وَلِلْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ أَنْ...
٧٥	الإمام السجاد عليه السلام	مَا يَهْتَمُّ الْبَهَائِمُ، فَلَمْ تُبْهِمُ عَنْ أَرْبَعَةٍ: مَعْرِفَتِهَا...
٢٢٦	الإمام الحسين عليه السلام	مَا تُصَوِّرُ فِي الْأَوْقَامِ، فَهُوَ خِلَافَةُ...
٢١٢	الإمام الرضا عليه السلام	مَا تَوَهَّمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ، فَتَوَهَّمُوا اللَّهَ حَقِيرَةً...
١٣٩	أمير المؤمنين عليه السلام	مَا عَرَفْتُ اللَّهَ بِمُحَمَّدٍ وَلَكِنْ عَرَفْتُ مُحَمَّدًا بِاللَّهِ...
٥٢	الإمام الجواد عليه السلام	مَا مَعِيَ الْوَاحِدُ؟ قَالَ: الَّذِي اجْتَمَعَ الْأَلْسُنُ عَلَيْهِ...
٢٠١	الإمام السجاد عليه السلام	مَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ، مِنْ عِلْمِهِ...
٦٩	الإمام الصادق عليه السلام	مَا مِنْ مَوْجِدٍ يُولَدُ إِلَّا عَلَى الْفُطْرَةِ، فَأَيُّهَا اللَّكَّانُ...
٥٢	الإمام الجواد عليه السلام	الْمُشْتَبَعُ عَلَيْهِ بِجَمِيعِ الْأَلْسُنِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ...
٢١٢	الإمام عليه السلام	الْمُحْسِنُ وَغَيْرُ الْمُحْسِنِ لَا يَتَكَلَّمُ فِيهِ، فَإِنْ أَيْتَمَّ...
١٢٢	الإمام الباقر عليه السلام	الْمُخَلَّاتُ هُمُ الْمُرَادُّ الَّذِينَ خَلَقَهُمُ اللَّهُ فِي صَلْبٍ...
٢٥٥	الإمام الصادق عليه السلام	النَّبِيَّةُ مُحَدَّثَةٌ
١٦٢	رسول الله صلى الله عليه وآله	مَعْرِفَةُ اللَّهِ حَقٌّ مَعْرِفَتِهِ، قَبِيلٌ، وَمَا مَعْرِفَةُ اللَّهِ حَقٌّ...

٢٢	معرفة الله سبحانه أعلى المعارف	أمير المؤمنين عليه السلام
١٨٥	المعرفة من صنع من هي؟ قال: من صنع الله...	الإمام الصادق عليه السلام
٢٠٦	المعرفة تضدها الإنكار...	الإمام الصادق عليه السلام
٧٠	معروف عند كل جاهل...	الإمام الصادق عليه السلام
٢٢٦	المستنوع... من الألسن صفة، ومن الأوهام كبريئة...	حضرت زهرا عليها السلام
١٥٠	من رزح أنه يعبد المعنى بالصفة لا بالإدراك، فقد...	الإمام الصادق عليه السلام
١٤٨	من رزح أنه يعرف الله يتوهم القلوب، فهو مضرك...	الإمام الصادق عليه السلام
٢٣٨	من عبد المعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفات التي...	الإمام الصادق عليه السلام
٧٥	مهتا أبيهم على البهائم من شيء، فلا يبهتهم حليها...	الإمام الصادق عليه السلام
١٢٠	ميز الرسل والأنبياء والأوصياء وأمر الخلق بقطاعيتهم...	أمير المؤمنين عليه السلام
٧٢	نحن وثبيتنا على الفطرة التي بتك الله عليها...	الإمام الحسين عليه السلام
٢٣٢	نظام توحيد الله تفي الصفات عنه لشمادة العقول...	الإمام الرضا عليه السلام
٢٤٢	نظام توحيد، لكي الصفات عنه...	أمير المؤمنين عليه السلام
٦٧	واصطفى سبحانه من ولده أنبياء، أخذ على...	أمير المؤمنين عليه السلام
٢١٥	وأثار في الفكر معقولها...	حضرت زهرا عليها السلام
٢٠٢	ويحدث علم الناس كله في أربع: أولها أن تعرف...	الإمام الصادق عليه السلام
٢٥٣	وكان ثم شيء فيكون أكبر منه قلت، وما هو فقال...	الإمام الصادق عليه السلام
١٢٥	ومن رزح أنه يعرف الله بحجاب أويوة أويوة...	الإمام الصادق عليه السلام
١٨٦	هل في الناس استطاعة يتعاطون بها المعرفة؟...	الإمام الكاظم عليه السلام
٣١	هي الإسلام، فطوهم الله حين أخذ ميقاتهم على...	الإمام الصادق عليه السلام
٢٥٥	هي محدثة. يا مسلمي، فإن الشيء إذا لم يكن...	الإمام الرضا عليه السلام
١٩٨	يا أبائ، احبب الله كالكثرة، فإن كنت لا تراه، فإنة...	رسول الله صلى الله عليه وآله
٨٢	يا بني، إن القلوب مجنونة، تتلاخط بالموتى...	أمير المؤمنين عليه السلام
٧٢	يا رب أي الأعمال أفضل عندك؟ فقال: حب...	الإمام الصادق عليه السلام
١٣٨	يا رب بك عرفتك وأنت ذلكني عليك، ولولا أنت...	الإمام السجاد عليه السلام
٥٨	يا عبد الله هل ركبت سفيئة قط؟ قال: نعم...	الإمام الصادق عليه السلام
١٦٢	يا علي ما عرف الله حتى معرفتي غيري وغيرك، وما...	رسول الله صلى الله عليه وآله

١٣٦، ١٦٠	يَا مَنْ ذَلَّ عَلَى ذَاتِهِ بِكَاتِبِهِ...	أمير المؤمنين عليه السلام
٧٣	يَا مَنْ فَتَقَ الْعُقُولَ بِمَعْرِفَتِهِ وَأَطْلَقَ الْأَلْسُنَ بِحَمْدِهِ	الإمام الصادق عليه السلام
٢١٢	يَا مَنْ فَتَقَ الْعُقُولَ بِمَعْرِفَتِهِ...	الإمام الصادق عليه السلام
٢٢٢	يَزْعُمُونَ أَنَّهُ يَبْرُءُ عَلَى مَا يَحْكُمُونَهُ؟ قَالَ: فَقَالَ: تَعَالَى...	الإمام الباقر عليه السلام

فهرس مصادر التحقيق

• القرآن الكريم.

• نهج البلاغة.

• الصحيفة السجادية.

• تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

١. الصحيفة السجادية الجامعة. مؤخذ الأبطحي، السيد محمد باقر (ت ١٣٩٢ش).

قم: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام. الطبعة الأولى: ١٤١١ق.

٢. الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام. مشهد: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء

التراث. الطبعة الأولى: ١٤٠٦ق.

٣. إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات. الشيخ الحر العاملي، محمد بن حسن

(ت ١١٠٤ق). بيروت: الأعلمي. الطبعة الأولى: ١٤٢٥ق.

٤. الإحتجاج على أهل اللجاج. الطبرسي، أحمد بن علي (ت ٥٨٨ق).

التحقيق: محمد باقر الخرسان. مشهد: منشورات المرتضى. الطبعة الأولى:

١٤٠٣ق.

٥. اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي). الكشي، محمد بن عمر (ت ٤٦٠ق). مشهد:

طباعة جامعة. الطبعة الأولى: ١٤٠٩ق.

٦. الأربعون حديثاً. البهائي، محمد بن حسين (ت ١٠٣١ق). قم: مؤسسة النشر

الإسلامي.

٧. أساس البلاغة. الزمخشري، محمود بن عمر (ت ٥٨٣ق). قم: دار الكتب العلمية.
٨. أصول فلسفه و روش رئاليسم. الطباطبائي، السيد محمد حسين (ت ١٣٦٠ش). طهران: صدرا.
٩. اعلام الدين في صفات المؤمنين. الديلمي، حسن بن محمد (ت ٨٤١ق). قم: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث. الطبعة الأولى: ١٣٠٨ق.
١٠. إقبال الأعمال. ابن طاوس، علي بن موسى (ت ٦٦٤ق). قم: مؤسسة بوستان كتاب. الطبعة الأولى: ١٣٧٦ش.
١١. الأمالي. المفيد، محمد بن محمد (ت ٤١٣ق). قم: مؤتمر الشيخ المفيد. الطبعة الأولى: ١٤١٣ق.
١٢. الأمالي. الطوسي، محمد بن حسن (ت ٤٦٠ق). قم: دار الثقافة. الطبعة: ١٤١٢ق.
١٣. الأنوار النعمانية. الجزائري، نعمة الله بن عبد الله (ت ١١١٢ق). تبريز: مطبعة شركة النشر. الطبعة: ١٣٧٨ق.
١٤. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام. المجلسي، محمد باقر (ت ١١١٠ق). بيروت: منشورات دار إحياء التراث العربي. الطبعة الثانية: ١٤٠٣ق.
١٥. بصائر الدرجات. صفار القمي، محمد بن حسن (ت ٢٩٠ق). بمساعدة: الميرزا محسن كوجه باغي التبريزي. قم: مكتبة آيت الله المرعشي النجفي عليه السلام. الطبعة: ١٣٨٠ق.
١٦. البلد الأمين والدرع الحصين. الكفعمي، إبراهيم بن علي العاملي (ت ٩٠٥ق). بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. الطبعة الأولى: ١٤١٨ق.

١٧. تاريخ الفلسفة والتصوف. النمازي الشاهرودي، علي بن محمد (ت ١٤٠٥ق). التحقيق: الشيخ مرتضى الأعدادي. بيروت: دارالمحبة البيضاء. الطبعة الأولى: ١٤٣٣ق.
١٨. التبيان في تفسير القرآن. الطوسي، محمد بن حسن (ت ٤٦٠ق). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
١٩. تحف العقول. ابن شعبه الحراني، حسن بن علي (ت ٩٨١ق). قم: مؤسسة النشر الإسلامي. الطبعة الثانية: ١٤٠٤ق.
٢٠. تصحيح اعتقادات الإمامية. المفيد، محمد بن محمد (ت ٤١٣ق). سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد. الطبعة: ١٤١٢ق.
٢١. تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم. التميمي الأمدي، عبد الواحد بن محمد (ت ٥٥٠ق). التحقيق: مصطفى الدرايتي. قم: مؤسسة بوستان كتاب. الطبعة: ١٣٦٦ش.
٢٢. التعريفات. الجرجاني، السيد الشريف (ت ٨١٦ق). طهران: ناصر خسرو. الطبعة الرابعة: ١٤١٢ق.
٢٣. تفسير القمي. القمي، علي بن ابراهيم (ت ٣٠٧ق). قم: مؤسسة دار الكتاب. الطبعة الثالثة: ١٤٠٤ق.
٢٤. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب). فخر الدين الرازي، محمد بن عمر (ت ٦٠٤ق). بيروت: دار إحياء التراث العربي. الطبعة الثالثة: ١٤٢٠ق.
٢٥. تفسير العياشي. العياشي، محمد بن مسعود (ت ٣٢٠ق). التحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي. طهران: المطبعة العلمية. الطبعة الثالثة: ١٤٠٤ق.
٢٦. تفسير القرآن الكريم. صدر المتألهين، محمد بن ابراهيم (ت ١٠٥٠ق). قم: منشورات بيدار. الطبعة الثانية: ١٣٦٦ش.
٢٧. تفسير نمونه. المكارم الشيرازي، ناصر و آخرون. طهران: دار الكتب الإسلامية. الطبعة الثالثة: ١٣٨٣ش.

٢٨. تفسير نور الثقلين. العروسي الحويزي، عبد علي بن جمعة (ت ١١١٢ق). قم: منشورات إسماعيليان. الطبعة الرابعة: ١٣١٥ق.
٢٩. تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة. الحر العاملي، محمد بن حسن (ت ١١٠٢ق). قم: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث. الطبعة الأولى: ١٤٠٩ق.
٣٠. التقارير، مناصب النبي. الحلبي (التولائي)، الشيخ محمود (ت ١٤١٨ق). تقارير مرحوم الميرزا مهدي الإصفهاني. مخطوط.
٣١. تنبيهات حول المبدأ والمعاد. المراريد، الميرزا حسن علي (ت ١٢٢٥ق). مشهد: مجمع البحوث الإسلامية التابع للعتبة الرضوية المقدسة. الطبعة الرابعة: ١٤٣٥ق.
٣٢. التوحيد. ابن بابويه، محمد بن علي (ت ٣٨١ق). التحقيق: هاشم الحسيني. قم: مؤسسة النشر الإسلامي. الطبعة الأولى: ١٣٩٨ق.
٣٣. توحيد الإمامية. الملكي الميانجي، محمد باقر (ت ١٣٧٨ق). نجف: منشورات دارالبصرة. الطبعة الأولى: ١٤٣٥ق.
٣٤. توحيد المفصل. الجعفي، مفصل بن عمر (ت ١٢٨ق). قم: منشورات الداوري. الطبعة الثالثة.
٣٥. تهذيب الأحكام. الطوسي، محمد بن الحسن (ت ٢٦٠ق). طهران: دار الكتب الإسلامية. ١٣٦٥ش.
٣٦. الحكمة المتعالية في الأسفار الأربعة. صدر المتألهين، محمد بن إبراهيم (ت ١٠٥٠ق). بيروت: دار إحياء التراث. الطبعة الثالثة: ١٩٨١م.
٣٧. الخصال. ابن بابويه، محمد بن علي (ت ٣٨١ق). قم: مؤسسة النشر الإسلامي. ١٤٠٣ق.
٣٨. الذريعة. الطهراني، آغا يزك (ت ١٣٨٩ق). مؤسسة مطبوعات إسماعيليان. الطبعة: ١٣٣٢ش.

٣٩. الرسائل التوحيدية. الطباطبائي، السيد محمد حسين (ت ١٣٦٠ش). بيروت: مؤسسة النعمان. الطبعة: ١٣١٩ق.
٤٠. روح الإيمان. العراقي، الشيخ عبد النبي (ت ١٣٨٥ق). المجمع الثقافي نور الأصفياء. الطبعة الأولى: ١٣٨٢ش.
٤١. روضة الواعظين وبيضة المتعظفين. الفتال النيشابوري، محمد بن أحمد (ت ٥٠٨ق). قم: منشورات الرضي. الطبعة الأولى: ١٤١٧ق.
٤٢. زاد المعاد. المجلسي، محمد باقر (ت ١١١٠ق). بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. الطبعة الأولى: ١٣٢٣ق.
٤٣. «خلق الأرواح قبل الأبدان». القراني، زين العابدين (مقالة). سلسلة مقالات مؤتمر الشيخ المفيد، رقم ٧٢.
٤٤. «كلمة موجزة في الأرواح والأشباح». الجهرمي الشريعتمداري، عبد الرسول (ت ١٣٩٠ش) (مقالة). سلسلة مقالات مؤتمر الشيخ المفيد، رقم ٣.
٤٥. «مرور على أخبار معرفة الله». البياباني الأسكوي، محمد (مقالة). مجلة فصلية تخصصية للمطالعات القرآنية والحديثية، رقم ٧ - ١٠. طهران: مؤسسة النبأ الثقافية.
٤٦. شرح أصول الكافي. المازندراني، ملا صالح (ت ١٠٨١ق). التحقيق: ابوالحسن الشعراني. طهران: المكتبة الإسلامية. الطبعة: ١٣٨٢ق.
٤٧. شرح أصول الكافي. صدر المتألهين، محمد بن ابراهيم (ت ١٠٥٠ق). التحقيق: محمد الخواجوي. طهران: مؤسسه المطالعات و التحقيقات الثقافية. الطبعة الأولى: ١٣٨٣ش.
٤٨. الشواهد الربوبية في المناهج السلوكية. صدر المتألهين، محمد بن ابراهيم (ت ١٠٥٠ق). بمساعدة: السيد جلال الدين الآشتياني. مشهد: طباعة جامعة. الطبعة الثانية: ١٣٦٠ش.

٤٩. **علل الشرائع**. ابن بابويه، محمد بن علي (ت ٣٨١ق). قم: منشورات مكتبة الداوري. الطبعة الأولى: ١٣٨٥ق.
٥٠. **عوالي اللثالي العزيزية في الأحاديث الدينية**. ابن أبي جمهور، محمد بن زين الدين (ت ٩٢٠ق). قم: منشورات دار سيد الشهداء عليه السلام. الطبعة الأولى: ١٤٠٥ق.
٥١. **عيون أخبار الرضا عليه السلام**. ابن بابويه، محمد بن علي (ت ٣٨١ق). التحقيق: مهدي اللاجوري. طهران: منشورات جهان. الطبعة الأولى: ١٣٧٨ق.
٥٢. **الفائق في غريب الحديث**. الزمخشري، محمود بن عمر (ت ٥٨٣ق). بيروت: دارالفكر. الطبعة: ١٣١٢ق.
٥٣. **الفصول المهمة في أصول الأئمة عليهم السلام** (تكملة الوسائل). الحر العاملي، محمد بن حسن (ت ١١٠٢ق). قم: مؤسسة الإمام الرضا عليه السلام للمعارف الإسلامية. الطبعة الأولى: ١٣١٨ق.
٥٤. **الفصول المهمة في معرفة الأئمة عليهم السلام**. المالكي (ابن الصباغ)، علي بن محمد أحمد (ت ٨٥٥ق). التحقيق: سامي الغريزي. قم: منشورات دارالحديث. الطبعة الأولى: ١٣٢٢ق.
٥٥. **فلاح السائل ونجاح المسائل**. ابن طائوس، علي بن موسى (ت ٦٦٢ق). قم: مؤسسة يومستان كتاب. الطبعة الأولى: ١٣٠٦ق.
٥٦. **القاموس المحيط**. الفيروز آبادي، محمد (ت ٨١٧ق). بيروت: مؤسسة الرسالة.
٥٧. **قرب الإسناد**. الحميري، عبد الله بن جعفر (توفي بعد ٣٠٤ق). قم: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث. الطبعة الأولى: ١٣١٣ق.
٥٨. **الكافي**. الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت ٣٢٩ق). التحقيق: علي أكبر الغفاري. طهران: منشورات دارالكتب الإسلامية. الطبعة الرابعة: ١٣٠٧ق.
٥٩. **العرشية**. صدر المتألهين، محمد بن ابراهيم (ت ١٠٥٠ق). التصحيح: غلام حسين الآهني. طهران: منشورات مولی. الطبعة: ١٣٦١ش.

٦٠. كتاب من لا يحضره الفقيه. ابن بابويه، محمد بن علي (ت ٣٨١ق). التحقيق: علي اكبر الغفاري. قم: مؤسسة النشر الإسلامي. الطبعة الثالثة: ١٤١٣ق.
٦١. الكشاف عن الحقايق غوامض التنزيل. الزمخشري، محمود بن عمر (ت ٥٣٨ق). بيروت: دار الكتاب العربي. الطبعة الثالثة: ١٤٠٧ق.
٦٢. كتاب العين. الفراهيدي، خليل بن احمد (ت ١٧٥ق). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٦٣. كتاب سليم بن قيس الهلالي. الهلالي، سليم بن قيس (ت ٧٦ق). قم: الهادي. الطبعة الأولى: ١٣٠٥ق.
٦٤. كشف الغفة في معرفة الأئمة عليهم السلام. الإربلي، علي بن عيسى (ت ٦٩٢ق). تبريز: منشورات بني هاشمي. الطبعة الأولى: ١٣٨١ق.
٦٥. كفاية الأثر في النص على الأئمة الإثني عشر عليهم السلام. الخزاز الرازي، علي بن محمد (القرن الرابع). التحقيق: عبد اللطيف الحسيني الكوه كمر. قم: منشورات بيدار. ١٤٠١ق.
٦٦. كمال الدين وتمام النعمة. ابن بابويه، محمد بن علي (ت ٣٨١ق). طهران: منشورات الإسلامية. الطبعة الثانية: ١٣٩٥ق.
٦٧. لسان العرب. ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١ق). التحقيق: جمال الدين الميردامادي. بيروت: منشورات دار الفكر. الطبعة الثالثة: ١٤١٢ق.
٦٨. مجمع البحرين. الطريحي، فخر الدين بن محمد (ت ١٠٨٥ق). التحقيق: أحمد الحسيني الاشكوري. طهران: منشورات مرتضوي. الطبعة الثالثة: ١٣٧٥ش.
٦٩. المحاسن. البرقي، أحمد بن محمد بن خالد (ت ٢٨٠ق). قم: منشورات دار الكتب الإسلامية. الطبعة الثانية: ١٣٧١ق.
٧٠. مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول عليه السلام. المجلسي، محمد باقر (ت ١١١٠ق). طهران: دار الكتب الإسلامية. الطبعة الخامسة: ١٣٨٥ش.

٧١. المسائل السريّة. مفيد، محمّد بن محمّد (ت ٤١٣ق). قم: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد. الطبعة الأولى: ١٤١٢ق.
٧٢. مستدرک سفينة البحار. النمازي الشاهرودي، علي بن محمّد (ت ١٣٠٥ق). قم: مؤسسة النشر الإسلامي. الطبعة الثانية: ١٣٢٧ق.
٧٣. مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل. النوري، الميرزا حسين (ت ١٣٢٠ق). قم: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث. الطبعة الأولى: ١٤٠٨ق.
٧٤. مسند فاطمة الزهراء عليها السلام. شيخ الإسلام، حسين. قم: مؤسسة بوستان كتاب. الطبعة: ١٣٧٧ش.
٧٥. مصباح المتهجد وسلاح المتعبد. الطوسي، محمّد بن حسن (ت ٤٦٠ق). بيروت: مؤسسة فقه الشيعة. الطبعة الثانية: ١٣١١ق.
٧٦. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي. الفيومي، أحمد بن محمّد (ت ٧٧٠ق). قم: مؤسسة دار الهجرة. الطبعة الثانية: ١٤١٤ق.
٧٧. المصباح للكفعمي (جثة الأمان الواقية). الكفعمي العاملي، إبراهيم بن علي (ت ٩٠٥ق). قم: دار الرضي (زاهدي). الطبعة الثانية: ١٤٠٥ق.
٧٨. معاني الأخبار. ابن بابويه، محمّد بن علي (ت ٣٨١ق). قم: مؤسسة النشر الإسلامي. ١٤٠٣ق.
٧٩. فرونگ اصطلاحات و تعبيرات عرفاني. السجادي، السيد جعفر. طهران: منشورات طهروري. الطبعة: ١٣٨١ش.
٨٠. معجم الفروق اللغوية. البيات، شيخ بيت الله. قم: مؤسسة النشر الإسلامي. الطبعة الثانية: ١٤٢١ق.
٨١. معجم مقاييس اللغة. ابن فارس، ابوالمحسن أحمد (ت ٣٩٥ق). قم: دار الكتب العلمية.
٨٢. معرفت حجت خدا. الصافي گلپايگاني، لطف الله. قم: منشورات حضرت معصومة عليها السلام. الطبعة: ١٤١٧ق.

٨٣. مفتاح الفلاح في عمل اليوم واللييلة من الواجبات والمستحبات. البهائي، محمد بن حسين (ت ١٠٣١ق). بيروت: منشورات دارالأضواء.
٨٤. مناقب آل ابي طالب عليه السلام. ابن شهر آشوب، محمد بن علي (ت ٥٨٨ق). قم: منشورات العلامة. الطبعة الأولى: ١٣٧٩ش.
٨٥. مناهج البيان في تفسير القرآن. الملكي الميانجي، محمد باقر (ت ١٣٧٨ق). طهران: مؤسسة النبأ الثقافية. الطبعة الأولى: ١٤٣٤ق.
٨٦. مناهج البراعة في شرح نهج البلاغة. الخوئي، ميرزا حبيب الله (ت ١٣٢٤ق). طهران: منشورات الإسلامية. الطبعة الأولى: ١٣٨٦ش.
٨٧. مهج الدعوات ومنهج العبادات. ابن طاوس، علي بن موسى (ت ٦٦٣ق). قم: دارالذخائر. الطبعة الأولى: ١٤١١ق.
٨٨. الميزان في تفسير القرآن. الطباطبائي، السيد محمد حسين (ت ١٣٦٠ش). قم: مؤسسة النشر الإسلامي. الطبعة الخامسة: ١٤١٧ق.
٨٩. كتاب الوافي. الفيض الكاشاني، محمد محسن (ت ١٠٩١ق). اصفهان: مكتبة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام. الطبعة: ١٤٠٦ق.



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

توحید و اُسماء و صفات

محمد بیابانی اسکویی

تحقیق

مرتضی اعدادی خراسانی



انتشارات ولایت

۱۳۹۴-۱۴۳۶

چکیده

شناخت خدای متعال به عنوان حقیقتی که کنه ذات و حقیقت هستی ماسوی به او و مخلوق اوست. عالی ترین معارف است.

بدون تردید مخلوق هیچ راهی به شناخت خدا ندارد و قوای ادراکی او از درک ذات مقدس حضرت حق عاجز است. اما خدای متعال از سر لطف و عنایت به بندگان، خود را به آنان معرفی کرده و با آغاز خلقت آنها را به معرفت خویش مغمور ساخته است.

و بار دیگر با فرستادن انبیا و رسولان، حجج خویش برای یادآوری معرفت فراموش شده بندگان آنها را مشمول لطف و مرحمت خود گردانیده و بدین ترتیب حجت را بر بندگان تمام کرده است پس بر عهده بندگان است که وقتی در اثر تذکار حجت های الهی به خدای خویش توجه یافتند، به او ایمان آورند و در برابر او خاضع گردند.

کتاب حاضر با توجه به فطری بودن معرفت الله به دور از فضای اثبات خدای ذهنی با براهین فلسفی، کوشیده است خوانندگان را با طرح تذکرات حجج الهی به خدای خویش توجه دهد تا به ورطه تشبیه و تعطیل و شرک نیفتند و خدای موهوم و ساخته ذهنشان را نپرستند.

امید است این اثر در دستیابی به معارف صحیح مفید و موثر واقع شود.

انتشارات ولایت

ایران - مشهد مقدس - بازار بزرگ

تلفن: ۰۰۹۸۹۱۵۱۱۶۲۹۰۷ - ۰۰۳ - ۰۰۹۸۹۱۵۱۵۷۶

BOOK SUMMARY

Knowing The One upon whom the existence of every being is dependent, is clearly the most noble knowledge of all .

There is, indeed, no possible way to encompass, or rather confine Allah to our limited intellectual capacity, as He is beyond comprehension. However, He has compassionately introduced Himself to His creation, and blessed them, since the dawn of creation, by making Himself familiar to them .

Later on, once again He kindly spread His benefaction by sending infallible messengers so that they would remind people of their innately-known creator. By doing so, He left no room for any excuse; they shall all believe and submit to Him, for they all know Him .

The book that rests in your hands addresses this important topic. Yet far from the philosophical method of reasoning, it uses reminders and citations of messengers, whose approach is that of reminding people of their Creator, in order to save them from sliding into the predicaments of trying to recreate their Creator within their imaginations and comparing Him with his creation, so that they do not worship a delusional and imaginary God..

The publisher

Velayat publishers

Address: Iran, Mashhad, central bazaar, Velayat publisher.

Tel: 00989151576003 - 00989151162907

Monotheism, the Glorious Names, and Attributes of Allah

Mohammad B. Eskooei

**Translated by:
Sayed Sajad Modarresi**

**Auditing and Assessment:
khorasani Shaikh Mortaza Aadadi**

**Review:
Sayed Fadhel Radhawi, Sayed Hossain Modarresi**



**Velayat Publishers
2015 - 1394**

بسم الله الرحمن الرحيم
 ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾

علم و معرفت بزرگترین و بهترین نعمت الهی است که خداوند متعال آن را به بندگان صالح خویش عطا می فرماید و آن ها را در مسیر عبودیت و کمال بندگی به سوی خود با آن یاری می کند. بزرگترین افتخار بندگان خدا برخورداری آن ها از این نعمت گرانسنگ است. عالمان ربانی و عارفان حقیقی کسانی هستند که در راه بندگی خدا همواره پیامبران الهی و امامان معصوم علیهم السلام را چراغ راه خویش قرار داده و از سلوک طریق علمی و عملی آن ها هیچ وقت احساس خستگی به خود راه نداده و از هر طریق دیگری غیر از راه امامان معصوم علیهم السلام دوری و بیزاری می جویند. این بنیاد با هدف احیای آثار چنین بزرگانی که در طول تاریخ تشیع همواره مدافع و پشتیبان معارف اصیل و حیاتی و علوم راستین اهل بیت علیهم السلام بوده اند تشکیل می یابد. امید است با توجهات خاص حضرات معصومین علیهم السلام در این راه توفیق یارشان باشد تا بتوانند قدم های مثبت مهمی در احیای آثار ارزشمند آن بزرگان با شرایط روز بدارند.



عالم آل محمد

مؤسسه عالم آل محمد (علیه السلام) باقریه
 info@ealamalmohammadi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالنَّوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾

Call on to the way of your lord with wisdom and good preaching

Knowledge is arguably God's most precious blessing given to humanity, with which they can understand, worship, and submit to the Almighty's commandments. It is indeed the greatest of His gifts for both in this life and the afterlife.

And those with divine understanding are the true inheritors of the prophets and their successors. Those are the people of wisdom who stop at nothing in carrying on their endeavor in seeking knowledge from its one and only source; The messengers of Allah.

This institution, was founded on the revival and republishing the canons and original works of the scholars who gave their life in supporting the foundations of the religion and the teachings of the holy prophet and his immaculate household. We ask Allah to guide us in this holy path.

